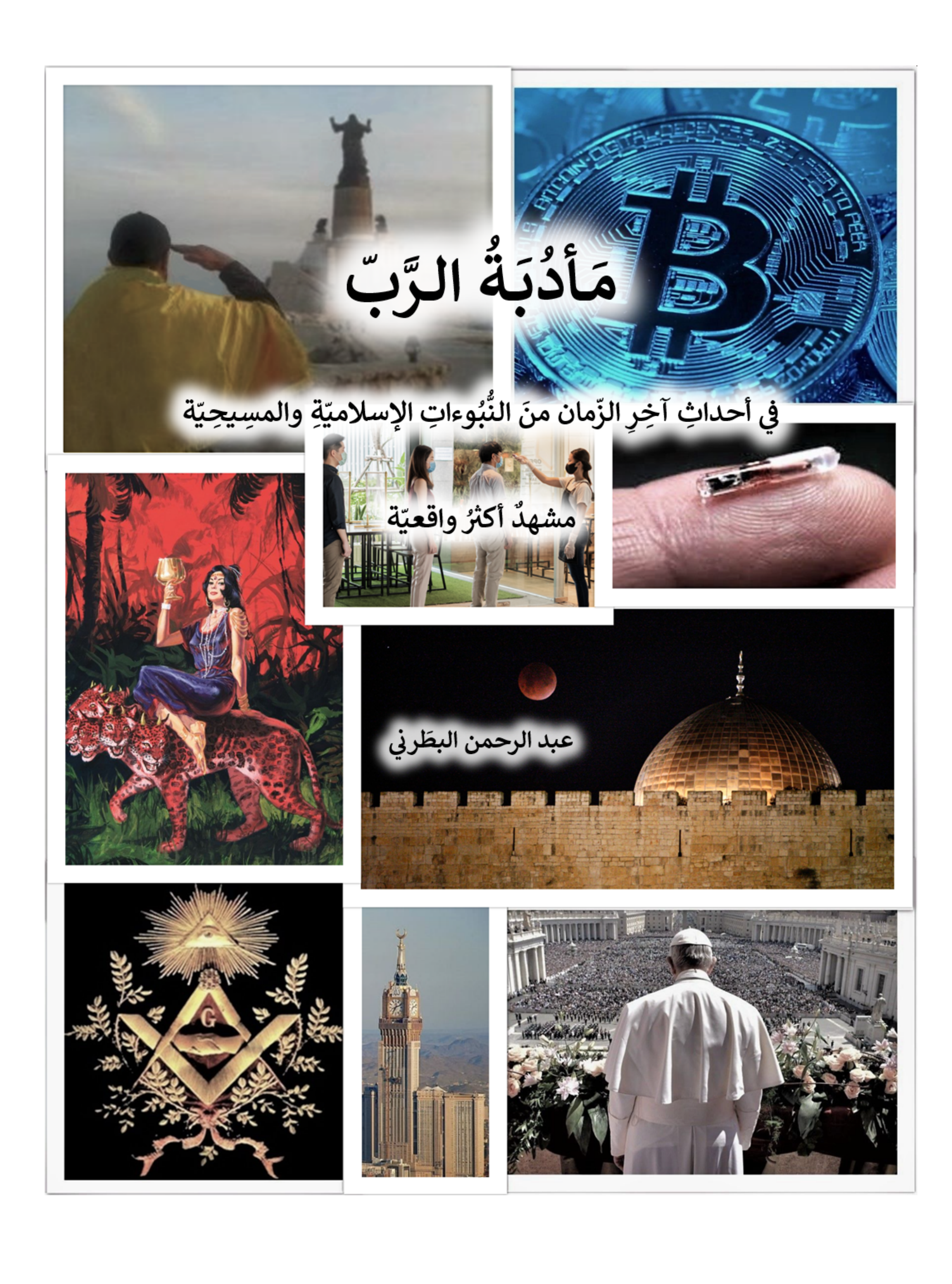

مَأدُبَةُ الرَّبّ
في أحداثِ آخِرِ الزّمان منَ النُّبُوءاتِ الإسلاميّةِ والمسِيحِيّة
مشهدٌ أكثرُ واقعيّة
عبد الرحمن البطَرني

www.endtimeevents.net

الطبعة الأولى

مراجعة: د. يسرى البطرني، حسام سويد، محمد رحال،

رقم ISBN: 978-1-4467-7806-7

الناشر: Lulu Press, Inc. www.lulu.com

مقدِّمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

لطالما كان السؤالُ الذي يجولُ في خاطرِ الكثيرِ من الناس "هل نحن في آخرِ الزمان؟"، وإن كنّا كذلك، هل هذا يعني أنَّ نهايةَ العالمِ باتت قريبةً؟ أم أنّ هذا ليس بالضرورةِ صحيحًا؟ باتت هذه التساؤلاتُ محلَّ الكثيرِ من الجدلِ في جميعِ أصقاعِ الأرضِ، وعبْرَ الكثيرِ من الأزمنة، وكلّما زادتِ المؤشراتُ التي تنذرُ بأننا نشهدُ أحداثَ آخرِ الزمان، كلما صار طرحُ هذا السؤالِ أكثرَ إلحاحًا، والجدلُ حولَه أكثرَ حدّة. على سبيلِ المثال، من الناحيةِ الدينية، نرى أنّ النُّذُرَ العموميةَ التي تحدثَت عنها النبوءاتُ تتحققُ بوتيرةٍ تتزايدُ مع الزمن، كظهورِ الفواحش، وذهابِ الحياءِ، وأكلِ الربا، وأكلِ الناسِ بعضُهم بعضًا، وكثرةِ الفتن، وزواجِ المثليين جنسيًّا، وشيوعِ العُريِ، وقطعِ الأرحام، وعُقوقِ الوالدَين، إلى آخرِهِ من العلاماتِ الغنِيةِ عن التعريفِ، والتي قرأ عنها الجميعُ وسمع عنها الكبيرُ والصغير. أما من الناحيةِ البيئية، فإنَّ الاحتباسَ الحراري وتبعاتِه المتزايدةَ من حرائقَ وفيضانات، والتلوثَ الهوائيَّ والمائي، والتهديدَ الذي تواجهُه الثروةُ النباتيةُ جرّاءَ التصَحُّرِ الهائلِ وغيرِ المسبوقِ، وتهديدَ النحلِ بالانقراض، هي كلُّها أمورٌ لا تُبشِّرُ بمستقبلٍ آمنٍ للحياةِ على الأرض، ناهيك عن احتمالِ نشوبِ حربٍ نوويةٍ مع ازديادِ حدةِ الصراعاتِ العالميةِ الكبرى، أو حربٍ جرثومية، أو ما يُمكنُ أن ينتجَ عن توظيفِ الذكاءِ الصناعيِّ في الشر. أمَّا من الناحيةِ المعيشية، فإننا نجدُ أنَّ أقلَّ من واحدٍ بالمئةِ من سكانِ العالمِ يتحكّمُ بقرابةِ نصفِ ثرواتِ العالم (ما يُقدَّرُ بمئةِ ترليون دولار)، ما يؤدي إلى صعوبةٍ عندَ عامةِ الناسِ في مواجهةِ متطلباتِ الحياةِ، خصوصًا في ظلِّ الأزماتِ الاقتصاديةِ الخانقةِ التي تزايدَت في السنواتِ الأخيرة، إضافةً إلى أزمةِ فيروسِ كورونا المستجدِّ الذي زاد الطينَ بلّةً عند المَيسورين والمتعسّرين من الناسِ على حدٍّ سواء، أضف إلى ذلك، عشراتِ الملايينِ من الناسِ الذين يعيشون في فقرٍ مُطبقٍ ومجاعاتٍ وحروبٍ أهليةٍ مستمرةٍ ونقصٍ في المياهِ والغذاء، خُصوصًا في القارّةِ السمراء. ومن ناحيةٍ أخرى، نجدُ أنَّ هذه الثُّلةَ المتحكمةَ بالثرواتِ قادرةٌ على السيطرةِ على العالمِ من الناحيةِ السياسيةِ والاقتصاديةِ كما الأمنية، حتى باتت مفاتيحُ الدنيا في قبضتِها، وحياةُ ملايينِ الناسِ تحتَ رحمتِها، ما بينَ مطرقةِ المتطلباتِ المعيشيةِ الصعبة، وسندانِ احتكارِ الثرواتِ المفرط. في ظلِّ هذه الصورةِ المُعتِمةِ، وغيابِ الآذانِ الصاغيةِ لنداءاتِ الإصلاحِ الاجتماعيِّ والأخلاقيِّ والبيئيِّ والاقتصادي، يَعتقدُ الكثيرونَ أننا وصلنا إلى الزمنِ الذي يتطلبُ فيه الإنقاذُ يدَ العدالةِ الإلهيةِ لكي تستبدِلَ الشرَّ خيرًا والخوفَ أمانًا والظُّلمَ عدلًا، تطبيقًا للوعودِ الدينيةِ المنصوصةِ في الوحيِ السماويِّ المبارك.

لكن، مِن ناحيةٍ اخرى، نلاحظ انّ الكلامَ في هذا المجالِ كثُرَ، وبات من المحيِّرِ للناسِ إدراكُ حقيقةِ إذا ما كُنا فعلًا دخلنا في آخرِ الزمان. بالأخصِّ، عندما تتحدثُ بعضُ الفرضياتِ عن توقيتٍ محددٍ لبعضِ الأحداثِ الموعودةِ الكبرى، أو أحيانًا عن نهايةِ العالم، كنبوءةِ المايا للعام 2012 م، ونبوءة نوستراداموس للعام 1999 م، ومثلِهما ما صدر عن الكثيرِ من "المتنبئين"، وأحيانًا عن بعضِ رجالِ الدين!

إنطلاقًا من هذه التساؤلاتِ المنطقيِّةِ والمُتزايِدة، أحببتُ أن أبحثَ في أهمِّ النبوءاتِ التي تتعرَّضُ لأحداثِ آخرِ الزمانِ مع الشرحِ والتدقيقِ فيها، غيرَ أنني أحببتُ أن أميِّزَ بحثي هذا عن البحوثِ الكثيرةِ غيرِه التي خاضت في هذا المضمارِ، من خلالِ أن أقومَ بتجميعِ صورةٍ متكاملةٍ مِن مصادرَ إسلاميةٍ ومسيحيةٍ متنوعةٍ، وأن أركِّزَ ولو إلى حدٍّ ما على فهمِ بعضِ التفاصيلِ التي قد تُعتبرُ معجزاتٍ دينية، أو يعتبرُها البعضُ خرافاتٍ غيرَ منطقية، حيثُ سنحاولُ فهمَها بشكلٍ علميٍّ منطقيٍّ واقعيّ، كما يتناسبُ مع زمنٍ نحتاجُ فيه إلى أن نعيدَ النظرَ في بعضِ الفهمِ الشائعِ لبعضِ النصوصِ الدينيةِ، الذي يمكنُ أن يكون أحيانًا فهمًا بدائيًّا غيرَ واقعيٍّ ولا يتناسبُ معَ زمننِا وطبيعتِه، ولا مع المرحلةِ العلميةِ التي نحن فيها.

أسأل اللهَ سبحانه تعالى أن أنالَ منه الرضى والتوفيقَ لتبليغ العلمِ النافعِ للقارئين.

عبد الرحمن البطَرني

آذار 2021

النُّبوءاتُ الإسلاميّة

الفصلُ الأول
التطوّرُ العُمرانيُّ والتقنيّ

التطورُ العمرانيّ

لعلَّ الأحاديثَ التي تضعُنا في إطارِ الفترةِ الزمنيةِ الموعودةِ عمومًا بشكلٍ واضحٍ من دونِ التطرقِ إلى الأحداثِ أو الشخصياتِ على وجهِ الخصوصِ هي الأحاديثُ التي تصفُ شكلَ التطورِ العُمرانيِّ والتطورِ التقنيِّ لآخرِ الزمان.

على سبيلِ المثال، ورد في الحديثِ الشريفِ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم في علاماتِ الساعةِ: (أَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ) [1]، ولا رَيبَ أننا بتنا نشهدُ هذا منذُ العقدِ الأخيرِ من القرنِ الماضي، وبشكلٍ أوضحَ منذُ بداياتِ القرنِ الحالي. يروى أيضًا في سياقِ التطورِ العمرانيِّ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو أنه قال: (إِذَا رَأَيْتَ مَكَّةَ قَدْ بُعِجَتْ كِظَامًا وَرَأَيْتَ الْبِنَاءَ قَدْ عَلَا عَلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ أَظَلَّكَ) [2]، نرى اليومَ مكةَ وقد حُفرَتِ الأنفاقُ في جبالِها، وارتفع بها أحدُ أعلى أبراجِ العالمِ، ومن عجائبِ القدرِ أن يُسمى هذا البرجُ ببرجِ "الساعة" وكأنه يُعرِّفُ عن نفسِه أنه من أماراتِها الموعودة.

على الرغمِ من أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو لم يُصرّحْ أنَّ نصَّ هذا الخبرِ حديثٌ شريفٌ، إلا أنه لا يمكنُ لابنِ عمرٍو أن يأتيَ بمثلِ هذا الإخبارِ من عندِه، كما أنَّ تطابُقَ إخبارٍ كهذا مع الواقعِ يُعدُّ إثباتًا على أنَّ الخبرَ متصلٌ بالنبوءاتِ النبويةِ والوحيِ السماوي.

[1] سنن الدارقطني، حديث رقم: 3639.

[2] مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: 37232.

2- التطورُ التقنيّ

جاء في الحديثِ الشريفِ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَهْلِهِ فَتُخْبِرَهُ نَعْلُهُ أَوْ سَوْطُهُ أَوْ عَصَاهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ) [3]، وجاء في الحديثِ الشريفِ أيضا: (سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى الْمَيَاثِرِ، حَتَّى يَأْتُوا أَبْوَابَ مَسَاجِدِهِمْ..) [4]. المياثرُ، السروجُ العظيمةُ.

ورد عن الإمامِ جعفرِ بنِ محمدٍ الصادقِ قولُه: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي زَمَانِ الْقَائِمِ وَهُوَ بِالْمَشْرِقِ لَيَرَى أَخَاهُ الَّذِي فِي الْمَغْرِبِ، وَكَذَا الَّذِي فِي الْمَغْرِبِ يَرَى أَخَاهُ الَّذِي فِي الْمَشْرِقِ) [5]، القائم، أي المهدي.

ملاحظة:

هناك العديدُ من الأحاديث الموضوعةِ التي تنتشرُ بين الناسِ سواءً من خلالِ الإنترنت، أو من بعضِ الكُتُبِ، مع الأسفِ الشديدِ، مِثلَ ما يُنسبُ للإمامِ عليٍّ: (وَإِنَّ مِنْ ذَرَّةٍ لَنَارًا)، أو قصيدةُ "إذا اتحدَ اليهودُ"، التي تُنسبُ لمحيي الدين بن العربي وغيرِها العديدُ مما يُزعمُ أنه رواياتٍ وأحاديثَ عن النبيِّ أو أصحابِهِ أو أهلِ بيتِهِ، وحقيقةً، لا وجودَ لها في أيٍّ مِن كُتُبِ الحديثِ المُتقدِّمة. أنا لا أُمانعُ تداوُلَ حديثٍ ضعيفِ السندِ فقط في حالِ تطابقَ صريحُ نصِّه مع الواقعِ بشكلٍ واضح، قِياسًا على أخذِ الفقهاءِ بالحديثِ الضعيفِ في حالِ تَطابَقَ مَتنُه مَعَ حديثٍ آخَرَ صحيح، ولكن ينبغي التحذيرُ من موضوعاتٍ مثلِ هذه، لم تردْ إلا في الكتبِ المتأخرة زمنيًّا، ولا أصلَ لها، وذلك لأنَّها وإن تطابقَت مع الواقع، يكونُ تطابُقُها متَعمَّدًا نتيجةَ الوضعِ، أو من بابِ المُصادفةِ، خلافًا للرواياتِ الواردةِ في كُتبِ الحديثِ المتقدِّمة.

[3] مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: 11841.

[4] المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، حديث رقم 8346.

[5] بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج52، ب27، حديث رقم: 213.

الفصلُ الثاني
الأحداثُ السياسيّة

قيام "دولة إسرائيل"

مِن أولى العلاماتِ الفارقةِ في التاريخ ارتباطًا بأحداثِ آخرِ الزمان، ومن أوضحِها كونَها وردَت في القرآنِ الكريمِ وفي العهدِ القديم، اجتماعُ اليهودِ في الأرضِ المقدسةِ مِن أنحاءِ الأرضِ كافةً، وقيامُ ما يُعرَفُ بإسمِ "دولةِ إسرائيلَ" الأخيرةِ وطغيانُهم في الأرض:

يقول عز وجل: (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿4﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿5﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿6﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿7﴾) [6].

وفي موضعٍ آيةٍ أخرى: (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) [7].

مُنذُ قيامِ الحركةِ الصهيونيةِ السياسيةِ بقيادةِ ثِيُودُور هِرتزِل، الداعيةِ إلى قيامِ وطنٍ قوميٍّ لليهودِ في الأرضِ المقدسة، بدأَت الهجرةُ اليهوديةُ إلى فلسطين تتزايدُ بشكلٍ غيرِ اعتيادي، حيثُ أصبحَت فلسطينُ تستقبِلُ كلَّ عامٍ عشراتِ الألوفِ، وأحيانًا مِئاتِ الألوفِ مِن العائلاتِ اليهوديةِ الجديدةِ الآتيَةِ بذريعةِ الحجِّ للأراضي المقدسةِ، على الرُّغمِ من أنَّ هؤلاء الحجيجَ كانوا يستمرُّون بإقامتِهم فيها. هيَّأ ذلك الأرضيةَ المناسبةَ لقيامِ الدولةِ الصهيونيةِ التي سارعِ الدولُ الغربيةُ بالاعترافِ بها، وبعدَها بسنواتٍ، وقعَت مدينةُ القدسِ التي تُعدُّ المدينةَ الأكثرَ قدسيةً لدى الدياناتِ السماويةِ الثلاثِ تحتَ احتلالِ هذه الدولةِ الصهيونيةِ.

تحققَت إذن هذه النبوءةُ على مراحلَ عدةٍ أهمُّها:

بِدءُ الهجرةِ اليهوديةِ إلى الأراضي المقدسة عام 1882.

قيامُ ما يُعرفُ بدولةِ "إسرائيل" عام 1948.

اعترافُ الأممِ المتحدةِ ومُعظمِ دولِ العالمِ بدولةِ "إسرائيل" عام 1949.

احتلالُ الدولةِ الصهيونيةِ لمدينةِ القدس عام 1967.

في الحديثِ عن هذه النبوءة، لا بد لي من ذكرِ بحثٍ للشيخ بسام الجرَّارِ في هذا المجالِ حيثُ قال أنَّ آياتِ سُورةِ الإسراءِ تَحمِلُ أسرارًا عدديَّةً يُمكِنُ مِن خلالِها حسابُ سنةِ تدميرِ دولةِ إسرائيلَ الأولى وسنةَ قيامِ دولة إسرائيلَ الحالية، إذا قُمنا بحسابِ الكلماتِ ابتداءً من أولِّ آيةٍ تأتي على ذكرِ بني إسرائيلَ في السورةِ.

1ـ وَآتَيْنَا 2ـ مُوسَى 3ـ الْكِتَابَ 4ـ وَجَعَلْنَاهُ 5ـ هُدًى
6ـ لِّبَنِي 7ـ إِسْرَائِيلَ 8ـ أَلاَّ 9ـ تَتَّخِذُوا 10ـ مِن
11ـ دُونِي 12ـ وَكِيلًا 13ـ ذُرِّيَّةَ 14ـ مَنْ 15ـ حَمَلْنَا
16ـ مَعَ 17ـ نُوحٍ 18ـ إِنَّهُ 19ـ كَانَ 20ـ عَبْدًا
21ـ شَكُورًا 22ـ وَقَضَيْنَا 23ـ إِلَىٰ 24ـ بَنِي 25ـ إِسْرَائِيلَ
26ـ فِي 27ـ الْكِتَابِ 28ـ لَتُفْسِدُنَّ 29ـ فِي 30ـ الْأَرْضِ
31ـ مَرَّتَيْنِ 32ـ وَلَتَعْلُنَّ 33ـ عُلُوًّا 34ـ كَبِيرًا 35ـ فَإِذَا
36ـ جَاءَ 37ـ وَعْدُ 38ـ أُولَاهُمَا 39ـ بَعَثْنَا 40ـ عَلَيْكُمْ
41ـ عِبَادًا 42ـ لَنَا 43ـ أُولِي 44ـ بَأْسٍ 45ـ شَدِيدٍ
46ـ فَجَاسُوا 47ـ خِلَالَ 48ـ الدِّيَارِ 49ـ وَكَانَ 50ـ وَعْدًا
51ـ مَفْعُولًا 52ـ ثُمَّ 53ـ رَدَدْنَا 54ـ لَكُمُ 55ـ الْكَرَّةَ
56ـ عَلَيْهِمْ 57ـ وَأَمْدَدْنَاكُمْ 58ـ بِأَمْوَالٍ 59ـ وَبَنِينَ 60.وَجَعَلْنَاكُمْ
61ـ أَكْثَرَ 62ـ نَفِيرًا 63ـ إِنْ 64ـ أَحْسَنْتُمْ 65ـ أَحْسَنْتُمْ
66ـ لِأَنْفُسِكُمْ 67ـ وَإِنْ 68ـ أَسَأْتُمْ 69ـ فَلَهَا 70ـ فَإِذَا

ـ71ـ جَاءَ ـ72ـ وَعْدُ ـ73ـ الآخِرَةِ ـ74ـ لِيَسُوءُوا ـ75ـ وُجُوهَكُمْ

ـ76ـ وَلِيَدْخُلُوا ـ77ـ الْمَسْجِدَ ـ78ـ كَمَا ـ79ـ دَخَلُوهُ ـ80ـ أَوَّلَ

ـ81ـ مَرَّةٍ ـ82ـ وَلِيُتَبِّرُوا ـ83ـ مَا ـ84ـ عَلَوْا ـ85ـ تَتْبِيرًا

تعبِّرُ الآياتُ عنِ الوعدِ الأولِ بالانتقامِ الربانيِّ على استعلاءِ وفسادِ مملكةِ إسرائيلَ بكلمةِ (أُولَاهُمَا) وعدَدُها 38، وعنِ الوعدِ الثاني بكلمتَي (وَعْدُ الْآخِرَة) وعددُهما 72 و73، والمُلفِتُ في الأمر أنّ هذه الأعدادَ لو ضربناها ب 19 سنحصلُ على السنواتِ النظيرةِ لوقوعِ هذه الأحداث:

أُولَاهُمَا 38 x19=722: وهي سنةُ تدميرِ مملكةِ إسرائيلَ التاريخية عام 722 ق.م.

وَعْدُ 72 x19=1368: وهي السنةُ الهجريةُ الموافقةُ لسنةِ 1948 – 1949 م، النكبة: قيامُ دولة "إسرائيل" والاعترافُ بها دوليا.

الْآخِرَةِ 73 x19=1387: كذلك الحال، هي السنةُ الهجريةُ الموافقةُ لسنةِ 1967 م، النكسة: احتلالُ القدسِ وعودتِهم إلى الأرضِ المقدسةِ التي طردوا منها.

يشرحُ الشيخُ بسام أسبابَ اختيارِه للعدد 19 الذي يعتبرُه عددًا رمزيًّا لحسابِ السنين، ولِلقارئِ أن يستفيضَ أكثرَ من شرحِه لهذا البحثِ حيثُ إنني أحببتُ أن أنقلَه دون أن أستفيضَ أكثرَ، ويَعتبرُ الشّيخ بسّام أنّ سَنةَ زوالِ إسرائيل هي 1443ه. وعلى الرُّغمِ من أنه يعتبرُه ظنًّا لا يقينًا، إلا أنني أغالِطُه يقينًا، بل وأعتبرُ التوقيتَ لحدثٍ مستقبليٍّ من اختصاصِ المُنجِّمين لا العلَماءِ، وإن كان للمرءِ قناعةٌ ما من هذا القَبيلِ فالأفضلُ أن يحتفظَ بها لنفسِه. ولو أنني أتفقُ معه في أنَّ عمرَ الكيانِ الصهيونيِّ بات في أواخِرِه إن شاءَ اللَه.

[6] سورة الإسراء، الآيات 4 – 7.

[7] سورة الإسراء، آية 104.

الحصار الاقتصادي على بلاد النيل والفرات

يقولُ صلى الله عليه وآله وسلم في الحديثِ الشريف: (مُنِعَتْ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا وَمَنَعَتْ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ) [8].

في عامِ 1990 صدر عن الأممِ المتحدةِ قرارٌ يُفيدُ بفرضِ حصارٍ اقتصاديٍّ شديدٍ على العراقِ إثرَ غزوه للكويت، تسبب الحصارُ بنقصٍ كارثيٍّ في الغذاءِ والدواءِ، ما أدى إلى وفاةِ أكثرَ من مليونٍ ونصفِ المليونِ من أطفالِ العراق. وخلالَ العقدَين الماضيين، فرضَت أمريكا عدةَ سلّاتٍ من العقوباتِ الاقتصاديةِ ضدَّ سوريا، آخرُها في العام 2019، ما يُعرفُ بقانونِ قيصر، الذي أدى إلى تدهورٍ اقتصاديٍّ خانقٍ وانخفاض شديدٍ في قيمةِ العملةِ السورية.

قد يكونُ إذن بانتظارِ مصرَ حصارٌ اقتصاديٌّ أيضًا لم تكشِفِ الأحداثُ عنه بعد، ونتمنى ألا يكونَ ذلك، ولكن يحتملُ أيضًا ألا يكونَ المقصودُ بمصرَ هنا دولةَ مصرَ المعاصرة، فكلمةُ مصرَ بالأصلِ أطلقَت على منطقةِ الدِّلتا وضِفافِ النيلِ وشبهِ جزيرةِ سَيناءَ وما حولَ هذه المناطق، وبالتالي، قد يكونُ المقصودُ هنا الحصارُ القاسي المفروضُ على قطاعِ غزة، ولعلَّ هذا الفهمَ يُفسّرُ وصفَ بعضِ الأحاديثِ لكلٍّ من مصرَ وأكنافِ بيتِ المقدسِ بأنهم في رباطٍ إلى يوم الدين، ولعلَهم هم النجباءُ الذين سيأتي ذكرُهم. في جميعِ الأحوال، يُوجدُ حديثٌ آخرُ بنفسِ السياق، لا يأتي على ذكرِ مصرَ.

روي عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنه: (يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لا يُجْبَى إليهم قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِن أَيْنَ ذَاكَ؟ قالَ: مِن قِبَلِ العَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لا يُجْبَى إليهم دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِن أَيْنَ ذَاكَ؟ قالَ: مِن قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: يَكُونُ في آخِرِ أُمَّتي خَلِيفَةٌ يَحْثِي المَالَ حَثْيًا، لا يَعُدُّهُ عَدَدًا) [9]، وفي هذا الحديثِ بشارةٌ عن معاصرةِ هذين الحصارين لزمانِ ظهورِ المهديِّ.

[8] صحيح مسلم، حديث رقم: 2896، ومسند الإمام أحمد، حديث رقم: 7565.

[9] صحيح مسلم، حديث رقم: 2913، وصحيح ابن حبان، حديث رقم: 6682.

الحرب على العراق

جاء في حديثِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يُوشَكُ الْفُراتُ أنْ يَحْسُرَ عَن كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَرَهُ فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيئًا) [10]، وفي حديث آخر: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسُرَ الْفُراتُ عِن جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ عَليهِ النَّاسُ، فَيُقْتَلُ تِسْعَةُ أَعْشَارِهِمْ) [11]، بينَما يرى الكثيرُ من المفسرين أنّ هذا الحديثَ يتحدثُ عن جبلٍ بمعنى الكلمةِ، واقعٍ تحتَ نهرِ الفرات، أميلُ إلى الرأيِ الذي يعتبرُ أن المقصودَ بهذا الحديثِ الثروة النفطية، أو ما يُعرفُ بالذهبِ الأسود، أما الزيادةُ في نهايةِ الحديثِ التي تتحدثُ عن موتِ تسعةِ أعشارِ المقتَتِلين، فقد ذكرها الشيخُ الألبانيُّ في سياقِ تعليقِه على الحديث بقولِه: (حسنٌ صحيحٌ دونَ قولِه : مِن كلِّ عشرةٍ تسعة، فإنه شاذ) [12]، كما أنّها تعبيرٌ يفيدُ كثرةَ المقتولين، وليست بالضرورة النسبة الفعلية.

يعني لي هنا أن ألفتَ إلى أمرٍ متعلقٍ بالعراق، وهو في قولِه تعالى (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) إلى آخرِ الآيةِ الكريمة، وهو يفيدُ بوضوحٍ أنَّ دمارَ دولةِ "إسرائيل" الأخيرةِ سيكونُ على يدِ نفسِ القومِ الذين هزموهم إبَّانَ دولتِهِمُ الأولى، وهذا ما يُفسرُ الإصرارَ الصهيونيَّ والرغبَةَ المستمرةَ في تدميرِ العَراقِ وإبقائِه ضعيفًا من خلالِ الحصارِ والحربِ وسلبِ الثرواتِ والتنظيماتِ التكفيريةِ وإشعالِ الفتنِ الطائفيةِ بينَ أبناءِ العراقِ.

في الحديثِ الشريفِ: (يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ - فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ) [13].

يعتبرُ معظمُ المفسرين أنَّ لفظةَ (عِنْدَ كَنْزِكُمْ) إشارةٌ إلى مكةَ أو الحجازِ بشكلٍ عام، ولكن أيضًا، لا يُمكنُ إهمالُ الرأيِ الذي يقولُ، إنّ هذا الكنزَ هو نفسُ الكنزِ المذكورِ في الحديثِ السابق، وهو إشارةٌ إلى ما يدورُ مِن صراعٍ محليٍّ وإقليميٍّ على العراقِ بعدَ الاجتياحِ الأمريكيِّ أو أثناءه، وكلا الرأيَين مُحتملان ومنطقيان، وسنعودُ لهذه الرواية في فقرة المهديِّ.

[10] صحيح البخاري، حديث رقم: 7119.

[11] صحيح ابن حبان، حديث رقم: 6696.

[12] صحيح الزوائد للألباني، حديث رقم: 6732.

[13] سنن ابن ماجة، حديث رقم: 4084، مسند أحمد، حديث رقم: 22387.

الحربُ على الشام

الأحاديثُ الواردةُ في أحداثِ الشامِ كثيرةٌ ومتنوعة، قد لا يَسهُلُ فَهمُ مكنونِ بعضِها على الفور، ولكنَّ ارتبَاطَها بالأحداثِ التي شهدَتها سوريا خلالَ سنواتِ الأزمة، ارتباطٌ واضحٌ من دونِ شكّ. منها ما هو عامٌّ ومختصَرٌ ومنها ما يذكُرُ تفاصيلَ وأحداثًا تفصيليةً بعينِها، تندرِجُ في سبيلٍ تُؤدِّي في نهايةِ مطافِها إلى ظهورِ المهديِّ المنتظر.

أ - البدايةُ بالفتنة:

يقولُ سعيدٌ بنُ المسيِّب: (تَكُونُ فِتْنَةٌ بالشامِ كَأَنَّ أَوَّلَهَا لَعِبُ الصِّبْيَانِ، كُلَّمَا سَكَنَتْ مِنْ جَانِبٍ طَمَتْ مِنْ جَانِبٍ، فَلَا تَتَنَاهَى حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: "أَلَا إِنَّ الْأَمِيرَ فُلَانٌ"، وَقَتَلَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ يَدَيْهِ حَتَّى أَنَّهُمَا لَتَنْفُضَانِ فَقَالَ: ذَلِكُمُ الْأَمِيرُ حَقًّا، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) [14].

وبالفعلِ، بدأَت الفتنةُ في سوريا صغيرةً ومُستصغَرَةً (كَأَنَّ أَوَّلَهَا لَعِبُ الصِّبْيَانِ) كحريقٍ شبَّ جراءَ عبثِ فتيةٍ بأعوادِ كِبريت لم يكن يَحسبُ أحدٌ أن تؤديَ إلى إشعالِ بلدٍ بأسرِه. وكلما هدأت في منطِقةٍ بدأت بأخرى حتى غدَت إحدى أسوأ الحروب المعاصرة.

ب - الراياتُ السودُ والراياتُ الصفر:

توضحُ الأحاديثُ التاليةُ كيفيةَ دخولِ الراياتِ السودِ والراياتِ الصفرِ في الحربِ السورية بتفصيلٍ مميزٍ للغاية.

يقولُ الإمامُ عليٌّ بنُ أبي طالب كرم الله وجهه: (إِذَا اخْتَلَفَ الرُّمْحَانِ بِالشَّامِ، لَمْ تَنْجَلِ إِلَّا عَنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ. قِيلَ: وَمَا هِي، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَجْفَةٌ تَكُونُ بِالشَّامِ، يَهْلِكُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ، يَجْعَلُهَا اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنينَ، وَعَذَابًا عَلَى الكَافِرِينَ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَانْظُرُوا إلى أَصْحَابِ البَرَاذِينِ الشُّهبِ المَحْذُوفَةِ، وَالرَّايَاتِ الصُّفْرِ، تُقْبِلُ مِنَ المَغْرِبِ حَتَّى تَحُلَّ بِالشَّامِ، وَذَلِكَ عِنْدَ الجَزَعِ الأَكْبَرِ وَالمَوْتِ الأَحْمَرِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَانْظُرُوا خَسْفَ قَرْيَةٍ مِنْ دِمَشْقَ يُقَالُ لها حَرَسْتَا. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، خَرَجَ ابْنُ آكِلَةِ الأَكبَادِ مِن الوَادِي اليَابِس، حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى مِنْبَرِ دِمَشْقَ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَانْتَظِرُوا خُرُوجَ المَهْدِيّ) [15]، وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمر أنه قال: (إِذَا أَقْبَلَتِ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَالرَّايَاتُ الصُّفْرُ مِنَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَلْتَقُوا فِي سُرَّةِ الشَّامِ فَهُنَالِكَ الْبَلَاءُ، هُنَالِكَ الْبَلَاءُ) [16]، وعن كعبٍ أنه قال: (أَسْلَمُ أَهْلِ الشَّامِ، وأَسْعَدُ أَجْنَادِها بِالرَّايَاتِ الصُّفْرِ أَهْلُ دِمَشْقَ، وَأَشْقَى أَهْلِ الشَّامِ وَأَجْنَادِهَا أَهْلُ حِمْصَ، وَإِنَّهُمْ لَيَغْمُرُنَّ الشَّامَ كَمَا يَغْمُرُ الْمَاءُ الْقِرْبَةَ) [17].

الأحاديثُ الثلاثةُ السابقة تتكلمُ بدقةٍ عن دخولِ رايتَين في الحربِ السوريةِ من خارجِ الشام. الأولى تأتي من ناحيةِ المشرقِ وهي رايةٌ سوداءُ، والثانيةُ من ناحيةِ المغربِ وهي رايةٌ صفراء، وحين تتحدثُ الروايةُ وتستخدمُ

لفظةَ (الرَّايَات) لا بدّ لنا أن نفهمَ أن أصحابَ الراياتِ فئةٌ وليسَت بلدًا أو دولةً. هاتانِ الرايتانِ تُقاتلان حولَ دمشق (سُرَّةِ الشَّام)، والراياتُ الصفرُ تُقاتلُ دفاعًا عن الشام وتسببُ لأهلِها السلمَ والسعدَ، فيما يترتَّبُ على معركتِها الشقاءُ لأهلِ حمصَ، وإذا تأملنا في أحداثِ الحربِ في سوريا ومجرياتِها، نجدُ تطابُقًا تامًّا بين أحداثِها وبينَ ما تذكرُه الرواياتُ الثلاثةُ السابقة.

روي عن الإمام عليٍّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: (إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ فَالْزَمُوا الْأَرْضَ، فَلَا تُحَرِّكُوا أَيْدِيَكُمْ وَلَا أَرْجُلَكُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ ضُعَفَاءُ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، قُلُوبُهُمْ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ، هُمْ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ، لَا يَفُونَ بِعَهْدٍ وَلَا مِيثَاقٍ، يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهِ، أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى، وَنِسْبَتُهُمُ الْقُرَى، وَشُعُورُهُمْ مُرْخَاةٌ كَشُعُورِ النِّسَاءِ، حَتَّى يَخْتَلِفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْحَقَّ مَنْ يَشَاءُ) [18]. يكادُ هذا الحديثُ ينطقُ باسمِ "داعش" لدقةِ توصيفِه لهم، فهم لا يفون بعهدٍ ولا ميثاقٍ، وقلوبُهم خاليةٌ تمامًا من اللينِ والرحمة، وليسوا من الحقِّ في شيء، وتجدُ أسماءَهم "أبو فلان الفلاني"، فأبو فلانٍ كُنية، والفلانيُّ يستخدمونها دائمًا نسبةً إلى بلدةِ صاحبِ الإسم، كالبغداديِّ والشيشانيِّ وغيرهما، فهم كما وصفهم الإمامُ عليٌّ: (أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى، وَنِسْبَتُهُمُ الْقُرَى).

وعن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: (إِذَا اخْتَلَفَ أَصْحَابُ الرَّايَاتِ السُّودِ بَيْنَهُمْ كَانَ خَسْفُ قَرْيَةٍ بِإِرَمَ يُقَالُ لَهَا حَرَسْتَا وَخُرُوجُ الرَّايَاتِ الثَّلَاثِ بِالشَّامِ عِندَهَا) [19].

هذه الروايةُ تتحدثُ عن اختلافٍ بينَ الراياتِ السودِ، وقد دارَت عدةُ معاركَ بينَهم وبينَ المجموعاتِ التكفيريةِ الأخرى، كالنصرةِ وغيرِها من الفصائلِ التي لا تكادُ تختلفُ عنها إلا في المُسمَّياتِ، والتي معظمُ راياتِهم سوداء أيضًا، أما بخصوصِ الخسفِ المذكورِ، والذي تكرر ذكرُه، فسوف نستفيضُ فيه في فصلٍ آخر من بحثِنا.

ج - توقيتُ الدخولِ الروسيِّ في الحرب:

يقولُ الوليدُ بنُ مسلم: (لا تَزَالُ الرَّايَاتُ السُّودُ ظَاهِرَةً عَلَى مَنْ نَاوَأَهَمْ حَتَّى تَدْخُلَ التُّرْكُ مِنْ بَابِ أَرْمِينِيَّةَ) [20]. التركُ هنا هم تركُ الخزرِ وليسوا تُركَ السلاجقةِ الموجودين في تركيا اليوم. تركُ الخزرِ هم أهلُ مناطق أذربيجان وجورجيا ودولِ روسيا الاتحادية، وهو أمرٌ معلومٌ لدى المؤرخين، واللافتُ أنَّ التدخلَ الروسيَّ في الحربِ على داعشٍ بدأ بصاروخين انطلقا من سفينةٍ حربيةٍ على الشواطئ الغربيةِ لبحرِ قزوين شرقَ أذربيجان حيثُ كانت الحدودُ الشرقيةُ للمملكةِ الأرمينيَّة التاريخية، واللافتُ أكثرَ أنَّ داعش لم تبدأ فعليا بالانكفاءِ والهزيمةِ إلا حينَ بدأ الروسُ بدخولِهم العسكريِّ، بل كانت في ذروة توسعِها وقوتِها، بالضبطِ كما تنصُّ الرواية.

د - خروجُ السفياني:

عن الإمامِ جعفرِ الصادق: (أمْسِكْ بِيَدِكَ، هَلاكَ الفُلانيِّ - رَجُلٍ مِن بَنِي العَبَّاسِ - وَخُرُوجَ السُّفْيَانيِّ وَقَتْلَ النَّفْسِ، وَجَيْشَ الخَسْفِ، وَالصَّوْتَ قُلْتُ: وَمَا الصَّوْتُ أَهُو المُنَادِي؟ فَقال: نَعَم، وَبِهِ يُعْرَفُ صَاحِبُ هَذَا الأَمْرِ، ثُمَّ قال: الفَرَجُ كُلُّهُ هَلاكُ الفُلانِيِّ)[21].

من الواضحِ أنَّ شخصيةَ "الفُلانيّ" شخصيةٌ أراد الإمامُ جعفرٌ الصادقُ أن يُخفيَ اسمَها، يُعتقدُ أنه أراد إخفاءَها كونَ اسمِ صاحبِها يُوافقُ اسمَ أحدِ خلفاءِ بني العباسِ المُعاصرين للإمامِ الصادق، ولكنني لا أعتقدُ أنَّ المؤشراتِ على ذلك كافية، فعبارةُ: (رَجُلٍ مِن بَنِي العَبَّاسِ)، هي من صُنعِ المحدثِ، بحكمِ فهمِه للحديث ليس إلا. أما بخصوصِ شخصيةِ "النفس"، فسيأتي ذكرُها لاحقًا.

وبالعودةِ إلى السفياني، فقد اختلفَت الرواياتُ حولَ اسمِه، ولم يثبت له اسمٌ على وجهِ اليقين، لكنَّ نسبَه يعودُ لأبي سفيانَ من ناحيةِ أبيه، ولقبيلةِ كلبٍ من ناحيةِ أمِّه، ويُذكرُ أنّ حركتَه تبدأُ من الوادي اليابسِ (أطرافِ درعًا)، وأنه لا يحكُمُ أكثرَ من تسعةِ أشهر. ولكن خلالَ هذه الفترةِ الوجيزةِ يلعبُ السفيانيُّ دورًا مُهمًا في الأحداثِ، حيثُ يكونُ العدوَّ المتصديَ الأولَ للمهديّ، ناهيكَ عن الوحشيةِ الشديدةِ التي تتصفُ بها حركتُه والتي لم يُسمَعْ عن مثلِها من قبل.

عن الإمامِ علي بنِ أبي طالب كرم الله وجهه: (يَخْرُجُ ابْنُ آكِلَةِ الأَكْبَادِ -زَوْجَةُ أَبِي سُفْيَانَ- مِنَ الْوَادِي الْيَابِسِ حَتّى يَسْتَوِيَ عَلَى مِنْبَرِ دِمَشْقَ)[22].

وعنه أيضا كرم الله وجهه: (يَخرُجَ السُّفيانيُّ معه راياتٌ حُمرٌ، لا تُرَدُّ لهم رايةٌ، حتى يأتوا الكوفةَ، فيَقتُلون الرِّجالَ، ويَبقُرون بُطونَ النِّساءِ، يكونُ مُلكُهم قدْرَ حَمْلِ امرأةٍ تِسعةَ أشهُرٍ، ثم يَصيرُ الناسَ غازِينَ، حتى يَخرُجَ المَهْديُّ متى ما خرَجَ)[23].

وعن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا عبَر السُّفيانِيُّ الفُراتَ، وبلَغ مَوضِعًا يُقالُ له عَاقِرْقُوفَا، مَحا اللهُ الإيمانَ مِن قلبِه، فيَقتُلُ بها إلى نَهرٍ يُقالُ له: الدُّجَيلُ سبعينَ ألفًا مُتَقَلِّدِينَ سُيوفًا مُحَلاةً، وما سِواهم أكثَرُ منهم، فيَظهَرونَ على بيتِ الذهَبِ فيَقتُلونَ المُقاتِلَةَ والأبطالَ ويَبقُرونَ بُطونَ النِّساءِ يَقولونَ: لعلَّها حُبلَى بغُلامٍ)[24].

أما عن مصيرِ السفياني، فتذكرُ عدةُ رواياتٍ أنه تنتهي به الحربُ مع المهديِّ قتيلًا عندَ بحيرةِ طبريَّةَ، وأجدُ ذلك ملفِتًا للغاية، كيف يحاولُ الهروبَ باتجاهِ فلسطينَ المحتلة، ولعله يحاولُ الاحتماءَ بقواتِ الاحتلال، وهذا يدلُّ على خطِّه السياسيِّ الحليفِ لهم.

جاء في الحديثِ الشريف عن نبيِ الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في خبرِ المهديّ: (فَيَقْدَمُ إِلَى الشَّامِ فَيَأْخُذُ السُّفْيَانِيَّ فَيُذْبَحُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَغْصَانُهَا إِلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ)[25].

اما عن سببِ تسميتِه بالسفياني، فلكونِه من وِلدِ ابي سفيان كما جاء في الرواية التالية.

عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (لا يُطَهِّرُ اللهُ الْأَرْضَ مِنَ الظَّالِمِينَ حَتَّى يُسْفَكَ الدَّمُ الْحَرَامُ. ثُمَّ يَقَعُ التَّدَابُرُ وَالِاخْتِلَافُ بَيْنَ أَرَاءِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ فَلَا يَزَالُونَ يَخْتَلِفُونَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْأَمْرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ وِلْدِ أَبِي سُفْيَانَ يَخْرُجُ مِن وَادِي الْيَابِسِ مِنْ دِمَشْقَ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قَبَائِلُ الْعَرَبِ) [26].

ه - قرقيسيا:

معركةُ قرقيسيا هي المعركةُ التي يخوضُها السفيانيُّ ضدَّ أنصارِ المهديِّ في الكوفةِ قبلَ استلامِ المهديِّ قيادةَ الرايةِ الخراسانيةِ، فيتكبَّدُ فيها السفيانيُّ وحلفاؤُه خسائرَ جمّة، ثم ينكفئُ الكوفيون ويلتحقون بالرايةِ الخراسانيةِ في انتظارِ قدومِ المهديِّ إليهم.

عن الإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالب كرم الله وجهه: (يَظْهَرُ السُّفْيَانِيُّ عَلَى الشَّامِ، ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَهُمْ وَقْعَةٌ بِقَرْقِيسِيَا، حَتَّى يَشْبَعَ طَيْرُ السَّمَاءِ وَسِبَاعُ الْأَرْضِ مِنْ جِيَفِهِمْ، ثُمَّ يُفْتَقُ عَلَيْهِمْ فَتْقٌ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَيُقْبِلُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا أَرْضَ خُرَاسَانَ، وَتُقْبِلُ خَيْلُ السُّفْيَانِيِّ فِي طَلَبِ أَهْلِ خُرَاسَانَ، فَيَقْتُلُونَ شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ بِالْكُوفَةِ، ثُمَّ يَخْرُجُ أَهْلُ خُرَاسَانَ فِي طَلَبِ الْمَهْدِيِّ) [27].

هذه الروايةُ الوحيدةُ التي تُروى من طُرقٍ عدّةٍ في أحداثِ معركةِ قِرقِيسيا، وهناك موضوعاتٌ كثيرة، سيأتي ذكرُ بعضِها.

[14] جامع الحديث لابن راشد، حديث رقم: 1364، ونحوه في الفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 973.

[15] غيبة الطوسي، حديث رقم: 476، وغيبة النعماني، ب18، حديث رقم: 16.

[16] الفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 783.

[17] الفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 774.

[18] الفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 573.

[19] الفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 841.

[20] الفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 608.

[21] الغيبة للنعماني، ب14 حديث رقم: 16.

[22] غيبة الطوسي، حديث رقم: 476، وغيبة النعماني، ب18، حديث رقم: 16.

[23] المنتخب من العلل، لابن قدامة، حديث رقم: 204.

[24] تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، م1 حديث رقم: 339، والفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 885.

[25] الحاوي للسيوطي، ج2، ص99، وفتاوى ابن حجر، ص28.

[26] غيبة النعماني، ب14، حديث رقم 55.

[27] مستدرك الصحيحين للحاكم، حديث رقم: 31537، والفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 881، وجامع السيوطي، حديث رقم: 35007، وغيرهم.

5- أنصارُ المهديّ

تذكرُ الرواياتُ عددًا من الشخصياتِ أو الحركاتِ التي يكونُ لها دورٌ مؤثرٌ في الأحداثِ الدائرةِ في آخرِ الزمانِ في بلدانٍ عدةٍ بشكلٍ إيجابيّ، معظمُهم من المناصرين للمهديِّ والمنتصرِين له، وهو ما أحببتُ أن أخصِّصَ له هذه الفِقرة.

أ - المبايِعون:

جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (وَرَجُلٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُبَايَعُ لَهُ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْمَقَامِ، يَرْكَبُ إِلَيْهِ عَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَأَبْدَالُ الشَّامِ، وَنُجَبَاءُ أَهْلِ مِصْرَ، وَنَصِيرُ أَهْلِ الْيَمَنِ، عِدَّتُهُمْ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ) [28]، وفي الحديثِ أيضا: (فيأتِيه ناسٌ مِنْ أهلِ مَكّةَ فيُخرِجونَه وهو كارِهٌ، فيُبايعونَه بينَ الرُّكنِ والمَقامِ، فيُبْعَثُ إليهم جيشٌ مِنَ الشامِ فيُخْسَفُ بهم بالبَيْداءِ، فإذا رأى الناسُ ذلكَ أتَتْهُ أبدالُ الشامِ، وعصائِبُ العِرَاقِ فيُبايعونَه) [29].

وهناك أنصارٌ متفرقون يجتمعون له ويبايعونه بدونِ ميعادٍ كما أشارت الرواياتُ. بعضُهم يأتي مسافرًا للقائِه ومبايعتِه كما تقولُ الروايةُ عن الإمام جعفرٍ الصادقِ: (إِنَّهُمْ لَمُفْتَقَدُونَ عَنْ فُرُشِهِمْ لَيْلًا، فَيُصْبِحُونَ بِمَكَّةَ وَبَعْضُهُمْ يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَارًا يَعْرِفُ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ وَحِلْيَتَهُ وَنَسَبَهُ) [30]، لا ريبَ أنّ الروايةَ تتحدثُ عنِ السفرِ، لا عن طيرانٍ إعجازيّ.

خُصِّص أبدالُ الشامِ بما ورد عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (لَا يَزَالُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ، يَدْفَعُ اللهُ بِهِمْ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْأَبْدَالُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوهَا بِصَلَاةٍ، وَلَا بِصَوْمٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ فَبِمَ أَدْرَكُوهَا؟ قَالَ: بِالسَّخَاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ) [31]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: (الْأَبْدَالُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثُونَ رَجُلًا قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ رَجُلًا) [32].

جاء في خُطبةِ عنِ الإمامِ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (ثُمَّ إِذَا قَامَ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ عَلَى عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ وَأَصْحَابِ طَالُوتَ، وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، كُلُّهُم لُيُوثٌ قَدْ خَرَجُوا مِنْ غَابَاتِهِمْ مِثْلَ زُبَرِ الْحَدِيدِ، لَوْ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِإِزَالَةِ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي لَأَزَالُوهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا، فَهُمُ الَّذِينَ وَحَّدُوا اللهَ تَعَالَى حَقَّ تَوْحِيدِهِ، لَهُمْ بِاللَّيْلِ أَصْوَاتٌ كَأَصْوَاتِ الثَّوَاكِلِ حَزَنًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى، قُوَّامُو اللَّيْلِ صُوَّامُو النَّهَارِ، كَأَنَّمَا رَبَّاهُمْ أَبٌ وَاحِدٌ وَأُمٌّ وَاحِدَةٌ. قُلُوبُهُمْ مُجْتَمِعَةٌ بِالْمَحَبَّةِ وَالنَّصِيحَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَمْصَارَهُمْ) [33].

ب - اليماني:

وهو أهمُّ الشخصياتِ الممهدةِ لظهورِ المهدي، إذ أنه موصوفٌ بأنَّ رايتَه هي أهدى الراياتِ. أما خروجُه، فيكونُ بالتزامنِ مع خروجِ السفياني، وفي روايةٍ، بالتزامنِ مع خروجِ السفياني والخراساني، وتذكرُ روايةٌ عن الإمامِ الصادقِ أن اليمانيَّ زَيديُّ النسب.

ورد عن الإمامِ محمدِ بنِ عليٍّ الباقر عليه السلام: (خُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ وَالْيَمَانِيِّ وَالْخُرَاسَانِيِّ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ نِظَامٌ كَنِظَامِ الْخَرَزِ يَتْبَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَيَكُونُ الْبَأْسُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَيْلٌ لِمَنْ نَاوَاهُمْ، وَلَيْسَ فِي الرَّايَاتِ رَايَةٌ أَهْدَى مِنْ رَايَةِ الْيَمَانِيِّ، هِيَ رَايَةُ هُدًى لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى صَاحِبِكُمْ، فَإِذَا خَرَجَ الْيَمَانِيُّ حُرِّمَ بَيْعُ السِّلَاحِ عَلَى النَّاسِ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِذَا خَرَجَ الْيَمَانِيُّ فَانْهَضْ إِلَيْهِ فَإِنَّ رَايَتَهُ رَايَةُ هُدًى، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَلْتَوِيَ عَلَيْهِ)[34].

وعن الإمام جعفر بنِ محمدٍ الصادقِ عليه السلام أنه قال: (وَخُرُوجُ الْيَمَانِيِّ مِنَ الْيَمَنِ مَعَ الرَّايَاتِ الْبِيضِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَشَهْرٍ وَاحِدٍ وَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ)[35]، وعنه أيضًا قولُه: (الْيَمَانِيُّ وَالسُّفْيَانِيُّ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ)[36].

وأخيرًا، جاء في خُطبةٍ للإمامِ الصادقِ عن علاماتِ ظهورِ المهدي قولُه: (خُرُوجُ رَايَةٍ مِنَ الْمَشْرِقِ وَرَايَةٍ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَفِتْنَةٍ تُظِلُّ أَهْلَ الزَّوْرَاءِ، وَخُرُوجُ رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ عَمِّي زَيْدٍ بِالْيَمَنِ، وَانْتِهَابُ سِتَارَةِ الْبَيْتِ)[37].

ج - الخراساني:

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ إِذْ جَاءَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمَ فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ! قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَقَالَ: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلاءِ سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَطْرِيدًا وَتَشْرِيدًا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ هَا هُنَا مِنْ نَحْوِ الْمَشْرِقِ، أَصْحَابُ رَايَاتٍ سُودٍ، يَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُوهُ، حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيتِي، فَيَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَؤُوهَا ظُلْمًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ الْمَهْدِيُّ)[38].

ومن الواضحِ أنَّ الراياتِ السودَ المذكورةَ هنا والخارجة من خراسان ليست ذاتُها الراياتُ السودُ المذكورةُ في حديثِ "أصحابُ الدولةِ" والتي تخرجُ من مشرقِ الشامِ وتقاتلُ الراياتِ الصفرَ في الشام، ولكنَّها راياتٌ تظهرُ قبلَ ظهورِ المهديِّ مباشرةً، ويُؤكِّدُ ذلك الروايةُ التي تذكرُ اختلافَ أصحابِ الراياتِ السُّودِ فيما بينَهم.

ملاحظة:

خلالَ التاريخ، دأبَت شخصياتٌ عدةٌ على ادعاءِ المهدويةِ، وخصوصًا في الفترةِ العباسيةِ والفاطميةِ، حيثُ كان لهذه الادعاءاتِ أغراضٌ سياسيةٌ قادرةٌ على خِداعِ الناسِ وكسبِ الولاءاتِ وبالتالي، التأثيرِ في مجرياتِ الأمورِ السياسيةِ والعسكريةِ، وسأقومُ بذكرِ أبرزِ هذه الشخصياتِ في فصلٍ لاحقٍ، ولكن ما يهمُّني هنا، كيف تلاعبَ هؤلاءِ المدعون ببعضِ النصوصِ في فترةٍ لم

يكتمِلّ فيها تدوينُ الحديثِ، لكي تتناسبَ مع ادعاءاتِهم، او مع مخططاتِ حراكِهم، أو مع الأحداثِ المعاصرةِ لهم.

مثلًا، جاء في حديثٍ عن أبانَ بنِ عثمانَ قولُه: (قال أبو عبد الله: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْبَقِيعِ حَتَّى أَقْبَلَ عَلِيٌّ عليه السلام فَسَأَلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقِيلَ إِنَّهُ بِالْبَقِيعِ فَأَتَاهُ عَلِيٌّ عليه السلام فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله اجْلِسْ فَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ جَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَسَأَلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقِيلَ لَهُ هُوَ بِالْبَقِيعِ فَأَتَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَأَجْلَسَهُ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ جَاءَ الْعَبَّاسُ فَسَأَلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقِيلَ لَهُ هُوَ بِالْبَقِيعِ فَأَتَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَأَجْلَسَهُ أَمَامَهُ ثُمَّ الْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ أَ لَا أُبَشِّرُكَ أَ لَا أُخْبِرُكَ يَا عَلِيُّ فَقَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ كَانَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عِنْدِي آنِفًا وَ أَخْبَرَنِي أَنَّ الْقَائِمَ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصَابَنَا خَيْرٌ قَطُّ مِنَ اللَّهِ إِلَّا عَلَى يَدَيْكَ ثُمَّ الْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ يَا جَعْفَرُ أَ لَا أُبَشِّرُكَ أَ لَا أُخْبِرُكَ قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ كَانَ جَبْرَئِيلُ عِنْدِي آنِفًا فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الَّذِي يَدْفَعُهَا إِلَى الْقَائِمِ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ أَ تَدْرِي مَنْ هُوَ قَالَ لَا قَالَ ذَاكَ الَّذِي وَجْهُهُ كَالدِّينَارِ وَ أَسْنَانُهُ كَالْمِنْشَارِ وَ سَيْفُهُ كَحَرِيقِ النَّارِ- يَدْخُلُ الْجَبَلَ ذَلِيلًا وَ يَخْرُجُ مِنْهُ عَزِيزًا يَكْتَنِفُهُ جَبْرَئِيلُ وَ مِيكَائِيلُ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْعَبَّاسِ فَقَالَ يَا عَمَّ النَّبِيِّ أَ لَا أُخْبِرُكَ بِمَا أَخْبَرَنِي بِهِ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَقَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قَالَ لِي جَبْرَئِيلُ وَيْلٌ لِذُرِّيَّتِكَ مِنْ وُلْدِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَ فَلَا أَجْتَنِبُ النِّسَاءَ فَقَالَ لَهُ قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ)[39].

نُلاحظُ في هذا الحديثِ التقاءَ نبيِّ اللهِ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعليٍّ بنِ أبي طالب وجعفرٍ بن أبي طالبٍ والعباسِ بن عبد المطلب عندَ البقيع، وهذا يكفي لأن نطرحَ تساؤلاتٍ حولَ الحديثِ لكونِ العباسِ بن عبد المطلب لم يأتِ المدينةَ إلا أسيرًا في بدر، وكان جعفرٌ حينها في الحبشة، أو بعدَ فتحِ مكةَ، وكان جعفرٌ قد استُشهد في مُؤتة، وبذلك يكونُ التقاؤُهما في المدينةِ أمرًا مستحيلًا. والمُلفِتُ أكثر، ارتباطُ مضمونِ الحديثِ ببعضِ الأحداثِ التاريخيةِ التي تكشفُ لنا بعضَ التلاعباتِ التي تحدثَت عنها.

إذا بحثنا في التاريخ، نجدُ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ معاويةَ بنِ عبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب كان قائِدَ ثورةٍ في أواخرِ الزمنِ الأموي، ثم فرَّ مِن الكوفةِ إلى جبالِ أصفهان، وحَكم فترةً من الزمانِ كُلًا مِن أصفهانَ وكَرمان وهمَدان وغيرِهما من المدنِ المحيطة، وادعى بعضُ أتباعِه المهدويةَ له ووضعوا من الحديثِ ما يُوافقُ حراكَه، وذلك قولُ الحديثِ السابقِ (يَدْخُلُ الْجَبَلَ ذَلِيلًا وَيَخْرُجُ مِنْهُ عَزِيزًا).

أيضا، جاء في حديثٍ يُنسبُ لعمارٍ بنِ ياسر رضي الله عنه يتحدثُ فيه عن الأحداثِ السابقةِ لظهورِ المهدي حيثُ يقولُ النَّص: (وتَنْزِلُ التُّرْكُ الْحِيرَةَ وَتَنْزِلُ الرُّومُ فِلَسْطِينَ وَيَسْبِقُ عَبْدُ اللهِ عَبْدَ اللهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ جُنُودُهُمَا بِقِرْقِيسِيَا عَلَى النَّهْرِ وَيَكُونُ قِتَالٌ عَظِيمٌ وَيَسِيرُ صَاحِبُ الْمَغْرِبِ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ وَيَسْبِي النِّسَاءَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِي قَيْس حَتَّى يَنْزِلَ الْجَزِيرَةَ السُّفْيَانِيُّ

فَيَسْبِقُ الْيَمَانِيَّ، وَيَحُوزُ السَّفْيَانِيُّ مَا جَمَعُوا) [40]. وفي هذا الحديثِ تحويرٌ لمجرياتِ الأمورِ لتطبيقِها على أحداثِ قتالِ أبي جعفرٍ المنصور (عبدِ الله بن محمد بن علي العباسي) لعمِّه عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ العباسيِّ وقتلِه له، وجعلَ هذا الحدثَ في إطارِ علاماتِ ظهورِ المهديِّ.

أيضًا، هناك عددٌ من الرواياتِ تتحدثُ عن رايةٍ قَيسيةٍ (قبائلِ شمالِ أفريقيا) تغزو مِصرَ، وتعكِفُ رواياتٌ أخرى على توصيفِ الرايةِ الآتيةِ إلى الشامِ من ناحيةِ المغربِ على أنها رايةٌ مغاربية، تدخلِ الإسكندرية، وهي رواياتٌ موضوعةٌ لكي تتلاءمَ مع أحداثِ توسعِ الدولةِ الفاطميةِ إبّانَ حُكمِ المعزِّ لدينِ اللهِ الفاطميِّ إلى القاهرةِ والاسكندريةِ والشام، ودخولِ قبائلِ البربرِ مصرَ في خضمِّ المعاركِ الدائرةِ آنذاك، خصوصًا إذا علمنا أنَّ عُبَيدَ اللهِ المهديّ، الخليفةَ المؤسسَ للدولةِ الفاطميةِ حاولَ إدعاء المهدويّة. أما لفظةُ المغربِ بالنسبةِ للعربِ قبلَ الفتحِ الإسلاميِّ لأفريقيا، كان يشيعُ استخدامُها آنذاك للتعبيرِ عن الشامِ، أي مغربِ الجزيرةِ العربية، وسيتبينُ لنا هذا في فصلِ العلاماتِ الكبرى حينَ نُوردُ أحاديثَ النارِ الحاشرة.

مثالًا على أحاديث البربر، ففي روايةٍ تُنسبُ لكعبٍ تقولُ: (إِذَا خَرَجَ الْبَرْبَرُ فَنَزَلُوا مِصْرَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَقْعَتَانِ، وَقْعَةٌ بِمِصْرَ، وَوَقْعَةٌ بِفِلَسْطِينَ...)، وروايةٌ أخرى له تقول: (إِذَا رَأَيْتَ الرَّايَاتِ الصُّفْرَ نَزَلَتْ الِاسْكَنْدَرِيَّةَ ثُمَّ نَزَلُوا سُرَّةَ الشَّامِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُخْسَفُ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ...)، وهي رواياتٌ موضوعة.

أما في الرواية التالية عن الإمام جعفرِ بنِ محمدٍ الصادق عليه السلام، فهناك تحويرٌ مقصودٌ وواضح: (يَا سُدَيرُ الْزَمْ بَيْتَكَ وَكُنْ حِلْسًا مِنْ أَحْلَاسِهِ وَاسْكُنْ مَا سَكَنَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَإِذا بَلَغَكَ أَنَّ السُّفْيَانِيَّ قَدْ خَرَجَ فَارْحَلْ إِلَيْنَا وَلَوْ عَلَى رَجِلِكَ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، هَلْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ بِثَلَاثِ أَصَابِعِهِ إِلى الشَّامِ وَقَالَ: ثَلَاثُ رَايَاتٍ، رَايَةٌ حَسَنِيَّةٌ، وَرَايَةٌ أَمَوِيَّةٌ، وَرَايَةٌ قَيْسِيَّةٌ) [41]، والرواية أساسًا تنتهي عند "فارحل إلينا ولو على رجِلِك".

تُشيرُ مُعظمُ الأحاديثِ أنَّ الصراعَ يكونُ بينَ طرفينِ أساسيين ثم تأتي رايةُ السفيانيِّ كرايةٍ ثالثةٍ، ولكن هذه الروايةُ تذكُرُ أنَّ الصراعَ يكون بينَ ثلاثةِ أطراف وأنَّ رايةَ السفياني تأتي كرايةٍ رابعة، والغرض هو إقحامُ القيسيين في الصراعِ على الشامِ! وكذلك بالنسبة لهذه الرواية: (إِذَا خُسِفَ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ، وَسَقَطَتْ طَائِفَةٌ مِنْ غَرْبِيِّ مَسْجِدِهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَجْتَمِعُ التُّرْكُ وَالرُّومُ يُقَاتِلُونَ جَمِيعًا، وَتُرْفَعُ ثَلَاثُ رَايَاتٍ بِالشَّامِ، ثُمَّ يُقَاتِلُهُمُ السُّفْيَانِيُّ حَتَّى يَبْلُغَ بِهِمْ قَرْقِيسِيَا) [42]. مثلُ هذه الرواياتِ أضيفَت أو حُوِّرَت لكي تُوظَّفَ في زمنِ المُعزِّ الفاطميِّ والبرابرةِ والأحداثِ التي شهدَتها مِصرُ والشامُ في تلك الفترةِ، وذلك تماشيًا مع أزمنتِهم وشخصياتِهم وحِراكِهم. أما من الموضوعاتِ المعاصرةِ، فسأدلو بأشهرِ مثالين وأكثرِهم شيوعًا.

في حديثٍ يُنسبُ للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (يَحْكُمُ الْحِجَازَ رَجُلٌ اسْمُهُ عَلَى اسْمِ حَيَوَانٍ إِذَا رَأَيْتَهُ حَسِبْتَ فِي عَيْنِهِ الْحَوَلَ مِنَ الْبَعِيدِ وَإِذَا اقْتَرَبْتَ مِنْهُ لَا تَرَى فِي عَيْنَيْهِ شَيْئًا يَخْلُفُهُ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ عَبْدُ الله) [43]، هذه الروايةُ نقلها السيدُ محمد علي الطباطبائي عن مسندِ أحمد ونقلَها الكثيرُ عن كتابِه "مئتان وخمسون علامة"، إلا أنه لا وجودَ لها في المُسنَد!

وفي روايةٍ تُنسبُ للإمامِ علي كرم الله وجهه: (صَاحِبُ مِصْرَ عَلَامَةُ الْعَلَامَاتِ وَآيَتُهُ عَجَبٌ لَهَا أَمَارَاتٌ، قَلْبُهُ حَسَنٌ وَرَأْسُهُ مُحَمَّدٌ وَيُغَيِّرُ اسْمَ الْجَدِّ، إِنْ خَرَجَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَهْدِيَّ سَيَطْرُقُ أَبْوَابَكُمْ) [44]، أورد هذه الروايةَ محمد عيسى داوود في كتابِهِ "المفاجأة"، ولم ترِدْ في كتابٍ قبله!

وما هذه إلا أمثلةٌ بسيطةٌ بينَ الكثيرِ من المحاولاتِ التي مرَّت عبر التاريخِ قديمًا وحديثًا للعبثِ بالتراثِ الدينيِّ من أجلِ المصالحِ السياسيةِ أو الشخصية، مع الأسف الشديد.

[28] تهذيب التهذيب، لابن عساكر، ج2، ص62، ودلائل الطبري، حديث رقم: 248.

[29] سنن أبي داوود، حديث رقم: 4286. ومسند أحمد، حديث رقم: 26689.

[30] بحار الأنوار للمجلسي، ج 52، ص 368.

[31] مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي، ب10، حديث رقم: 66.

[32][32][32][32] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 22803.

[33] الدر المنظم لابن طلحة الشافعي، ص18، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ص404.

[34] بحار الأنوار للمجلسي، ج52، ص232.

[35] نفس المصدر.

[36] بحار الأنوار للمجلسي، ج52، ص380.

[37] بحار الأنوار للمجلسي، ج86، ب39، حديث رقم: 1.

[38] سنن ابن ماجة، حديث رقم: 4082، مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: 308، والفتن لابن حماد، حديث رقم: 895، ومعجم الطبراني، وغيرهم.

[39] غيبة النعماني، ب14، حديث رقم: 1.

[40] الفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 882، ونحوه في جامع الأحاديث للسيوطي، حديث رقم: 40667.

[41] معجم أحاديث الإمام المهدي، ج3، حديث رقم: 1030.

[42] الفتن لنعيم بن حماد، حديث رقم: 611.

[43] مئتان وخمسون علامة، لمحمد علي الطباطبائي، ص122، وهو ليس المرجع السيد محمد حسين الطباطبائي، اقتضى التوضيح.

[44] المفاجأة لمحمد عيسى داوود، ص505.

الفصلُ الثالث
الفتنُ والابتلاءاتُ والآيات

الفتن

كان من الممكنِ أن أُدرِجَ أحاديثَ الفتنِ في فقَرةِ الأحداثِ السياسيةِ من الفصلِ الماضي، ولكنْ لكونِ أحاديثِ الفتنِ لا تتعمقُ في تفاصيلِ الأحداثِ السياسيةِ، ولا تُخبرُ عن مجرياتٍ بعينِها، فضلتُ أن أجمعَها في فصلٍ خاصٍ بها بدلًا من إدراجِها مع الفصلِ السابق.

أ - فتنُ ما قبلَ آخرِ الزمان:

رُويَ عن نبيِّ اللهِ الأكرمِ صلى الله عليه وآله وسلم : (اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَوتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا تَدَعُ بَيْتًا مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدُرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ فِي ثَمَانِينَ رَايَةٍ تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا) [45].

في تقديري، هذا الحديثُ اختَصَر أهمَّ المحطاتِ التي مرَّت على الأمةِ مُنذُ رحيلِ النبيِّ الأكرمِ، حتى المرحلةِ الأخيرةِ التي تَسبقُ الدخولَ في فترةِ "آخرِ الزمان"، وتحقُّقِ أولى العلاماتِ وهي قيامُ ما يُسمى بدولة إسرائيل، أما بخصوصِ لفظةِ (بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ)، يُقصدُ بها، بينَ يدَي علاماتِها، فالحديثُ يبدأُ بوفاةِ رسولِ اللهِ، ثم فتح بيتِ المقدسِ، وينتهي بالهدنةِ بينَ المسلمين وبينَ الغربِ، التي تنطبقُ على "هدنة مودروس" التي كانت بينَ الدولةِ العثمانيةِ وبينَ الحلفاءِ بعد الحربِ العالميةِ الأولى، والتي انتهَت باحتلالِ الحلفاءِ لتركيا وشواطئَ البحرِ الأسودِ. أمّا لفظةُ (يَأْتُونَكُمْ فِي ثَمَانِينَ رَايَةٍ تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا)، فهي جيوشُ الانتداب.

ب - فتنةُ الأحلاسِ وفتنةُ السَّرّاء:

ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم إذ سُئل عن فتنةِ الأحلاس: (هِيَ فِتْنَةُ هَرَبٍ وحَرَبٍ ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَلُهَا أَوْ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي) [46].

الملفتُ في هذا الحديثِ، إيجازُه في وصفِ فتنةِ الأحلاسِ رغمَ أنَّ السؤالَ كان عنها، وتعدادُه لغيرِها من الفتنِ معها، وقد يُفهَمُ من ذلك أنَّهما فِتنتانِ يترابطُ بعضُهما ببعض، أو أنَّ أولاهما ستُؤدِّي إلى التي تليها.

يقولَ صلى الله عليه وآله وسلم في الأحلاسِ أنها هربٌ وحرب، وقد ذكر شُراحُ الحديثِ أنَّ كلمةَ حرَب هنا بفتحِ الراءِ، لا سكونِها، والحرَبُ (نَهْبُ مَال الْإِنْسَانِ وَتَرْكُه لَا شَيْء لَهُ) [47]، ولكنْ بكِلا المعنيَين، تنطبقُ أوصافُ هذه الفتنةِ على سياسةِ "التجنيدِ الإجباريِّ، ومصادرةِ الأملاكِ والأرزاقِ" كما وصَفَها قادةُ الثورةِ العربيةِ الكبرى، وعلى رأسِهم الشريفُ حسين، الذي بدورِه يُعدُّ مصداقَ قولِ: (رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي)، وهذا ما يُصادقُ على وصف الفتنَةِ السراء، إذ أنها أسرّت مَن وقعوا فيها واتبعوها، لظنهم أنها ستُغيرُ حالَهم للأفضلِ، بينما أخذَتهم من السيّءِ إلى الأسوأ.

ج - فتنةُ الدُّهَيماء:

يذكرُ الحديثُ نفسُه فتنةً أُخرى إذ يقول: (ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً فَإِذَا قِيلَ انْقَطَعَتْ تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فِسْطَاطَيْنِ فِسْطَاطُ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفِسْطَاطُ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ إِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ) [48]، لا ريبَ عندي أن هذه الفتنةَ هي الفتنةُ الأخيرة لكونِها أصعبَ الفتنِ وأقساها، ولكونِها شامِلةً للعربِ، ولكونِها تقسمُ الناسَ بينَ فريقَينِ مختصمَين بينَ الحقِّ والباطل.

[45] صحيح البخاري، حديث رقم: 3176.

[46] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 6168، وسنن أبي داوود، حديث رقم: 4242.

[47] عون المعبود على سنن أبي داوود، تفسير الحديث رقم: 4242.

[48] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 6168، وسنن أبي داوود، حديث رقم: 4242.

الابتلاءات

أ - طاعونٌ وجراد:

ورد عنِ الإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالب كرم الله وجهه: (بَيْنَ يَدَيِ الْقَائِمِ مَوْتٌ أَحْمَرُ وَمَوْتٌ أَبْيَضُ وَجَرَادٌ فِي حِينِهِ وَجَرَادٌ فِي غَيْرِ حِينِهِ كَأَلْوَانِ الدَّمِ، فَأَمَّا الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ فَالسَّيْفُ، وَأَمَّا الْمَوْتُ الْأَبْيَضُ فَالطَّاعُونُ) [49].

كما هو معلومٌ أنَّ من أنواعِ الابتلاءاتِ التي يُرسلُها اللهُ تعالى عقابًا أو نذيرًا الجرادَ، وقد وردَت مِثلُ ذلك في القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريفِ، كقولِه تعالى في سورة الأعرافِ عن بني إسرائيل: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا).

أما الطَّاعونُ، فهو ليس بالضرورةِ أن يكونَ مرضَ الطاعونِ بذاتِه، ولكنِ المقصودُ كنايةٌ عن الأوبئةِ المميتةِ وشديدةِ الانتشارِ، مثلما كان الطاعونُ والكوليرا والأنفلونزا الإسبانيةُ، ومثلَ ما نشهدُه اليومَ من انتشارٍ شديدٍ لمرضِ كُورُونا المُستجِدِّ كوفِيد-19 Covid-19 الذي غيرَ العالم، وربما يغيرُ التاريخ.

تزامنًا من بدء انتشارِ هذا المرضِ القاتل، اجتاحت أسرابٌ هائلةٌ من الجرادِ كثيرًا من البلدانِ العربية، مثلَ السعوديةِ وغيرِها من بلدانِ الخليج، ومصرَ وغيرِهم، كما في الحديث.


[أ]

ب - سيفٌ بينَ العرب:

ورد عنِ الإمامِ محمدٍ بنِ عليٍّ الباقرِ أنه قال: (لَا يَقُومُ الْقَائِمُ إِلَّا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَزَلَازِلَ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ يُصِيبُ النَّاسَ، وَطَاعُونٌ قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَيْفٌ قَاطِعٌ بَيْنَ الْعَرَبِ، وَاخْتِلَافٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَشَتُّتٍ فِي دِينِهِمْ، وَتَغَيُّرٍ فِي حَالِهِمْ، حَتَّى يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّي الْمَوْتَ صَبَاحًا وَمَسَاءً مِنْ عِظَمِ مَا يَرَى مِن تَكَالُبِ النَّاسِ وَأَكْلِهِمْ بَعْضَهُمْ بَعْضًا) [50]، سيفٌ بينَ العربِ، وما أكثرَ سُيوفَ العربِ على العربِ! لا يُستغرَبُ ذلك ولا يُستبعَدُ عما يحصُلُ الآنَ، ولكن يبدو مِن الروايةِ أنَّ الطاعونَ يسبِقُ السيفَ الذين يقعُ بينَ العربِ، أي أنَّ حربًا

ستقومُ بينِ العربِ بعدَ انتشارِ هذا الوباءِ الخطيرِ بوقتٍ قليل، وهيٍ غيرُ الحروبِ التي وقعَت قبلَ ذلك.

ج - سنةُ الجوع:

ورد عن نبيِّ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (إِذَا رَأَيْتُمْ عَمُودًا أَحْمَرَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَادَّخِرُوا طَعَامَ سَنَتِكُمْ، فَإِنَّهَا سَنَةُ جُوعٍ) [51]، ولا بدّ أن أذكرَ أنه حديثٌ ضعيف، وكذلك الحال بالنسبة للحديثِ التالي، ولكن فضلتُ أن أوردَهما لترادفِ المعنى فيهما.

ورد عن الإمام الصادقِ عليه السلام أيضا قولُه: (يُزْجَرُ النَّاسُ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ عَنْ مَعَاصِيهِمْ بِنَارٍ تَظْهَرُ فِي السَّمَاءِ، وَحُمْرَةٍ تُجَلِّلُ السَّماءَ، وَخَسْفٍ بِبَغْدادَ، وَخَسْفٍ بِبَلَدَةِ الْبَصْرَةِ، وَدِمَاءٍ تُسْفَكُ بِها، وَخَرَابٍ دُورِها، وَفَنَاءٍ يَقَعُ فِي أَهْلِهَا، وَشُمُولِ أَهْلِ الْعِرَاقِ خَوْفٌ لا يَكُونُ لَهُمْ مَعَهُ قَرارٌ) [52]. وورد عنه أيضًا في قوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [53]، فِي حديثِه لجابر الجَعفي: (وَأَمَّا الْجُوعُ فَقَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ، وَأَمَّا الْخَوْفُ فَبَعْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ) [54]، فإذا ربطْنا بينَ الروايتين، نَستنتجُ أنها من العلاماتِ القريبةِ جدًّا لخروجِ المهدي.

[49] بحار الأنوار للمجلسي، ج52، حديث رقم 59، وغيبة النعماني، ج227، حديث رقم: 61.

[50] بحار الأنوار، ج52، حديث رقم: 100.

[51] الجامع الصغير للسيوطي، حديث رقم: 640.

[52] بحار الأنوار للمجلسي، ج52، حديث رقم: 222.

[53] سورة البقرة، آية: 155.

[54] بحار الأنوار للمجلسي، ج52، حديث رقم: 94.

3- الآيات

أ - هدمُ حائطِ مسجدِ الكوفة:

ورد عن الإمام جعفرٍ الصادقِ أنه قال: (إِذَا هُدِمَ حَائِطُ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ مِمَّا يَلِي دَارَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ زَوَالُ مُلْكِ الْقَوم، وَعِنْدَ زَوَالِهِ خُرُوجُ الْقَائِمِ) [55].

وقد حصلَت حادثةٌ عجيبةٌ في عامِ 2013، في مسجدِ الإمامِ عليٍّ كرم الله وجهه، حيثُ انهارت واجهتُ الجدارِ الخارجيِّ بجانبِ بابِ المسجدِ، تزامنًا مع ذكرى استشهادِه!



[ب]

ب - رجفة الشام:

وردَت عدةُ أحاديثَ تشيرُ إلى حصولِ رجفةٍ في الشامِ، تنخسِفُ بها قريةٌ من القرى الجانبيةِ لدمشق. بعضُها تذكرُ قريةَ "حرستا" بالاسمِ، وبعضُها الآخرُ يذكرُ "الجابية" وكِلتاهُما من القرى الموجودةِ في ضواحي دمشق.

ورد عنِ الإمام عليٍّ كرم الله وجهه: (إِذَا اخْتَلَفَ الرُّمْحَانِ بِالشَّامِ لَمْ تَنْجَلِ إِلَّا عَنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَجْفَةٌ تَكُونُ بِالشَّام، يَهْلَكُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ، يَجْعَلُهَا اللهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَذَابًا عَلَى الْكَافِرِينَ) [56]، وقد سبق وذكرنا الحديث بطوله.

ربما يتساءلُ البعضُ، كيف تَنجلي أحداثُ الشام بالرجفة ثم تبدأُ المعاركُ فيها، أقولُ، قولُه (فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ) يعودُ على اختلافِ الرُّمحين، أما الرجفةُ فهي في نهايةِ هذه الحربِ بينَ الطرفين وقبلَ خروجِ السفياني كما يتبينُ في بقيةِ الحديث. يؤكدُ ذلكَ ما ورد عن خالدٍ بنِ معدان: (لَا يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ حَتَّى يُخْسَفَ بِقَرْيَةٍ بِالْغُوطَةِ تُسَمَّى حَرَسْتَا) [57].

وعن الإمام محمدٍ بن عليٍّ الباقرِ أنه قال: (وَيُخْسَفُ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الشَّامِ تُسَمَّى الْجَابِيَةُ وَتَسْقُطُ طَائِفَةٌ مِنْ مَسْجِدِ دِمَشْقَ الْأَيْمَنِ) [58]، بغض النظرِ عن اختلافِ اسمِ القريةِ التي سوف تُخسفُ حسبَ الرواياتِ، لا بدَّ من خسفِ بقريةٍ من قرى الشامِ، وربما يشملُ الخسفُ القريتَين جراءَ الرجفةِ

المذكَورةِ، كَما يُذكرُ سقوط َجانبٍ من مسجدِ دمشقَ، وهذا يرجِّحُ احتمالَ أن تكونَ رجفةٌ كبرى تؤدي إلى كلِّ ما سبقَ، ونسألُ اللهَ تعالى اللّطف.

ج - النداءُ السماويّ:

مر معنا ذكرُ النداءِ السماويِّ في عدةِ مراتٍ قبل هذهِ الفقرة، وهو بمثابةِ إعلانٍ عن أنَّ خروجَ المهديِّ المنتظرِ باتٍ وشيكًا جدًّا، يُنادي النداءُ باسمِ المهديِّ، يسمعُه كلُّ قومٍ بلسانِهم. أتركُكم مع الرواياتِ والتفسير:

ورد في حديثٍ لسيفٍ بنِ عميرة قال فيه: (كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ فَقَالَ: يَا سَيْفُ لَا بُدَّ مِنْ مُنَادٍ يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ بِاسْمِ رَجُلٍ مِنْ وِلْدِ أَبِي طَالِبٍ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَرْوِي هَذَا؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِسَمَاعِ أُذُنِي لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مَا سَمِعْتُهُ قَبْلَ وَقْتِي هَذَا، قَالَ يَا سَيْفُ، إِنَّهُ لَحَقٌّ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يُجِيبُ، أَمَا إِنَّهُ نِدَاءٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمِّنَا فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ وِلْدِ فَاطِمَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا سَيْفُ، لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ -وَلَوْ يُحَدِّثُنِي بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ- مَا قَبِلْتُهُ، وَلَكِنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ[59]).

وفي روايةٍ عنِ الإمامِ جعفرٍ الصادقِ: (يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ قُدَّامَ هَذَا الْأَمْرِ خَمْسُ عَلَامَاتٍ، النِّدَاءُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَخُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ، وَخُرُوجُ الْخُرَاسَانِيِّ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ، وَخَسْفٌ بِالْبَيْدَاءِ، ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قُدَّامَ ذَلِكَ الطَّاعُونَانِ، الطَّاعُونُ الْأَبْيَضُ، وَالطَّاعُونُ الْأَحْمَرُ، قُلْتُ، جُعِلْتُ فِدَاكَ وَأَيُّ شَيْءٍ هُمَا؟ فَقَالَ أَمَّا الطَّاعُونُ الْأَبْيَضُ فَالْمَوْتُ الْجَارِفُ، وَأَمَّا الطَّاعُونُ الْأَحْمَرُ فَالسَّيْفُ، وَلَا يَخْرُجُ الْقَائِمُ حَتَّى يُنَادَى بِاسْمِهِ مِنْ جَوْفِ السَّمَاءِ[60]).

وجاء عنِ الإمامِ الصادقِ عليه السلام قولُه: (يُنَادِي مُنَادٍ بِاسْمِ الْقَائِمِ عَلَيهِ السَّلَامُ، قُلْتُ: خَّاصٌّ أَوْ عَامٌّ؟ قَالَ: عَامٌّ يَسْمَعُ كُلُّ قَوْمٍ بِلِسَانِهِمْ، قُلْتُ: فَمَنْ يُخَالِفُ الْقَائِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ نُودِيَ بِاسْمِهِ؟ قَالَ: لَا يَدَعُهُمْ إِبْلِيسُ حَتَّى يُنَادِيَ فِي آخِرِ اللَّيلِ وَيُشَكِّكُ النَّاسَ[61]).

يذهبُ جمهورُ المُفسرين إلى أنه نداءُ جبريلَ عليه السلام استنادًا لبعضِ الرواياتِ، بينَما يَعتبرُ البعضُ الآخرُ من المفسرين أنّ فكرةَ إعلانِ اقترابِ ظهورِ المهديِّ من خلالِ نداءٍ سماويٍّ، إنما هو تأويلٌ للإعلانِ عن ذلك مِن خلالِ بثِّ الأقمارِ الصناعيةِ، ووسائلِ الإعلامِ، وذلك هو المقصودُ بكونِه نداءً سماويًّا، وذلك تفسيرُ أنَّ الناسَ يسمعونه بألسنتِهم ولغاتِهم، وأنَّ الإمامَ الصادقَ يقصدُ هنا طمأنةَ تلامذتِه أنَّ لخروجِ المهديِّ إعلانًا سيَسمعُ به أهلُ الأرضِ جميعًا يومئذٍ ليتسنى لهم أن يأتوا إليه ويبايعوه. أمَّا بالنسبةِ للنداءِ الإبليسيّ، فهو عملُ الإعلامِ المعادي للمهديِّ وأنصارِه والكارهِ لخروجِه.

بالنسبةِ لي، فأنا ميَّالٌ إلى حملِ الرواياتِ على ما يَقبلُ القانونَ العلميَّ في عمومِ ما تحملُه نبوءاتُ آخرِ الزمانِ من ذِكرٍ للأعاجيبِ والمعاجزِ، ويُقوي عندي هذا الرأيَّ في مسألةِ النداءِ كونُ الرواياتِ التي تنسبُ النداءَ الأولَ لجبريلَ تخلطُ ما بين النداءِ والصيحةِ وهذا مؤشرٌ على

وقوعِ التصحيف. لكن، في نفسِ الوقتِ، لا بدّ من دلالةٍ لا ريبَ فيها تُؤكدُ للناسِ أنَّ المهديَّ هو المهديُّ حقًّا، وذلك لأسبابٍ كثيرةٍ، من أهمِّها، كثرةُ المدَّعين قبلَ الظهور، وظهورُ الأصواتِ المشككةِ بعدَ الظهور، خاصةً، من الإعلامِ المأجور.

ملاحظة:

بخصوصِ أحاديثِ الصيحة التي تصِفُ النداءَ السماويَّ بالصيحةِ الكارثيةِ التي تُهلكُ من يسمعُها، فلا يصحُّ منها شيء، بل هذه الأحاديثُ تحددُّ موعدًا مُوَقَّتًا، وهو ليلةُ الخامسِ عشرَ من رمضانَ إن وافقَت ليلةَ جمعة، وهو يفتحُ بابَ التوقيتِ المنهيِّ عنه، كما أنها تحضُّ على تجنبِ الاستماعِ! فكيف يُمكنُ للإعلانِ عن المهديِّ وظهورِه أن يكون سببًا لهلاكِ المُستمِعِ إليه؟ ولماذا تُنهى عن الاستماعِ إلى بشارةِ اقترابِ ظهورِه التي ينتظرُها كلُّ مؤمنٍ، وكيف تكونُ هلاكًا؟ لا ريبَ أن هكذا أحاديثَ من الموضوعات، نورد مثاليَن عنها:

جاء فيما يُنسبُ للحديثِ الشريف: (إِذَا كَانَ صَيْحَةٌ فِي رَمَضَانَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَعْمَعَةٌ فِي شَوَّالَ، وَتَتَمَيَّزُ الْقَبَائِلُ فِي ذِي الْقِعْدَةِ، وَتُسْفَكُ الدِّمَاءُ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَمَا الْمُحَرَّمُ - يَقُولُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! يُقْتَلُ النَّاسُ فِيهِ هَرْجًا هَرْجًا، قُلْنَا وَمَا الصَّيْحَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هَدَّةٌ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَتَكُونُ هَدَّةٌ تُوقِظُ النَّائِمَ وَتُقْعِدُ الْقَائِمَ وَتُخْرِجُ الْعَوَاتِقَ مِنْ خُدُورِهِنَّ فِي لَيْلَةِ جُمُعَةٍ فِي سَنَةٍ كَثِيرَةِ الزَّلَازِلِ وَالْبَرْدِ، فَإِذَا وَافَقَ شَهْرُ رَمَضَانَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ فَادْخُلُوا بُيُوتَكُم وَأَغْلِقُوا أَبْوَابَكُم وَسُدُّوا كُوَاكُمْ وَدَثِّرُوا أَنْفُسَكُمْ وَسُدُّوا آذَانَكُم، فَإِذَا أَحْسَسْتُمْ بِالصَّيْحَةِ فَخِرُّوا للهِ سُجَّدًا وَقُولُوا: سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ، رَبَّنَا الْقُدُّوسِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ هَلَكَ)[62].

ويُنسبُ إليه صلى الله عليه وآله وسلم كذلك: (يَكُونُ صَوْتٌ فِي رَمَضَانَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ أَوْ فِي وَسَطِهِ أَوْ فِي آخِرِهِ؟ قَالَ: بَلْ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْجُمْعَةَ، يَكُونُ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ يُصْعَقُ لَهُ سَبْعُونَ أَلفا، ويخرس سَبْعُونَ أَلْفًا، وَيُعْمَى سَبْعُونَ أَلْفًا، وَيُصَمُّ سَبْعُونَ أَلْفًا. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنِ السَّالِمُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: مَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَتَعَوَّذَ بِالسُّجُودِ وَجَهَرَ بِالتَّكْبِيرِ لِلَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ يَتْبَعُهُ صَوْتٌ آخَرُ، فَالصَّوْتُ الأَوَّلُ صُوتُ جِبْرِيلَ، وَالصُّوتُ الثَّانِي صَوْتُ الشَّيْطَانَ)[63].

أيضًا، تكثرُ الرواياتُ التي تتحدثُ عن آياتٍ ومعجزاتٍ أُخرى تظهرُ على أنها من النبوءات. على سبيلِ المثال، يُذكرُ كفٌّ ووجهٌ في السماءِ، وكوكبٌ مُذنَّبٌ يلتقي طرفاه، وخيطٌ أبيضُ يتدلى من السماء، ويُذكرُ كسوفٌ شمسيٌّ في النصفِ من رمضانَ وخسوفٌ قمريٌّ في آخرِه، إلى آخرِ تلك الأقوالِ المليئةِ بالمبالغات، ولا شكَّ أنه لم يصحَّ من ذلكَ شيء، بل معظمُ تلكَ الأحاديثِ من الموضوعاتِ كما بيَّن العديدُ من العلماءِ والباحثين.

إضافةً إلى ما سبق، يحلو لبعضِ المواقعِ على الإنترنت ان تروِّجَ لأحداثٍ تعتبرُها مُرتقبةً ومن علامَاتِ الساعةِ أو من علاماتِ الظهور مع الأسفِ الشديد، وقدِ انتشر بعضُها بشدة. على سبيلِ المثال، قصةُ كوكبِ نِيبِيرُو الذي يسمونه الآن "الكوكبُ الطارق" لكي يربطوه بالقرآنِ الكريمِ لِيُضفوا على خُزعبلاتِهم صبغةً الأدلةِ السماوية. قضيةُ هذا الكوكبِ أثيرتَ للمرةِ الأولى عام 1995 عن طريقِ امرأةٍ أمريكيةٍ تدَّعي الاتصالَ مع مخلوقاتٍ فضائية، ومع الوقت، تحولت هذه القصةُ إلى نبوءةٍ دينية، وبعد ذلك، تم ربطُها بسورةِ الطارق، ثمَّ بأحاديثِ عمودِ النارِ، ثمَّ بالأحاديثِ الضعيفةِ التي تتحدثُ عن الكوكبِ المُذنّب، وهلمَّ جرا. والأنكى أنَّ هذه الترّهاتِ لا تتماشى مع حقيقةِ هذا الكوكبِ العلميةِ بسببِ حجمِه العملاقِ ومسارِه البعيدِ جدًّا.

أيضًا، هناك من يربطُ بينَ الصيحةِ وبين مُذنّبٍ يحملُ غازَ الأمونيا، ويعتبرون أنّ الغازَ هذا هو الدُّخانُ المذكورُ في القرآنِ الكريمِ في سورةِ الدخان، دونَ تقديمِ أيِّ دليلٍ علميٍّ على وجودِ مثل هذا المذنبَ، ولا تقديمِ دليلٍ نصيٍّ يربطُ بينَ الدخانِ وبينَ الصيحةَ.

[55] الإرشاد للشيخ المفيد، ص360، ونحوه في غيبة الطوسي، ص271.

[56] غيبة الطوسي، حديث رقم: 476، وغيبة النعماني، ب18، حديث رقم: 16.

[57] تاريخ دمشق لابن عساكر، ج2، ص216، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ج1، ص247.

[58] غيبة الطوسي، ج1، ص150، وبحار الأنوار للمجلسي، ج13، ص164.

[59] عقد الدرر ليوسف بن يحيى السلمي الشافعي عن نعيم ابن حماد، ج1، ص175، والإرشاد للشيخ المفيد، ص404.

[60] بحار الأنوار للمجلسي، ج52، حديث رقم: 48.

[61] بحار الأنوار للمجلسي، ج52، حديث رقم: 35.

[62] جامع السيوطي، ج37، حديث رقم: 40110، ومسند الشاشاني، ج2، حديث رقم: 837، وغيرهما.

[63] المعجم الكبير للطبراني، ج18، حديث رقم: 853، ولآلئ السيوطي، ج2، ص323.

الفصلُ الرابع

العلاماتُ الكبرى

أماراتُ الساعةِ الكبرى، أو ما يُعرفُ بالعلاماتِ الكبرى، وهي أهمُّ النبوءاتِ التي تنذِرُ باقترابِ نهايةِ الدنيا وأكبرُها. وقد نجدُ بعضَ الاختلافِ في تصنيفِها ودلالةِ تصنيفها، ولكن لا يوجدُ خلافٌ في مجملِ هذه العلاماتِ أو أهميةِ أيٍّ منها. يعتمدُ معظمُ العلماءِ والباحثين في هذا المجالِ، عندما يتعلقُ الأمرُ بتصنيفِ العلاماتِ الكبرى، على حديثٍ يذكرُ عشْرَ نبوءاتٍ موعودةٍ تعدُّ كبرى الأهوالِ المخيفةِ في التراثِ الإسلاميّ. إلا أنّه ليس الرأيَ الوحيدَ.

جاء عن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الشريف: (إِنَّ السَّاعَةَ لا تَكُونَ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ، خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدَنٍ تُرَحِّلُ النَّاسَ)، وفي روايةٍ (تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ) [64].

وقبلَ أن نُفصِّلَ في هذه الأحداثِ واحدًا واحدًا، علينا أن نناقشَ، هل فعلًا هذه هي العلاماتُ الكبرى جميعًا؟ يذهبُ البعضُ إلى أنَّ هذا الحديثَ يذكرُ أسوأَ الأهوالِ التي ستكونُ قبلَ يومِ القيامةِ وليس بالضرورةِ أن هذا الحديثَ يُحصي جميعَ العلاماتِ الكبرى.

على سبيلِ المثال، نجدُ أنَّ هبوبَ الريحِ الطيبةِ التي تقبضُ روحَ المُؤمنين ليس مذكورًا في هذا الحديثِ، رغم أنّه حدثٌ جلل، ومن أواخرِ الأحداثِ قبلَ انقضاءِ الدنيا، ولا شكَّ عندَ أحدٍ أنه علامةٌ جليةٌ على قربِ أوانِ الساعة. ونجدُ أيضًا أنّ ظهورَ المهديّ ليس مذكورًا أيضًا، رغم أنّ الحديثَ يذكرُ الخسوفاتِ التي تقع، وهي من الأحداثِ المُبشِّرةِ بظهورِه. كيف إذن يمكنُ أن نعتبرَ أنّ هذا الحديثَ يشتملُ على جميعِ العلاماتِ الكبرى؟ بل هو يذكرُ الأهوالَ الكبرى التي تقعُ قبلَ يومُ القيامة. على هذا النحو، لن نقتصرَ خلالَ بحثِنا في العلاماتِ الكبرى على ما هو مذكورٌ بهذا الحديثِ، بل سنشمُلَ غيرَها من كبرى علاماتِ الساعةِ ذاتِ الأهميةِ.

[64] صحيح مسلم، حديث رقم: 2901، ومسند الإمام أحمد، حديث رقم: 16143، ومصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: 37542.

يأجوجُ ومأجوج

ليس من السهلِ على الإطلاقِ فهمُ حقيقةِ يأجوجَ ومأجوجَ دونَ التعرفِ على تفاصيلِ هؤلاء القومِ من بدايتِهم حتى خروجِهم. مَن هُم وإلى مَن يعود نسَبُهم؟ أين كان موطنُهم وما الطبيعةُ الجغرافيةُ له؟ ما الأحداثُ التاريخيةُ التي جرَت في تلك البلاد؟ أين يمكنُ أن يكونوا قد ذهبوا وأين يمكنُ أن يكونوا اليوم؟ وكيف تنطبقُ الأوصافُ المذكورةُ في النبوءاتِ عليهم؟ جميعُ هذه الأسئلةِ يجبُ أن تُناقشَ حتى تتوضحَ لنا الصورةُ الحقيقةُ لهؤلاء القوم.

أ - مَن هم:

بدايةً، لا بد أنْ نوضِّحَ أنهم بشَر، وليسوا من المخلوقاتِ الأخرى سواءً المعروفةِ أو غيرِ المعروفةِ، خلافًا لما قد تصوِّرُه بعضُ المروياتِ. بل، يكادُ يُجمعُ المؤرخون على أنّ جدَّهم الأكبرَ مَأجوجَ هو أحدُ أبناءِ يافثَ بن نوح، وبنو يافثَ توجهوا من العراقِ إلى الجهةِ الشماليةِ الشرقية، أي إلى الخزر، وأوراسيا حتى أقاصي روسيا والصين.

ولكن ما يهمُّنا الآن، قومُ يأجوجَ ومأجوج تاريخيًّا، ولِكَونِ أبناءِ يافثَ قد امتدوا إلى هذه البقعةِ الجغرافيةِ الواسعة، نجدُ أنَّ الآراءَ تعددَت فيهم واختُلفَت، فهناك من يعتبرُ أنهم من الشعوبِ الصينية، وهناك من يعتبرُ أنهم من الشعوبِ التركية، وهناك من يعتبرُ أنهم المَغُول، وهناك من يعتبرُ أنهم الخزريُّون، وجميعُها آراءٌ صحيحةٌ نسبيًّا من الناحية التاريخية، وسيتضحُ كيف يكونُ ذلك فيما يتقدم.

ب - تحديد موطنهم:

إذا تحققْنا من مواطنِ أبناءِ يافث، نجدُ أنَّ بني مأجوجَ قد سكنوا في بلادِ سنجان، أو الأويغور، وهي جزءٌ من الصينِ اليوم، ولكنَّها تاريخيًّا كانت تحُدُّها كلٌّ من الصين، ومنغوليا وكازاخستان، ومنهم تفرَّعَ العرقُ الصيني والتركي الأوراسي، وإليهم يرجعُ نسبُ الخزريين [65]، الذين ارتحلوا من بلادِ الأويغورِ إلى شمال القُوقاز، واتخاذَهم اللغةَ الأويغورية رغم بعدِ القوقازِ عن موطن هذه اللغة الأصليِّ، ما يُؤكدُ أصولَهم. وكانوا قومًا شديدي البأسِ، متعِبين لغيرِهم من الأقوامِ خصوصًا لجيرانِهم الجنوبيين. كما أنَّ لغتَهم كانت غريبةً عن اللغاتِ المحيطةِ بهم إذ أنَّ أصولَهم ليست من ذلك الإقليمِ ومحيطِه.

ج - ذو القرنين:

هويةُ ذي القرنين المذكورِ في سورةِ الكهفِ من القران الكريم، ما زالت محطَّ جدلٍ طويلٍ في الإرث الإسلامي والتاريخي، إلا أنّ الغالبيةَ العظمى من أصحابِ الآراءِ ينقسمون إلى رأيَين، أولهما أنه الاسكندرُ المقدوني، والثاني أنه قورُشُ الكبير. المشكلةُ أنَّ سيرةَ كلٍّ من الشخصيتين تتضمنُ أحداثًا يمكنُ أن تكونَ شبيهةً بأحداثِ ذي القرنين. فكلاهما كان ملكًا قويًّا فاتحًا لا يقفُ في وجهه جيشٌ، ولا يصمُدُ أمامه حصنٌ حصين. كلاهما امتدَّت مملكتُه لحدودِ الخزرِ من الناحيةِ الشماليةِ الشرقيةِ وحدودِ منغوليا من الجهةِ الشرقية. كلاهما يُنسَبُ لسيرتِه أنه بنى سدًّا بينَ جبلَين من جبالِ القُوقاز لكي يحجبَ الأقوامَ القاطنةَ شمالَ السلسلةِ الجبليةِ من المرورِ إلى جنوبِها، وذلك لكثرةِ إغاراتِهم على جيرانِهم الجنوبيين. بل إنّ المكانُ الذي يُعتقدُ أنَّ السدَّ كان فيه له اسمان، بوَّاباتُ الاسكندر، ومضيقُ قورش!

قد لا يكونُ لتحديدِ هويةِ ذي القرنين بين هاتين الشخصيتين أهميةٌ كبرى في بحثِنا، ولكن نظرًا لتيقُّني من هويتِه، أحببتُ أن أبيِّنَ النقاط التالية:

الإسكندر المقدوني كان ابنَ المملكةِ المقدونية التي كانت تُؤمنُ بالميثولوجيا اليونانية، بينما قورشُ الكبيرُ كان يُؤمن باللهِ الواحد كما تذكرُ النصوصُ التوراتية. الاسكندرُ المقدونيُّ تحومُ حولَ شخصيتِه اتهاماتٌ ودلالاتٌ تُشير لكونه ثُنائيَّ الميولِ الجنسية، وهذا لا يتناسبُ مع ملك مدحه اللهُ عزّ وجلّ في كتابه العزيز. وأخيرًا وهو الأهم، الاسكندرُ المقدوني نُسبَت له الكثيرُ من البطولاتِ الخرافيةِ بعد موته بمئاتِ السنين، ومنها ما يذكرُ قصةَ السدِّ المذكور، والذي على الأرجح أنه سرقةٌ لقصةِ قورش، حتى أن لفظةَ بواباتِ الاسكندر لم تكن تُعرفُ قبلَ كتابِ "رومانسيةُ الاسكندر" وهو كتابٌ معروفٌ بالأساطيرِ التي استمرَّت الزياداتُ عليها حتى العصورِ الوُسطى، بينَما قورشُ مذكورٌ في العهدِ القديمِ بأوصافٍ قريبةٍ جدًّا ممّا وَصف القرآنُ الكريمُ به ذا القرنين.

(هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأُخضِعَ {1} أَمَامَهُ الأُمَمَ، وَأُفَكَّ عُرَى الْمُلُوكِ، لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْبَوَّابَاتِ، فَلاَ تُغْلَقَ أَمَامَهُ أَبْوَابٌ {2} سَأَسِيرُ قُدَّامَكَ وَأُمَهِّدُ الْهِضَابَ. سَأُكَسِّرُ أَبْوَابَ النُّحَاسِ، وَأَقْطَعُ قُضْبَانَ الْحَدِيدِ {3} وَأُعْطِيكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَخَابِي)[66]، لاحظوا استخدامَه للحديدِ والنُّحاس، وكونَه مكّنه اللهُ على الكنوزِ والمخابي، وهو ما يتناسبُ مع ما ذُكِر عن ذي القرنين في القرآنِ الكريم وبناءِ السدِّ بالحديدِ والنحاسِ، ويتناسبُ مع عدمِ قبولِ الخراجِ، قائلًا: (مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ)[67].

د - مملكةُ الخزر:

بقي الخزرُ في الجهةِ الشماليةِ لسلسلةِ جبالِ القُوقاز، غيرَ قادرين على الوصولِ إلى جنوبِها أو الاتصالِ بجيرانِهم الجنوبيين، ناهيكَ عن تسبُّبِ الأذى لهم، وذلك لكونِ السلسلةِ الجبيلةِ تمتدُّ ما بين بحرَ قَزوين شرقًا والبحرِ الأسودِ غربًا، كما يتبينُ في الخريطةِ التاليةِ حيثُ نجدُ جبالَ القُوقاز مظلّلةً بالأصفر:



وبعدَ قرونٍ من الزمن، أقام الخزرُ ما بات يُعرفُ بالمملكةِ الخزرية، وكانت مملكةً قويةً وشرسةً وكبيرة، وكما هو معلومٌ، كانت مملكةً وثنيةً في بدايةِ الأمرِ حتى عهدِ الملك بُولان الذين تحوَّلَ إلى اليهوديةِ وحوَّلَ اسمَه إلى صِبرِيل، وتحولت معه المملكةُ من الوثنيةِ إلى اليهودية، وكان ذلك في العام 740م.

ما يجهلُه أكثرُ الناسِ أنَّ 11 مليونًا من أصل 14 مليونًا من اليهودِ الموجودين في العالمِ اليوم، (أي أكثرَ من 78% منهم)، يعودُ أصلُهم إلى اليهودِ الأشكِناز، وهم يهودُ الشتاتِ الذين عاشوا بين أوروبا وآسيا، وليسوا مِن أبناءِ يعقوب، وقد تشتّتوا بعد انهيارِ مملكةِ الخزرِ على يدِ الروسِ والبيزنطيين، وتفرَّقوا في أنحاءِ أوروبا وأوراسيا[68].

ه - المقاربات:

لقائلٍ أن يقول، إنّ انهيارَ سدِّ ذي القرنين يحدثُ في آخرِ الزمان، ولا يُمكنُ ليأجوجَ ومأجوجَ أن يخرُجوا منه حتى ذلك الحين، مستدلًّا بقولِه تعالى عن لسانِ ذي القرنين: (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) [69]، ولكنَّ الآيةَ لا تُشيرُ إلى أنّ هذا الوعدَ يتحققُ في آخرِ الزمان، بل هو وعدٌ ربانيٌّ أنه سينهارُ في المستقبل، وقد بدأ في التحققِ في زمنِ النبيِّ كما يُشيرُ الحديثُ الشريف.

جاء عن أمِّ المؤمنين زينبَ رضي الله عنها أنها قالت أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، دخل عليها فزِعًا يقولُ: (لا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ

قَدِ اقْتَرَبَ، فَتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَاجُوجَ، ومأجُوجَ مِثْلَ هذا، وحَلقَ بإصْبَعِهِ، وبِالَّتي تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يا رَسولَ اللَّهِ أنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ) [70].

نستنتج من هذا الحديثِ أنَّ الردمَ بدأ ينهارُ قبلَ تحوُّلِ أهلِ الخزرِ إلى اليهوديةِ بقرابةِ مئةِ عامٍ، وهذا يعني أنَّه انهار كليًّا ما بينَ زمنِ النبيِّ وبينَ زمنِ تهوُّدِ الخزر، وما كان التواصلُ بينَهم وبينَ اليهودِ جنوبًا ليتمَّ إلا بعدَ انهيارِه.

أما قولُه تعالى (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿95﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿96﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿97﴾) [71]، فالآيات هنا تتكلمُ عن اليهودِ، وعن هلاكِ مملكتِهم الأولى وعدمِ عودتِهم إلى المدينةِ المقدسةِ منذُ ذلك الحينِ حتى زمنِنا هذا، وذلك بعدَ وصولِهم إلى بلادِ الخزرِ ومنها إلى أوروبا، ما هيأ لهم الأرضيةَ المناسبةَ للسيطرةِ الاقتصاديةِ عليها والتخطيطِ للحركةِ الصهيونيةِ ورُجوعِهم إلى الأرضِ المقدسةِ التي طُردوا منها، آتين إليها من كلِّ حدبٍ وصوبٍ.

لقائلٍ أن يقولَ، لكن هذا يتناقضُ مع قولِ اللهِ تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ). لكن في الواقع، إنَّ لفظةَ بني إسرائيلَ في لغةِ القرآنِ الكريمِ تُستخدمُ في سياقِ الذم، تذكيرًا بكونِهم أبناءُ إخوةِ يوسفَ الذين تآمروا عليه، وليس المقصودُ منها اللفتُ إلى أنَّهم أبناؤُهم في النسب، أما حينَ لا يكونُ السياقُ ذمًّا، فإنه يصفُهم بالذين هادوا: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ).

بقي أن نذكرَ لفتةً مميَّزة، وهي استنزافُهم لبحيرةِ طبرية، فقد رويَ عن النَّواسِ بنِ سمعان: (وَيَبعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، وهُمْ مِنْ كُلِّ حدَبٍ ينسِلُونَ، فيَمُرُّ أوائِلُهُمْ علَى بُحَيْرَةِ طبرِيَّةَ، فيشربونَ ما فيها ويَمُرُّ آخرُهم، فيقولون: لقدْ كان بهذِهِ مرَّةً ماءً) [72]، وما أشبهَ ذلك بما يفعلونه اليوم. من الجديرِ بالذكرِ أنَّ بحيرةَ طبريةَ وصلت إلى أدنى مستوياتِها تاريخيًّا.

ملاحظة:

ذهب كثيرون في تفسيرِ وفهمِ يأجوجَ ومأجوج إلى أقوالٍ عدة، فمِنهم من يعتبرُ أنهم أقزام، ومنهم من يعتبر أنهم عمالقة، ومنهم من يعتبرُ أنهم ليسوا من جِنسِنا البشري، وهناك الكثيرُ من الأقوالِ الأخرى. ولكنْ بعضُ هذه الأقوالِ مبنيٌّ على أحاديثَ لا يقبلُها العقلُ ولا المنطقُ ولا العلم. سنستعرضُ أشهرَ هذه الأقوال في الأمثلةِ التالية:

القولُ بعددِهم الهائل - عبد الله بن عمرو قال: (الْجِنُّ وَالْإِنْسُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، فَتِسْعَةُ أَجْزَاءٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَجُزْءٌ سَائِرُ النَّاسِ) [73].

القولَ باختلافِ جنسِهم - عن كعبٍ قال: (هُمْ مِنْ وِلدِ آدَمَ مِنْ غَيْرِ حَوّاءَ وَذَلِكَ أَنَّ آدَمَ نَامَ فَاحْتَلَمَ فَامْتَزَجَتْ نُطْفَتُهُ بِالتُّرَابِ فَخُلِقَ مِنْهَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ)[74].

القولُ باختلافِ أحجامِهم – عن كعب: (هُمْ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ صِنْفٌ أَجْسَادُهُمْ كَالأَرْزِ ... هُوَ شَجَرٌ كِبَارٌ جِدًّا، وَصِنْفٌ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ، وَصِنْفٌ يَفْتَرِشُونَ آذَانَهُمْ وَيَلْتَحِفُونَ بِالأُخْرَى)[75].

القولُ بطولِ أعمارِهم وعددِهم الهائل - عن أوسٍ الثقفي: (إِنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ يُجَامِعُونَ مَا شَاؤوا وَلَا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا)[76].

وهنا لقائلٍ أن يقول، وما الضيرُ في طولِ عمرهم وقد عُمِّر نوحٌ والخَضرُ وغيرُهما، نقولُ، ولكنْ هذا مِن المعاجزِ والمعاجزُ تكونُ لأولياءِ اللهِ وليس لأعداءِ اللهِ، ثمَّ إنَّ عددَهم الهائلَ لا يُمكنُ إخفاؤُه في زمِنِنا هذا بوجودِ الأقمارِ الاصطناعية. فإذا طرَحنا مثلَ هذا الطرح، يخرُجُ إلينا أصحابُ نظريةِ الأرضِ المجوفةِ التي لا تُشابهُ بتدني مستواها المنطقيِّ إلا نظريةَ الأرضِ المسطحة. علمًا أنَّ مثلَ هذه الأفكارِ والأقوالِ أدَّت إلى إلحادِ الكثيرينَ وتخليهم عن الدين، بل ومقاربتِهِ بالخَزَعبلاتِ والقصصِ الخرافية، وكأنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مِن أجناسِ الغيلانِ أو المخلوقاتِ الخرافيةِ الآتيةِ من قصصِ الخيال. وليس أسوأَ من قصصِ الخيالِ في هذا المجالِ إلا قصصُ الخيالِ العلمي، مثلَ الادِّعاءِ بأنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مخلوقاتٌ فضائية، وأنَّ ذا القرنين كان يُحاربُهم في سفرِه عبرَ الفضاء! وصدقوا أو لا تصدقوا، أمثالُ هذه الادعاءاتِ كثيرة.

[65] عالم الخزر، لبيتر غولدن، وتاريخ الخزر اليهود، لدوغلاس دانلوب.

[66] سفر أشعياء، إصحاح 45، الآيات 1-3.

[67] سورة الكهف، آية 95.

[68] القبيلة الثالثة عشر لآرثر كويستلر، ودراسة: النسب الأم لليهود الأشكناز للمجلة الأمريكية لعلم الوراثة البشرية نيسان 2006.

[69] سورة الكهف، آية 98.

[70] صحيح البخاري، حديث رقم: 16182، وصحيح ابن حبان، حديث رقم: 16187.

[71] سورة الأنبياء، آيات: 95-97.

[72] جامع الأحاديث للسيوطي، حديث رقم: 41238.

[73] فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج13، ص107، وجامع السيوطي، حديث رقم: 40052، وغيرهما.

[74] فتح الباري ج3، ص106، ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري، ج6، ص426، وشرح النووي على مسلم، ج3 ص98.

[75] فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج13، ص107، وحلية الأولياء للأصبهاني، ج6، ص24.

[76] فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج3، ص106، وأنيس الساري لابن منصور البصارة، ج3، ص965.

الدجّال

موضوعُ الدجالِ من أكثرِ المواضيعِ الشائكةِ في التراثِ الإسلامي والدينيِّ وأشدِّها تعقيدًا، وذلك لاختلافِ الآراءِ حولَها اختلافًا شاسعًا، وتناقضِ المعاني الظاهريةِ للنصوصِ التي أوردَت موضوعَه، ولتضمُّنِ أحاديثِه على أهوالٍ وأعاجيبَ غريبةٍ لم يستطعْ استيعابَها بعضُ العلماء، إلى درجةِ أنّ هناكَ من أنكرَ فكرةَ الدجالِ جملةً وتفصيلًا. بينما انقسمتِ الآراء حولَ فهمِ الدجالِ، بحيثُ إنّ البعضَ يفهمُ أنَّ الدجالَ مخلوقٌ عجيبٌ أشبهُ بإنسانٍ هائلِ الحجمِ والقدرات، مقيدٌ بالسلاسلِ في جزيرةٍ ما مجهولةِ المكان، تحرسُه الدابةُ أو "الجسّاسة" (كما سيأتي ذكرُها آنفًا). فيما يعتبرُ البعضُ الآخرُ أنه شخصيةٌ تاريخيةٌ كانت في زمانِ النبي تُدعى ابنَ صائدٍ أو ابنَ صيّاد على اختلافِ الرواياتِ، اختفت عن الأنظارِ في زمنِ الصحابة، ويزعمُ البعضُ أنه شيطانٌ يخرجُ إلى عالمِنا ولعله إبليسُ نفسُه، ويرى البعضُ أنه السامريُّ المذكورُ في القرآنِ الكريمِ في سيرةِ نبيِّ اللهِ موسى، وعلى الرغمِ من جميعِ هذه الاختلافاتِ، تُجمعُ الآراءُ التي تؤمنُ بفكرةِ الدجال، أنه يخرجُ في آخرِ الزمانِ ويدعو الناسَ إلى عبادتِه وإلى الكفرِ باللهِ عزَّ وجلَّ، وأنه يُغري الناسَ بجنّتِه ويرهِبُهم بنارِه، ويفتِنُهم بأعاجيبِه وقدراتِه.

أ - أوصافُ الدجال:

ورد في كتبِ الحديثِ أحاديثُ مختلفةٌ في الدجال، سواءً في صفاتِه أو في خروجِه وحركتِه، بعضُها يُفيدُ بتناقضٍ محيِّر. بدايةً، أهمُ ما ورد بخصوصِ شكلِه الخارجي، عينُه العوراء، وكلمةُ "كافر" بينَ عينيه، ففي روايةٍ، عينُه اليُمنى هي العوراء، (أَلا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ كَأَنَّها عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ) [77]، ومنها ما يذكرُ أنه أعورُ العين اليسرى، (إِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى) [78]، وفي حديثٍ غيرِه، (وَعَيْنُهُ الْيُسْرَى كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) [79]، وفي حديثٍ ثالث، (إِحْدَى عَيْنَيْهِ، كَأَنَّهَا زُجَاجَةٌ خَضْرَاءُ) [80]، وهذا التناقُضُ تسبَّبَ بخلافٍ وجدلٍ واسعٍ بينَ العلماءِ والمحدثين حولَ شكلِ الدجالِ الخارجيّ، حتى إنَّ الإمامَ النووي اعتبر أنَّ كِلتَا العينين عَوْراوان بطريقةٍ أو بأخرى، وهذا رأيٌ لا يعكسُ إلا ضعفَ فهمِ الدجالِ وصفاتِه، وبغضِّ النظرِ عن مدى صوابيَّةِ أيٍّ من تلك الآراء، فإنّ الروايةَ تصفُ عينَه بالعنَبةِ الطافيةِ، أو الكوكبِ الدريِّ، وإذا لاحظنا، فالحديثُ يقول "عنبةٌ طافية" لا مُنطفِئةٌ كما يفهمُها الكثير، فالمُنطفِئُ هو الذي لا نورَ فيه والطافي هو الذي يطفو في الماءِ أو السائل. أما بخصوصِ كلمةِ "كافر" الموجودةِ بين العينين، فقد ورد (إِنَّ الدَّجَّالَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ)[81]، وهذه عبارةٌ ملفتةٌ جدًّا وعجيبة، فلو أنَّها كلمةٌ مكتوبةٌ كتابةً شكليةً بالمعنى الظاهريِّ للكلمةِ، فكيف يقرؤُها المؤمنُ تحديدًا حتى ولو كان أميًّا؟

ومما ورد أيضًا فيما يخصُّ موتَ الدجالِ أو فناءَه، قولُه صلى الله عليه وآله وسلم: (فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ) [82]، وفي رواية (كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ).

اما عن اوصاف فتن الدجال، فقد ورد عن صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ) [83]، وورد أيضًا: (يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ) [84]، وورد أيضًا: (مَا مِن نَبِيٍّ إِلَّا وقَدْ حذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ وَأَنَا أُحَذِّرُكُمُ الدَّجَالَ إِنَّهُ أعورُ مكتوبٌ بينَ عينَيْهِ كافِرٌ يقْرَؤُهُ الكاتِبُ وغيرُ الكاتِبِ مَعَهُ جَنَّةٌ ونارٌ فنارُهُ جنَّةٌ وجنَّتُهُ نارٌ) [85]، وفي لفظٍ آخرَ أجدُه بالغَ الأهمية: (أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَّالِ فَإِنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ بِتَحْذِيرٍ لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ) [86].

إذن، فإنَّ الدجالَ يُعدُّ الفتنةَ الكُبرى التي لم يشهدِ الخلقُ أكبرَ منها منذ فجرِ التاريخ، وإنَّ نارَه جنةٌ وجنتَه نارٌ وهو بديهي كونُه دجالًا، وإن أتباعَه من يهودِ أصبهان، فإذا جاء المسيحُ ذاب الدجال! وهو أعورُ، توصفُ عينُه بالعنبةِ الطافيةِ وبالكوكبِ الدُّرِيِّ، مكتوبٌ على جبينِه كافر، ولكنها كلمةٌ يقرؤُها المؤمنُ حتى ولو كان أميًّا، وكلُّ نبيٍّ تكلمَ عنه وحذر منه بما لم يقله نبيٌّ آخر.

ب - الآراءُ المختلِفةُ حولَ الدجال:

أما بالنسبةِ إلى هويةِ الدجالِ في الآراء الإسلامية، وسنبدأُ بالآراءِ المتقدمةِ في التاريخِ الإسلاميِّ، فبحسبِ حديثِ ابنِ صائد، كثيرٌ من الصحابةِ كانوا يزعُمون أنه الدجال، كما جاء عن أبي سعيدٍ الخدري: (صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ لِي : أَمَا قَدْ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ، يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَّالُ، أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : إِنَّهُ لاَيُولَدُ لَهُ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى، قَالَ : فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلاَ مَكَّةَ قُلْتُ : بَلَى، قَالَ : فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ : أَمَا، وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ، قَالَ: فَلَبَسَنِي) [87]، وورد أيضا في حديثِ الحسينِ بن عليّ: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَّأَ لِابْنِ صَائِدٍ دُخَانًا، فَسَأَلَهُ عَمَّا خَبَّأَ لَهُ، فَقَالَ: دُخْ، فَقَالَ: اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَك فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: دُخْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ قَالَ زُخْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدِ اخْتَلَفْتُمْ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، فَأَنْتُمْ بَعْدِي أَشَدُّ اخْتِلَافًا) [88]، ونلاحظُ هنا علمَ نبيِّ اللهِ بالاختلافِ حولَ الدجالِ مسبقًا. وبحسبِ ما ورد في الأحاديثِ، فإنَّ الكثيرَ من الصحابةِ كانوا يجزمون أن ابنَ صائدٍ هو الدجال، وشاع عليه ذلك حتى ساءه الأمر.

إضافةً إلى ابن صائد، فإذا أردنا أن نسرُدَ أبرزَ الأحاديثِ التي تتحدثُ عن هويةِ الدجال، فلا بدَّ لنا أن نذكرَ حديثَ الجسّاسةِ قبل أن نناقشَ صِحّتَه ونناقشَ بقيةَ الآراءِ حولَ الدجال:

ورد عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة له أنه قال: (إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِى الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤُوا

إلى جَزِيرَةٍ فِي البَحْرِ حَتّى مَغْرِبِ الشّمْسِ، فَجَلسُوا فِي اقْرُبِ السَّفِينَةِ... فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ! انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. قَالَ لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَت: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا،... إِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا) [89].

كما ذكرنا، واستنادًا على الأحاديثِ التي أوردناها، نشأ رأيان أساسيّان في خصوصِ الدجالِ عند المؤرخين والمحدِّثين قديمًا، فبينما يجزمُ أحدُهما أنَّ ابنَ صائدٍ هو الدجال، موافقًا بذلك رأيَ جُمهورِ الصحابةِ، يرى الرأيُ الآخرُ أنّ الدجالَ موجودٌ في جزيرةٍ ما مقيّدٍ بالسلاسلِ ينتظرُ وقتَ خروجِه نسبةً لحديثِ الجساسةِ السابقِ ذكرُه. كما نشأت آراءٌ أخرى، مثلُ التي تعتقدُ أنه شيطان، أو أنه السامريّ، أو أنه ليس شخصًا بذاتِه، وغيرُها من الآراءِ التي نشأت في زمنِنا المعاصرِ مُحاولةً الخروجَ من هذا التناقضِ الظاهرِ في الآراءِ والأدلةِ السابقة.

يُحاولُ البعضُ ممن يعتقدون أنَّ الدجالَ هو ابنُ صائدٍ تبريرَ عدمِ تأكيدِ النبيِّ الأكرمِ على ذلك قائلين، أنه تجنب إخبارَ الصحابةِ بأنه الدجالُ حتى لا يحاولوا قتلَه فيقتُلَهم أو يتسببَ بالأذى لهم، ولكن كان يُمكنُ أن يُخبرَهم ويحذرَهم منه، أو على الأقلِّ أن يطردَه من المدينةِ المنورة. ثم، كيف كان يسكنُ في المدينة وذهب إلى مكةَ إذا كان هو الدجال، كما يحتجُّ هو نفسُه في حوارِه مع أبي سعيدٍ الخدري؟ ولو فرضنا أنه هو، فكيف لم يرَ أحدٌ من الصحابةِ كلمةَ "كافر" بينَ عينيه كما يذكرُ الحديث؟ هذا كلُّه يدحضُ فكرةَ أن يكونَ ابنُ صائدٍ هو الدجالُ جملةً وتفصيلا. أما الرأيُ القائلُ بأنّ ابنَ صائدٍ دجالٌ، ولكنه ليس الدجالَ المعروف، فهذا كلامٌ لا قيمةَ له، ويمكنُ أن يقالَ عن أيِّ شخصٍ معروفٍ بالدجلِ والخداعِ حتى دونَ نصٍّ شرعيّ، وليس بالضرورةِ أن يكونَ شخصًا أعور.

من ناحيةٍ أخرى، بالرغمِ من جميعِ مَنِ أكّد من مجتمعِ الصحابةِ على أنَّ ابنَ صائدٍ هو الدجال، لم نجدْ أحدًا من الصحابةِ، ولا في روايةٍ واحدةٍ يعترضُ ويحتجُّ على هذا الرأيِ بالقصةِ المذكورةِ في حديثِ الجساسةِ من قريبٍ أو من بعيد. ولم نسمعْ أحدًا يذكرُ شيئًا عن هذه الحكايةِ الغريبةِ في

مجتمعِ الصاحبةِ عندَ ذكرِ الدجالِ إطلاقًا إلا في هذا الحديثِ الفريد، وهو أمرٌ ملفتٌ جدًّا، خصوصًا أنَّ مجتمعَ الصحابةِ شهد جدلًا بعدَ وفاةِ النبيِّ الأكرمِ حولَ ابنِ صائد، حتى أننا لا نجدُ ابنَ صائدٍ نفسَه يحتجُّ بتلك القصةِ على كونِه ليس الدجالَ على الرغمِ من استيائِه الشديدِ من وصفِ الكثيرين له بأنه هو الدجال! كلُّ هذا يدلُّ بما لا يدعُ أيَّ مجالٍ للشكِّ على أنَّ حديثَ الجساسةِ لم يكُن معلومًا أصلًا عندَ جيلِ الصحابةِ كلِّه، ولم يكنْ مُتداوَلًا على الإطلاق، فكيف يمكنُ أن يكونَ الحديثُ قِيل في خطبةٍ أمامَ جمهورٍ من الصحابةِ ثم لا يَسمعُ به أحدٌ منهم!

أمّا الآراءُ الحديثةُ، ومنها ما يَعتقدُ أنّ السّامريَّ هو الدجال، وهو يَستندُ على قولِ نبيِّ اللهِ موسى له (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ) [90]، هو قد يبدو مُحتمَلًا، ولكن لا تُوجدُ أدلّةٌ كافيةٌ للاستدلالِ على ترجيحِ هذا الرأيِ غيرَ هذه الآيةِ التي لا تقدّمُ دلالةً حقيقةً على ربطِ السامريِّ بالدجال. وهناك آراءٌ أخرى يدورُ في فَلَكِها جدلٌ حولَ كونِ الدجالِ إنسيٌّ من بني البشرِ أو شيطان، أو حتى إبليسُ نفسُه بحسبِ البعض. أمّا من يجزمُ أنه إنسي، فهو إما يستدلُّ بأحاديثِ ابنِ صائد، أو يستندُ إلى الحديثِ التالي: (يَمْكُثُ أَبُو الدَّجَّالِ وَأُمُّهُ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَعْوَرُ أَضَرُّ شَيْءٍ وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، أَبُوهُ طِوَالٌ ضَرْبُ اللَّحْمِ كَأَنَّ أَنْفَهُ مِنْقَارٌ وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ فِرْضَاخِيَّةٌ طَوِيلَةُ الثَّدْيَيْنِ) [91]، وهو حديثٌ ضعيفٌ لا يُبنى عليه. وبغضِّ النظرِ عن الاستدلالِ فكيف لإنسانٍ أن يذوبَ كما يذوبُ الملحُ أو الرصاصُ بمُجرّدِ أن يرى المسيحَ بنَ مريم! أمّا مَن يقولُ بأنه شيطان أو أنه إبليس، فهذا التفسيرُ قد يبدو مُحتملًا في البداية، وعلى الرغمِ من أنه قد يتوافقُ مع كونِ إبليسَ أكبرَ الدجالين وأكبرَ الدعاةِ إلى الكفرِ باللهِ عز وجل، وعلى الرغمِ من أنّ هذا الرأيَ يتوافقُ نظريًّا مع فكرةِ أنَّ الدجالَ أكبرُ فتنةٍ مُنذُ خلقِ آدَمَ، ولكن إذا كان الدجالُ هو إبليسُ نفسُه، فكيف للصحابةِ ألاَّ يعرفوا ذلك ويظنَّ فريقٌ منهم أنَّ الدجالَ هو ابنُ صائد؟ ولماذا لا يستنكرُ الرسولُ الكريمُ ذلك بداعي أنَّ ابنَ صائدٍ شيطانٌ وليس إنسانًا، علاوةً عنِ كونِه إبليسَ نفسَه، رغمَ معرفتِه المُسبقةِ بالخلافِ الذي سيزدادُ حولَ الدجالِ؟ كلُّ هذه أسئلةٌ لا جوابَ لها إلا إن كانت تلك الآراءُ جميعًا مجردَ نظرياتٍ غيرِ مبنيةٍ على أدلةٍ حقيقية، يسعى أصحابُها إلى الوصولِ لتفسيرٍ منطقيٍّ في خضمِّ التناقضِ في ظاهرِ النصوصِ الخاصةِ بالدجالِ.

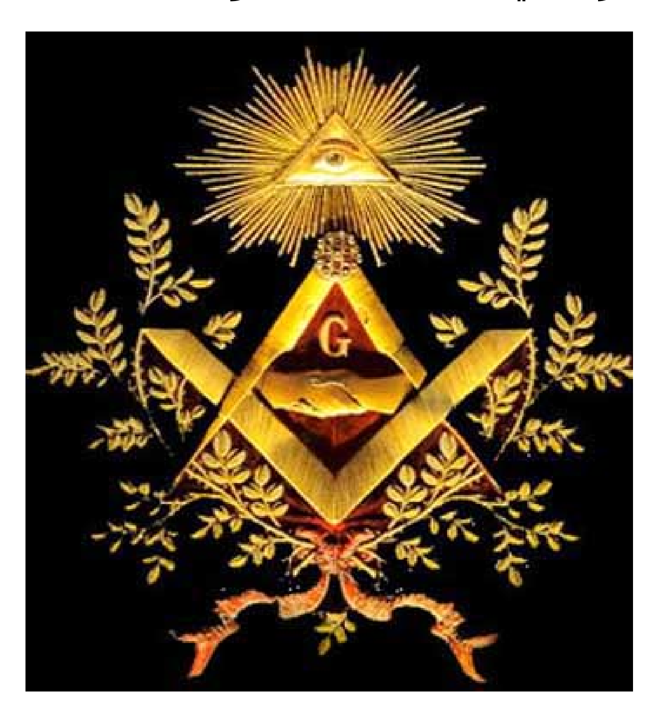
ج - الماسونية:

حتى نعرفَ أكثرَ عن وجهِ ارتباطِ هويةِ الدجالِ بالماسونية، علينا أن نتذاكرَ ولو بإيجازٍ بعضَ ما يُعرفُ عن الحركاتِ الماسونية، ومعاني رموزِها.

الماسونيةُ هي حركةٌ سريةٌ اختُلف في تاريخِ نشأتِها، ولكن على أدقِّ الأقوال، نشأت بعد العام 1307 م، بعدما نفى الملكُ فيليبُ اليهودَ من فرنسا وحارب بعد ذلك حركةَ فُرسانِ الهيكل. تشكلت على إثرِ ذلك على شكلِ تنظيمٍ سريٍّ بدأ بهدفِ السيطرةِ على فرنسا وقلبِ الطاولةِ على نظامِ الحُكمِ الملكيِّ فيها حتى يتسنى لهم الوصولُ إلى حكمِ فرنسا فيما بعد. ولكنَّ أطماعَهم لم تتوقفْ عندَ حدودِ فرنسا، بل امتدت إلى الرغبةِ في

السيطرةِ على أوروبا، ومع الوقتِ إلى الرغبةِ في السيطرةِ على العالم. تقومُ هذه الحركةُ بالنشاطاتِ الاجتماعيةِ السريةِ وممارسةِ الطقوسِ والعباداتِ الشيطانية، وتسعى بشكلٍ دؤوبٍ إلى السيطرةِ على الاقتصادِ والإعلامِ وبثِّ التفرقةِ والنزاعاتِ في المجتمعات. عُرفت هذه الجماعةُ باسم الماسونُ (أي البناؤون) الأحرارُ لرمزيةِ أصولِهم التي تعودُ إلى فرسانِ الهيكلِ وطموحاتِهم في بناءِ هيكلِ سليمانَ حتى يحكُمَ إبليسُ منه الأرضَ كلَّها مُتحدِّيًا بذلكَ الذاتَ الإلهية. ويُعرفُ الماسونُ أيضًا باسم "المتنورون" حيث يعتبرونَ أنَّ إبليسَ هو نورُ العِلمِ والحكمةِ وهم يستمدُّون منه هذا العِلمَ والحكمةَ والعياذُ بالله. ويتخذون رمزًا عجيبًا لهم، وهو العينُ التي ترى كلَّ شيء، أو ما يُعرفُ في العديدِ من الحضاراتِ القديمةِ بالعينِ الثالثة، أو الشاكرا الخامسة، في إشارةٍ إلى الغُدةِ الصنوبرية (وهي غدةٌ موجودةٌ في الدماغ بحجم حبةِ العنبِ وتطفو في محيطٍ من الماءِ وسط الدماغ)، وذلك لرمزيَّتِها المرتبطةِ بالحكمةِ والبصيرة، ولاعتبارِ العديدِ من الحضاراتِ السابقةِ أنها صلةُ وصلِ الإنسانِ بالعالمِ الروحيّ، كما أنها من الناحيةِ العلمية، الغدةُ المسؤولةُ عن تنظيمِ نومِ الإنسان، أو ما يُعرفُ بالساعةِ البيولوجية. مصطلحُ العينِ الثالثةِ ليسَ رمزيةً جديدة، ولم يبتدئْ الماسونُ باستخدامِه بقدرِ ما أنّهم أعادوا إحياءَ استخدامِه حيثُ اعتبروا هذه العينَ رمزًا لهم ولحركاتِهم السريةِ حتى صارت لا تكادُ تُعرفُ إلا لهم.

فيما يلي الشعار الرسمي للمحافل الماسونية:



أليس من الملفتِ أن العين في الشعار هي عينٌ يُسرى، وهذا الوهج الشديد الذي يشعُّ منها في كافة رموزهم، يشبه وصف الروايات بأنها (عَيْنُهُ الْيُسْرَى كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)، بالنسبةِ إلى شعارِ المسطرةِ المربعةِ والفِرجار، هو شعارٌ له رمزية مماثلةٌ لمسألةِ العين، حيثُ يُعتبرُ الفِرجارُ أداةَ رسمِ

الدائرةِ والمسطرةُ المربعةُ اداةُ رسمِ المربع، وحيثُ يَعتبِرُ الماسون انّ المربعَ يرمزُ للعالمِ الحِسيِّ، والدائرةُ ترمزُ للعالمِ الرُّوحيِّ، وذلك بحسب المُعتقداتِ الخاصةِ بسحرِ "الكابالا".

د - المقاربات:

إذا أردنا أن نقارنَ بينَ ما يُؤمنُ به عمومُ المسلمين اليومَ بخصوصِ الدجالِ وبينَ تلخيصِ ما استنتجناه حتى الآنَ بخصوصِه، نجدُ فرقًا شاسعًا بينَ الواقعِ وبينَ المُعتقداتِ الشائعةِ بأنَّ الدجالَ رجلٌ هائلُ الحجمِ والقُدراتِ، سيخرجُ في آخرِ الزمانِ وستكونُ له القدرةُ على إمطارِ السماءِ وإنباتِ الأرضِ، ومعه جنةٌ ونارٌ، سيُفتنُ به الناسُ لدرجةِ أنّ المؤمنين سيفِرّون منه اتقاءً لفتنتِه على الرغمِ من أنه أعورُ ومكتوبٌ بينَ عينَيه "كافر" يقرؤُها المؤمنون، ولا أدري كيفَ للمؤمنِ الذي يقرأ كلمةَ "كافر" بينَ عينيه أن يُفتنَ به وقد عرف أحاديثَ الدجالِ وقرأها، وكيف لعاقلٍ أن يرى شخصًا أعورَ يدّعي الألوهيةَ ولا يعلمُ أنه دجالٌ مهما بلغَت مُعجزاتُه وخوارقُه؟ أضف إلى ذلك، كيف يُمكنُ أن يُسخِّرَ اللهُ تعالى له كلَّ هذه القدراتِ ويمنحَه كلّ هذه الخوارقِ ليفتِنَ بها الناس؟ نجدُ أصحابَ هذا الرأيِ يقولون إنَّ الدجالَ يسحرُهم فيتبعونه رُغمًا عنهم، وأنه سيتحكَّمُ بعقولِ الناسِ ويُسيِّرُهم إلى الكفرِ، ولكن إذا صح ذلك، فإنَّ الناسَ لن يختاروا الكفر، بل ستكون عقولُهم مغيَّبةً، ولا وِزرَ عليهم في مثلِ هذه الحال، إلا إذا كانوا هم الذين اختاروا ذلك بملءِ إرادتِهم.

بالنسبةِ لحقيقةِ الدجال، فأنا أعتقدُ أنَّ الصعوبةَ التي وجدها العلماءُ في فهمِ حقيقةِ الدجالِ ترجعُ إلى ثلاثةِ أسبابٍ أساسية: أولا، عدمُ وجودِ اجتهاداتٍ تنظرُ إلى صفاتِ الدجالِ على أنها صفاتٌ رمزية لا حرفية. ثانيًا، استحالةُ فهمِ حقيقةِ هويةِ الدجالِ بالنسبةِ لأهلِ العصورِ السابقةِ مهما وصفَتِ النصوصُ والروايات. ثالثًا، عدمُ الالتفاتِ إلى ما ورد بخصوصِ الدجالِ في الإنجيلِ والتوراةِ رَغمَ قولِ النبيِّ الأكرم: (لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ بِتَحْذِيرٍ لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ)، حيثُ إنَّ الروايةَ تقولُ بشكلٍ غيرِ مباشرٍ بأنّ اكتمالَ معرفةِ الدجالِ تتطلبُ أن نعرفَ ما ذكره الأنبياءُ السابقون عنه حتى تتكونَ لدينا صورةٌ متكاملةٌ عن هويتِه، وهو أمرٌ لم تتطرقْ إليه الاجتهاداتُ إطلاقًا.

أما بحسبِ بحثِنا، فقد استنتجنا من خلالِ بحثِنا في النصوصِ الإسلامية، ألا صحةَ لكونِ الدجالِ رجلًا هائلَ الحجمِ ولا صحةَ لكونِه مقيّدًا بالسلاسل، ولا لكونِه رجلَ حديثِ الجساسةِ أساسًا، ولا لكونه ابنَ صائد، ولا لكونِه إنسانًا أو لكونِه شيطانًا، ولا وجودَ لدليلٍ أو مقارباتٍ كافيةٍ تدلُّ أنه إبليسُ أو السامريّ، وبالنسبةِ لكلمةِ "كافرٌ" الموجودةِ بين عينيه، التي يقرؤُها المؤمنون، حتى ولو كانوا أميين، كيف لمدعٍ أن يدعيَ أنها كتابة فعلية، أما التناقضُ الظاهرُ في وصفِ العين، فنلاحظُ أنَّ الرواياتِ التي تصفُ عينَه بأنها كأنها عنبةٌ طافية، تصفُها أيضًا بالعوراءِ، أما العينُ التي توصفُ بأنها كأنها كوكبٌ دريٌّ، فلا تصفُها بالعوراء، بل تذكرُ أنها عينُه اليسرى وحسب، ذلك أنّ

العينَ التي تشبهُ العنبةَ لا تُبصر، فهي عينٌ رمزية، وليست عينًا بالمعنى المتعارفِ عليهِ لكلمةِ عين.

إضافةً إلى هذه النصوصِ الإسلامية، فسوف نجدُ من خلالِ بحثِنا في النصوصِ الإنجيلية والتوراتية، ما من خلالِه سنفهمُ أنَّ الدجَّالَ نظامٌ عالميٌّ حاكمٌ للعالم، يسيطرُ عليه من خلالِ التطورِ التقنيِّ والنظامِ الماليِّ الذي يقيمُه، ومن هنا نفهمُ لماذا نجدُ رمزَ العينِ والهرمِ على ورقةِ الدولار، ولماذا على ورقةِ الدولارِ الواحدِ تحديدًا وليس على المئةِ مثلًا، على الرغمِ من أنها أعلى قيمةً من الدولارِ الواحد، ولكن هي رمزيةُ الدولارِ كعملةٍ حاكمةٍ للنظامِ النقديِّ والعالم. ولقائلٍ أن يقول، إنَّ تصميمَ الدولارِ ما هو إلا تصميمٌ غرافيكيٌّ مِن قِبلِ بعضِ المُصمِّمين ولا يعني بالضرورةِ أنَّ له أبعادًا ورموزًا بهذا العُمقِ المَعنويِّ من الفكرِ الماسوني. لكنَّنا لن نقولَ ذلك إذا علمنا أن مصمِّمَ الدولارِ الأمريكيِّ هو نيكولاس روريتش[92].

ختامًا، إذا أردنا إذن أن نُقاربَ بينَ الدجالِ في النصوصِ الإسلاميةِ وبينَ النظامِ الماسونيِّ الفكريِّ والاقتصاديِّ، نجدُ أنَّ الرمزَ الأساسيَّ لهذا النظامِ هو العينُ، وهو ما يتميزُ به الدجال، وأنَّ المعنى الأساسيَّ لهذه الرمزيةِ يأتي من "العِنبةِ الطافيةِ" في دماغِ الإنسان، وأنّ الشعارَ الرسميَّ للمحافلِ الماسونيةِ هي العينُ المتوهِّجةُ التي تبدو "كأنَّها كوكبٌ دريٌّ" وأنَّ في النظامِ الماليِّ العالميِّ الذي وضعه هؤلاء نجدُ في عُملتِه الأساسيةِ (الدولار) عَينًا "كأنها زجاجةٌ خضراء"، وهذا النظامُ العالميُّ بكلِّ قوتِه سيتلاشى وينهارُ بمجردِ عودةِ المسيح، وبما أنّ الصهيونيةَ تابعةٌ للماسونيةَ، فمن الطبيعيِّ أنّ الماسونيةَ بالنتيجةِ "يتبعُها يهودُ أصبَهان"، فقد عرفنا من فقرةِ "يأجوج ومأجوج"، بأنّ معظمَ يهودِ اليومِ من الأصولِ الأشكنازية، كما أنَّ الماسونيةَ وحُكمَها للنظامِ العالميِّ تُعدُّ بالفعلِ "أعظَمَ فتنةٍ منذ بدأ الخلق"، وسيتبينُ معنا بالوقائعِ والأدلة إلى أيةِ درجةٍ هي فعلًا كذلك، وفي أيِّ مرحلةٍ من هذه الفتنةِ نحنُ، وما هي بالضبطِ أهميةُ دورِ النظامِ الماليِّ في هذا النظامِ العالمي، وذلك حينَ نصلُ إلى فقرةِ الوحشِ من فصلِ نبوءاتِ العهدِ الجديد.

ملاحظة:

نيكولاس روريتش هو رسامٌ عالميّ، وفيلسوفٌ، وعالمُ أديانٍ، وعالمُ آثار. جاب الدنيا وتعرفَ على معظمِ الدياناتِ والمعتقداتِ على تنوعِها، وتعمّقَ في فهمِها لغايةٍ خبيثةٍ عندَه. كما أنه كان متزوجًا من الفيلسوفةِ والكاتبةِ وعالمةِ الأديانِ هيلينا بلافاتسكي، وهي مؤسسةُ الديانةِ الثيوصوفيةِ، وهي من أخطرِ المعتقداتِ الحديثةِ التي تحملُ في طيَّاتِ فلسفتِها فكرًا شيطانيًّا وثنيًّا بشكلٍ واضح. ولها ارتباطاتٌ قويةٌ وعاليةُ النفوذِ على مستوى العالم. كما أن هذه الديانةَ تقدسُ شخصيةً تُسميها "مايتريا"، وهو اسمٌ بوذيٌّ يعبرُ عن بوذا الخامس، أو بوذا آخرِ الزمان. إلا أنّ "مايتريا" بالنسبةِ للثيوصوفيةِ هو مُخلِّصٌ واحدٌ مُنتظَرٌ في كافةِ الدياناتِ السماويةِ والوثنية

على حدٍّ سواء، حيثُ إنهم يعتبرونه المهديَّ الإسلاميّ، والمسيحَ المسيحي، والمسيحَ اليهوديَّ الذي لم يظهر بعد، وكريشنا الهندوسيّ، ومايتريا البوذيّ، في محاولةٍ منهم لترسيخ مبادئَ دينيةٍ جديدة ذات رمزية موحدة، تلائمُ برأيِهم جميعَ أتباعِ الدياناتِ العالميةِ الكبرى، في محاولةٍ لتأسيسِ دينٍ عالميٍّ جديد. إلا أنّ الثيوصوفيةَ لم تلقَ رواجًا على الإطلاق، ولم تجدْ أتباعًا كُثرًا، وبالرغمِ من ذلك، يبقى أتباعُها من أقوى أصحابِ النفوذِ في العالم.

[77] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 4879، صحيح البخاري، حديث رقم: 7128.

[78] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 13081، إتحاف المهرة لابن حجر العسقلاني، حديث رقم: 994.

[79] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 11752، المطالب العالية لابن حجر العسقلاني، وجامع السيوطي، حديث رقم: 9261.

[80] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 21145، وجامع السيوطي، حديث رقم: 747، ومسند الشاشاني، حديث رقم: 1452.

[81] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 13385، وسنن أبي داوود، حديث رقم: 4316.

[82] صحيح مسلم، حديث رقم: 2897.

[83] صحيح مسلم، حديث رقم: 2946، مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 16265.

[84] صحيح مسلم، حديث رقم: 2944، وصحيح ابن حبان، حديث رقم: 6798.

[85] مجمع الزوائد للهيثمي، ب7، ص341، وتذكرة القرطبي، ص278، وغيرهما.

[86] إتحاف الخيرة للبوصيري، ج8، ص137، نقلا عن موقع الدرر السنِية.

[87] صحيح مسلم، حديث رقم: 2927.

[88] المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم: 2908، والفتن لابن حماد، حديث رقم: 1544، وغيرهما.

[89] صحيح مسلم، حديث رقم: 2942، وجامع السيوطي، حديث رقم: 43509، وغيرهما.

[90] سورة طه، آية: 79.

[91] الجامع الصغير للسيوطي، حديث رقم: 14580، وسنن الترمذي، حديث رقم: 2248.

[92] يلي شرح واف عنه في الملاحظة التالية.

المهديُّ المُنتظَر

مهديُّ آخرِ الزمان، المهديُّ المُنتظَر، قائمُ آلِ محمد، إمامُ الزمان، خليفةُ الله، كلُّها ألقابٌ لشخصيةٍ واحدةٍ، وهي شخصيةُ المهديِّ التي بشرَت بها الأحاديثُ الشريفةُ التي تُؤكدُ أنّ الظلمَ والجورَ والشرَّ الذين سيُحيقون بالأرضِ في آخرِ الزمانِ لن يستمروا، وستتدخلُ يدُ العدالةِ الإلهيةِ لإزالةِ هذه الشرورِ واستبدالِها بالخيرِ والحقِّ والأمانِ والعدلِ المطلق، وقد سبق وأن أتينا على ذكرِ المهديِّ مراتٍ عدة، غيرَ أننا لم نشرحْ عنه مفصّلًا، وبالرغمِ من أنَّ المهديَّ معلومٌ لدى عمومِ المسلمين، وليس بحاجةٍ إلى الشرحِ المستفيض، ولكن نستفيضُ بذكرِه المبارك، كونَه النبوءةَ المركزيةَ والأكثرَ انتظارًا عندَ المسلمين والتي بظهورِها تظهرُ بشائرُ الأملِ وتستهلُّ وجوهُ المؤمنين، وتُسرُّ أفئدتُهم بفتحِ أبوابِ الفرجِ الإلهيِّ المُرتقَبِ على المستضعَفين في الأرضِ، وأصحابِ كلمةِ الحقِّ، وكافّةِ الضعفاءِ والمساكين والمظلومين في الأرضِ، لا سيَّما أهلُ الأرضِ المقدسة، أهلِ فلسطينَ المحتلة، الذين ما زالوا مُنذُ أكثرَ من سبعين عامًا مطرودين من أرضِهم، ومُحتَلًّا وطنُهم، ومُدنَّسةً مُقدّساتُهم، ومُحاصَرًا شعبُهم، مهدَّدِين يوميًّا في حياتِهم وقُوتِهم وكرامتِهم وحريَّتِهم وسلامةِ مُقدّساتِهم وأمانِهم في بيوتِهم. كما أنّ كلَّ المُستضعَفين في الأرضِ، مَوعودون بهذا الوعدِ الإلهيِّ الصادقِ بنَصرِهم على الطُّغاةِ المُستكبِرين، ونصرِ اللهِ تعالى لكلِّ مظلومٍ ولو بعدَ حين. خصوصًا أننا بتنا نعيشُ في زمنٍ تحكُمُ فيه قوى الشرِّ الشيطانيةُ العالمَ، وتفرضُ سيطرتَها على جميعِ مناحي الحياةِ، وتأخذُها باتجاهٍ معادٍ لكلِّ ملامحِ الإيمانِ السماويِّ، بل ولكلِّ وجوهِ المعاني الإنسانيةِ الكريمةِ، من عدلٍ وخيرٍ وأخلاق.

أ - هويَّتُه:

المهديُّ هو الصالحُ المصلحُ الذي يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا كما مُلئَت ظلمًا وجورًا، وهو سميُّ رسولِ اللهِ وابنُ آلِه الأطهار، وعلى غِرارِ سائرِ الشخصياتِ الكبرى المُرتبِطةِ بأحداثِ آخرِ الزمانِ، فإنَّ المهديَّ قدِ اختُلفَ حولَه بشكلٍ رئيسيٍّ في مسألتَين تتعلّقان بشخصِه، وهما اسمُه ونسبُه، غيرَ أنَّ هذا لا يَتنافى معَ عظيمِ مكانتِه عندَ المُسلمين، ولا على الدورِ الإنسانيِّ الجليلِ الذي يُؤدِّيه عندَ ظهورِه المبارك، وذلك محطُّ إجماعِ الآراءِ الإسلامية.

سأقوم بالتركيزِ في هويتِه وكذلك في خروجِه على الرواياتِ التي تَوافقَت المصادرُ عليها الإسلاميةَ بحيثُ أتجنبُ الخوضَ في تعقيداتِ الخلافِ حولَ ولادتِه، حفاظًا على سهولةِ الكتابِ وبساطةِ أسلوبه، وحفاظًا على شموليةِ خطابِة الذي أكره له أن يكون فئويًّا. إضافة إلى كون هذه النقطة خارج مجال بحثنا في أحداث آخر الزمان.

بخصوصِ الاختلافِ حولَ اسمِه، هل هو "محمدٌ بنُ عبدِ الله" أم هو "محمَّد" دونَ تخصيصِ اسمِ الأب، بحسبِ اختلافِ لفَظاتِ الروايات. نلاحظُ أنَّ هناك ثلاثُ رواياتٍ بلفظةِ: (يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي)، ينتهي سندُها عندَ عاصمِ عن زرٍّ بنِ حُبيش، بينما تُروى عنهما بطرقٍ عدةٍ

بلفظةِ: (اسْمُهُ اسْمِي وَخُلقُهُ خُلقِي)، كما عند ابنِ حبان، أو تكتفي بقولِ: (اسْمُهُ اسْمِي)، كرواياتِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ والإمامِ الطَّبَرانيّ [93]، وهي الأقوى سندًا، وهذا يشيرُ إلى أحدِ أمرينِ، إمّا إلى حذفِ الزيادةِ أو وضعِها، والأرجحُ وضعُها، وذلك لأفضليةِ أسانيدِ رواياتِ الإمامِ أحمدِ والإمامِ الطبَرانيِّ، ولوجودِ عشراتِ الرواياتِ من أسانيدَ أخرى كليًّا دونَ هذه الزيادة أيضًا، إضافةً إلى الأدلةِ التاريخيةِ التي سنُشيرُ إليها في هذه الفقرة التي توضحُ لنا من كان له مصلحةٌ في وضعِ هذه الزيادة. لكن، على اختلافِ الألفاظ، فالروايةُ تُشيرُ إلى رجلٍ من أهلِ بيتِ النبّوةِ يملِكُ قبلَ الساعة: (لَا تَنْقَضِي الْأَيَّامُ، وَلَا يَذْهَبُ الدَّهْرُ حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، اسْمُهُ يُوَاطِئُ اسْمِي) [94]، (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي) [95].

أما بالنسبةِ للخلافِ حولَ نسبِه، فبَينما يَختلفُ جمهورُ المسلمين بينَ كونِه سليلَ الإمامِ الحسنِ بن علي، أو سليلِ الإمامِ الحسينِ بن علي، إلا أننا نجدُ بعضَ الرواياتِ تنسبُه إلى العباسِ عمِّ النبي! ورد في الرواية (الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ عَمِّي) [96]، وفي حديث آخر، (يا عمَّ النَّبيِّ إنَّ اللَّهَ ابتدأ بي الإسلاَمَ وسيختِمَه بغلامٍ من ولدِك) [97]، وهي رواياتٌ واهيةٌ لا يُلتفتُ إليها، يرجعُ وجودُ هكذا رواياتٍ إلى مسألةٍ من المهمِّ أن نعرِفَها، وهي كثرةُ المُدَّعِين الذين ادَّعَوا المَهدَويَّة، وعلى وجهِ الخصوصِ خلالَ العهدِ العباسيِّ تحديدًا، وسنستعرضُ أهمَّ المدّعين آنفًا، ومن ناحيةٍ أخرى فبعضُ الرواياتِ الأخرياتِ تكتفي بنسبتِه إلى بني عبدِ المطلبِ أو بني هاشم: (نحنُ بنُو عبدِ المطلِبِ سادةُ أهلِ الجنةِ أنَا وعليٌّ وحمزَةُ وجعفرُ والحسنُ والحسينُ والمهديُّ) [98]، ومنها ما يكتفي بالقولِ بأنه من ذريةِ السيدةِ فاطمةَ الزهراء: (المَهديَّ حقٌّ وَهوَ من ولدِ فاطمَةَ) [99]، (المَهْديُّ مِن عِتْرتي مِن وَلَدِ فاطمةَ) [100]، أما القولُ بكونِه من ذريةِ الإمامِ الحسنِ، فقد تفرّد أبو إسحاقٍ بسندٍ منقطعٍ إلى الإمامِ علي بن أبي طالبٍ، إذ تقولُ الرواية: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِاسْمِ نبيِّكم يُشبِهُهُ في الخُلُقِ ولا يُشْبِهُهُ في الخَلْقِ - ثمَّ ذكرَ قصَّةً - يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا) [101].

أما في كونِه سليلَ الإمامِ الحسَين عليه السلام، فيقولُ حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنه: (خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَّرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، ثُمَّ قَالَ: "لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ، لَطَوَّلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ وَلَدِي، اسْمُهُ اسْمِي"، فَقَامَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِنْ أَيِّ وِلدِكَ؟ قَالَ: "هُوَ مِنْ وَلَدِي هَذَا"، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) [102].

هنا لا بدَّ لي أن أضيفَ ملاحظةً مُلفِتة، الحديثُ الأول يثني على الإمام الحسن، ثم يذكر أنه سيخرج من صلبه المهدي، أما في الحديث الثاني، يطلب سلمان الفارسي من نبي الله الأكرم أن يحدد له من أي ولده يكون المهدي، فأشار إلى الإمام الحسين، ولكن قد يتعجب البعض مني إذا قلت إنه لا تناقض بين الحديثين على الإطلاق. ذلك أن ذرية الإمام الحسين

انحصرت في ابنه علي زين العابدين المتزوج من بنت عمه فاطمة بنت الحسن. بذلك تكون ذرية الحسين كلها أيضًا من ذرية الحسن، ولكن العكس ليس صحيحًا. إذن، في جميع الأحوال يكون المهدي حفيدًا للإمام الحسن، ما يؤكدُ لي أنه أيضًا حفيد للإمام الحسين، إضافة إلى الحديث المذكور، أن الله تبارك وتعالى لا يمكن أن يجعل مهدي آل محمد حفيدًا لكل الآل الكرام من محمد وعلي وفاطمة والحسن، ثم لا يكون أيضًا حفيدًا للحسين. الله أكرم بالحسين من ذلك.

ب - علامات ظهوره:

أحاديثُ علاماتِ ظهورِ إمامِ الزمانِ أكثرُ من أن تُحصرَ في صفَحاتٍ قليلة، ويُمكن أن يُخصَّصَ لهَا كتبٌ ومُجلَّداتٌ كاملةٌ كما فعل كتّابٌ وباحثون كُثرٌ في هذا المجال، ولكن نظرًا لكثرةِ الرواياتِ التي تتحدثُ عن الحقبةِ الزمنيةِ التي يظهرُ فيها الإمامُ، في مقابلِ رواياتِ العلاماتِ والأحداثِ التي يتلوها الظهورُ، سأخصُّ بالذكرِ هنا العلاماتِ والأحداثِ التي يتلوها الظهورُ مباشرة.

جاء عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم في الحديثِ الشريفِ الذي تقدم ذِكرُه وشرحُه: (يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ - فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ) [103] وفي روايةِ: (إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلاءِ سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَطْرِيدًا وَتَشْرِيدًا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ هَا هُنَا مِنْ نَحْوِ الْمَشْرِقِ، أَصْحَابُ رَايَاتٍ سُودٍ، يَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُوهُ، حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيتِي، فَيَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَؤُوهَا ظُلْمًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ الْمَهْدِيُّ) [104]، ولعلَّ هذا الحدثَ هو نفسُه الذي ذكره الإمامُ محمدٌ الباقرُ في الحديثِ الذي تقدم ذِكرُه أيضا: (لَا يَقُومُ الْقَائِمُ إِلَّا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَزَلَازِلَ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ يُصِيبُ النَّاسَ، وَطَاعُونٌ قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَيْفٌ قَاطِعٌ بَيْنَ الْعَرَبِ، وَاخْتِلَافٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَشَتُّتٍ فِي دِينِهِمْ، وَتَغَيُّرٍ فِي حَالِهِمْ، حَتَّى يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّي الْمَوْتَ صَبَاحًا وَمَسَاءً مِنْ عِظَمِ مَا يَرَى مِن تَكَالُبِ النَّاسِ وَأَكْلِهِمْ بَعْضَهُمْ بَعْضًا) [105]، فازديادُ الحروبِ في البلادِ العربيةِ وازديادُ حدةِ وتيرتِها من العلاماتِ التي لا بُدَّ من أننا مقبلون عليها، وهي ستصلُ إلى درجةِ تمنِّي الإنسانِ الموتَ يوميًّا، لا بل كلَّ صباحٍ ومساءٍ لضراوةِ هذه الحروبِ ومرارةِ أيامِها واللهُ المستعان.

ومن الأحاديثِ التي تذكُرُ العلاماتِ المُباشِرةِ لخروجِ الإمامِ المهديِّ أيضًا، ما ورد عن الإمامِ جعفرٍ الصادقِ في قولِه: (خَمْسٌ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ، الْيَمَانِيُّ، وَالسُّفْيَانِيُّ، وَالْمُنَادِي يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ، وَخَسْفٌ بِالْبَيْدَاءِ وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّة) [106]، وقد تقدَّم ذكرُ اليمانيُّ والسفيانيُّ، كما تقدم ذكرُ النداءِ السماويِّ، أما ما يخُصُّ الخسفَ بالبيداءِ وقتلَ النفسِ الزكيةِ المذكورَين:

عن امِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها انها قالت: (قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَعُوذُ عائِذٌ بالبَيْتِ، فيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فإذا كانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بهِمْ فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، فَكَيفَ بِمَن كانَ كارِهًا؟ قالَ: يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، ولَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَومَ القِيامَةِ علَى نِيَّتِهِ) [107]، وورد عن أمِّ المؤمنين أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أيضًا قولُها: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، إِذِ احْتَفَزَ جَالِسًا وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ، قُلْتُ: بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا شَأْنُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَسْتَرْجِعُ؟ قَالَ: لِجَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَجِيؤُونَ مِن قِبَلِ الشَّامِ، يَؤُمُّونَ الْبَيْتَ لِرَجُلٍ يَمنَعُهُ اللهُ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ خُسِفَ بِهِمْ وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى، قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، كَيْفَ يُخْسَفُ بِهِمْ جَمِيعًا وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى؟ قَالَ: إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ جُبِرَ، إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ جُبِرَ، إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ جُبِرَ) [108]. يبدو من سياقِ الحديثِ عن لفظةِ: (ومَصادِرُهم شَتَّى) أنَّ المقصودَ منها أنَّ محشرَهم مُختلفٌ، ولعلَّها لفظةٌ مصحَّفةٌ عن "مصائرُهم شتى" واللهُ أعلم. ورد أيضًا عن أبي هريرةَ أنه قال: (وَاللهِ لَيُخْسَفَنَّ بِقَوْمٍ - أَوْ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى يُخْسَفَ بِقَوْمٍ - ذَوِي زِيٍّ بِبَيْدَاءٍ مِنَ الأَرْضِ) [109]، وهو حديثٌ ذو لفظةٍ مميَّزةٍ جدًّا في كشفِ كونِه جيشًا نظاميًّا!

وفي قتلِ النفسِ الزكية، فيَروي ابنُ جُبير: (إِنَّ الْمَهْدِيَّ لَا يَخْرُجُ حَتَّى تُقْتَلَ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ، فَإِذَا قُتِلَتِ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ غَضِبَ عَلَيْهِمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، فَأَتَى النَّاسَ الْمَهْدِيُّ، فَزَفُّوهُ كَمَا تُزَفُّ الْعَرُوسُ إِلَى زَوْجِهَا لَيْلَةَ عُرْسِهَا، وَهُوَ يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، وَتُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَهَا وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ مَطَرَهَا، وَتَنْعَمُ أُمَّتِي فِي وِلَايَتِهِ نَعْمَةً لَمْ تَنْعَمْهَا قَطُّ) [110].

ج - أحداثُ ظُهورِه:

كما علِمنا، فإنَّ حفيدَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يخرُجُ إلى مكةَ وجيشُ الخسفِ على إثرِه بعدما تم قتلُ رسولِه إلى أهلِ مكةَ، بينَ الرُّكنِ والمقام، فإذا وصل الإمامُ إلى مكة، اجتمع مُبايِعوه عمومًا من كافةِ أنحاءِ الأرض، ثم يخطُبُ الإمامُ في الناسِ مُعَرِّفًا عن نفسِه، كما ورد عن الإمامِ محمدٍ الباقرِ في قولِه: (يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْعِشَاءِ وَمَعَهُ رَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَمِيصُهُ وَسَيْفُهُ، وَعَلَامَاتٌ وَنُورٌ وَبَيَانٌ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَقُولُ: "أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَمَقَامَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكُمْ، فَقَدِ اتَّخَذَ الْحُجَّةَ، وَبَعَثَ الأَنْبِيَاءَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَمَرَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُحَافِظُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَأَنْ تُحْيُوا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَتُمِيتُوا مَا أَمَاتَ، وَتَكُونُوا أَعْوَانًا عَلَى الْهُدَى، وَوَزْرًا عَلَى التَّقْوَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ دَنَا فَنَاؤُهَا وَزَوَالُهَا، وَأَذِنَتْ بِالْوَدَاعِ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ، وَإِمَاتَةِ الْبَاطِلِ، وَإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ"، فَيَظْهَرُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، عِدَّةَ أَهْلِ بَدْرٍ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ قَزَعًا كَقَزَعِ الْخَرِيفِ) [111].

وورد في أنصارِ المهديِّ عن النبيِّ الأكرمِ صلى الله عليه وآله وسلم عدةُ أحاديثَ متنوعةٍ عن وجودِ أنصارٍ تقدمُ إليه لمبايعتِه من بلادِ العراقِ والشامِ واليمن: (سَيَصِيرُ الأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ: جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ، فَقَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خِيَرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيَرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ،

فَإِمَّا إِنْ ابَيْتُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَوَكَلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ) [112]، وورد أيضًا عن حذيفةَ بنِ اليمان، (فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ)[113]، وكما أسلفنا، إضافةً إلى هؤلاءِ الجندِ المُجندةِ، هناك جيشُه الخُراسانيّ، وهو الجيشُ الأساسيُّ كما يقولُ ابنُ العباس: (إِذَا خرَجتِ الرَّايَاتُ السُّودُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْفُرْسِ خَيْرًا فَإِنَّ دَوْلَتَنَا مَعَهُمْ)[114]، وهناك من يسافرُ إليهِ ساعةَ ظهورِه للمُبايعةِ من المبايِعين المتفرِّقين من عمومِ العالمِ، كما يقولُ عنهم الإمامُ الصادق: (بَعْضُهُمْ يَسِيرُ فِي السَّحَابِ) [115].

ويروى من حديثِ ابنِ مسعودٍ وغيرِه عن بَيعةٍ سريّةٍ قبلَ بيعةِ مكة: (يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى يَمْشِي النَّصْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَرْبَعِينَ مِيلًا، رَايَاتُهُ بِيضٌ وَصُفْرٌ فِيهَا رُقُومٌ فِيهَا اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ مَكْتُوبٌ فَلَا تُهْزَمُ لَهُ رَايَةٌ، وَقِيامُ هَذِهِ الرَّايَاتِ وَانْبِعَاثُهَا مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ مَاسِنَّةٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، فَيَعْقِدُ هَذِهِ الرَّايَاتِ مَعَ قَوْمٍ قَدْ أَخَذَ اللهُ لَهُمْ مِيثَاقَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، فَيَأْتِي النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَكَانٍ فَيُبَايِعُونَهُ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ وَهُوَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَهُوَ كَارِهٌ لِهَذِهِ الْمُبَايَعَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْبَيْعَةِ الْأُولَى الَّتِي بَايَعَهُ النَّاسُ بِالْمَغْرِبِ) [116].

أما بخصوص حربه، مر معنا أيضًا الراياتُ الخراسانيةُ التي تُقاتل تحتَ قيادةِ الإمامِ المهدي، ويبدو من سياقِ الأحداثِ المذكورةِ أنَّ السفيانيَّ يُشكِّلُ تحالفًا مع بعضِ العرب، (رَجُلٍ مِنْ وِلْدِ أَبِي سُفْيَانَ يَخْرُجُ مِن وَادِي الْيَابِسِ مِنْ دِمَشْقَ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قَبَائِلُ الْعَرَبِ)[117]، فيُقاتِلُهمُ الخُراسانيُّون وينتصِرون عليهم، (ثمَّ تجيءُ الرَّاياتُ السُّودُ فيقتُلونَكم قتلًا لم يقتُلهُ قومٌ، ثمَّ يجيءُ خليفةُ اللَّهِ المَهْديُّ)، ثمَّ يظهرُ المهديُّ كما تذكرُ الرواية، ثم ينزل في موكبِه في الكوفة، وذلك قول الإمامِ محمد الباقر: (يَنْزِلُ فِي سَبْعِ قِبَابٍ مِنْ نُورٍ، لَا يُعْلَمُ فِي أَيِّهَا هُوَ حِينَ يَنْزِلُ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ) [118]، ثم يُقاتلُ السفيانيَّ فيُحاوِلُ الفرارَ إلى الصهاينة، (فَيَقْدَمُ إِلَى الشَّامِ فَيَأْخُذُ السُّفْيَانِيَّ فَيُذْبَحُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَغْصَانُهَا إِلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ) [119]، ثم يُكملُ الإمامُ والخراسانيون حتى تحريرِ القُدس، (حتَّى تنصِبَ بإيلِياءَ).

د - لقاءُ النّورَين:

ورد عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أحاديثُ عن التقاءِ المهديِّ بالمسيحِ عليهما السلام تصفُ لقاءَهما الأولَ الذي يلتقي من خلالِه نورَا النبوةِ الإبراهيميةِ المُمتَدَّان خلالَ أنبياءِ بني إسرائيل، انتهاءً بكلمةِ اللهِ المسيحِ بنِ مريمَ مِن ناحيةٍ، وخلالَ نبيِّ اللهِ الأكرمِ وأهلِ بيتِ النبوةِ الأطهارِ انتهاءً بحفيدِه خليفةِ اللهِ المهديِّ صلواتُ ربي عليهم جميعًا من الناحية الأخرى.

جاء في الحديثِ الشريفِ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لاَ إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ) [120]، وفي حديثٍ شريفٍ آخر: (كيفَ أنتم إذا نزلَ ابنُ مَريمَ فِيكُمْ وإمامُكمْ مِنكُمْ) [121]، وفي حديثٍ

شريفٍ غيرِه: (يلتَفِتُ المهْديَّ وَقدْ نَزل عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَأنّمَا يقطُرُ مِن شَعرِهِ الْمَاءُ فَيَقُولُ الْمهْدِيُّ تقدَّمْ فصَلِّ بِالنَّاسِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّمَا أُقِيمَت الصَّلَاةُ لَك) [122].

ه - الخيرُ في زمانِه:

أيُّ خيرٍ نرجوه أكثرَ مِن زمانٍ يجتمعُ فيه السيدُ المسيحُ والإمامُ المهديُّ عليهما السلام! بل إنَّ أبوابَ الخيرِ في زمانِهما تُفتحُ على الأرضِ برضا الرحمنِ بكافةِ أسبابِ الخيرِ جميعًا، فتنصلحُ حالُ الأرض، وتُقسَّمُ الخيراتُ بالعدلِ، فترضى الناسُ جميعًا، حتى لا يبقى فقرٌ ولا حاجة، وتُشرقُ الأرضُ بنورِ ربِّها، وتُخرجُ نباتَها ويهطُلُ غيثُها، وتتآلفُ قلوبُ الناس، وتُملأُ الأرضُ بالقسطِ والعدلِ، ويُزيلُ اللهُ ببركتِه الجورَ والظُّلم، حتى لا يُرى أثرٌ للظُّلم.

عنِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرم الله وجهه أنَّه قال للنَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: (أمِنَّا المَهْدِيُّ أم مِن غيرِنا يا رسولَ اللهِ قال بل منَّا بنا يختِمُ اللهُ كما بنا فتَح وبنا يُستنقَذونَ مِن الشِّركِ وبنا يُؤلِّفُ اللهُ بَيْنَ قلوبِهم بعدَ عداوةٍ بيِّنةٍ كما بنا ألَّف بَيْنَ قلوبِهم بعدَ عداوةِ الشِّركِ) [123]، وعنه أيضًا: (يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ عَلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ، وَيُشْرَبُونَ حُبَّهُ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُه) [124]. نُشهدُكَ اللهمَّ أنّا نحبُّه.

كما ورد عنِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ) [125]، وفي حديثٍ آخر: (فتنعَمُ فيه أُمَّتي نِعْمةً لم ينعَموا مِثْلَها قطُّ، تُؤتِي أُكُلَها، ولا تدَّخِرُ منهم شيئًا، والمالُ يومئذٍ كُدوسٌ، فيقومُ الرجُلُ فيقولُ: يا مَهْدِيُّ أعطِني، فيقولُ: خُذْ) [126]، وفي حديثٍ شريفٍ آخر: (أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْ النَّاسِ وَزَلَازِلَ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا صِحَاحًا قَالَ بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ قَالَ وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِنًى وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ فَمَا يَقُومُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ فَيَقُولُ ائْتِ السَّدَّانَ يَعْنِي الْخَازِنَ فَقُلْ لَهُ إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا فَيَقُولُ لَهُ احْثِ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ فَيَقُولُ كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا أَ وَعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ؟ قَالَ فَيَرُدُّهُ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ فَيُقَالُ لَهُ إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ) [127]، وفي حديثٍ شريفٍ آخر: (يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدًّا) [128].

كذلك ورد عن أهلِ بيتِ النبوةِ عليهم السلام ما رُوي عن الإمامِ محمدٍ الباقر: (الْمَهْدِيُّ وَأَصْحَابُهُ يُمَلِّكُهُمُ اللَّهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَيُظْهِرُ الدِّينَ وَيُمِيتُ اللَّهُ بِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبِدَعَ وَالْبَاطِلَ كَمَا أَمَاتَ السَّفَهُ الْحَقَّ حَتَّى لَا يُرَى أَثَرٌ لِلظُّلْمِ) [129]، وما روي عنِ الإمامِ جعفرٍ الصادقِ في قولِ اللهِ تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ

بَعْدِ خَوْفِهِمْ امْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكونَ بِي شَيْئًا)، قَالَ: نَزَلتْ فِي القَائِمِ وَأَصْحَابِه) [130].

و - وُجوبُ نُصرتِه:

مرَّت معنا في علاماتِ الظهور، عندَ حديثِ الراياتِ الخرسانيةِ عبارةُ، (إِذَا رَأَيْتُم الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ) [131]، ولو أنَّ وُجوبَ نُصرتِه أمرٌ بدِيهي، ولكنَّ النبيَّ الأكرمَ استخدَم عبارةً فيها قَدرٌ عالٍ من التشديدِ على هذا الوجوبِ بحيثُ لا يُمكنُ لمُؤمنٍ أن يتعذّرَ بعدَها في التأخُّرِ عن نُصرةِ المهدي أو التثاقُلِ عن تلبِيتِه، ولعَلَّ هذا التشديدَ أتى من معرِفةِ النبيِّ أنَّ تلبيةَ الأمةِ للمهديِّ، لن تكونَ بالمُستوى الذي يَعكِسُ بدِيهيَّةَ هذا الوُجوب.

ز- أبرزُ المُدّعين:

عبرَ التاريخِ الإسلامي، ادّعى الكثيرون المهدوية. منهم من فعل ذلك بناءً بفعلٍ شخصيٍّ أو منفرد، ومنهم من كان يزعُمُ هذا الزعمَ في إطارِ حركةٍ سياسيةٍ، سواءً زعم ذلك لنفسِه بنفسِه أم كان أتباعُه من يزعمون المهدويةَ له. أهمُّ هذه الشخصياتِ عبرَ التاريخِ همُ الذين كان لهم دورٌ سياسيٌّ كبير، وكان لهم تأثيرٌ على أحداثِ ومجرياتِ أزمنتِهم، وخصوصًا في الزمنِ الإسلاميِّ الأول، ما ساهم في وضعِ بعضِ أحاديثَ هنا، وتحويرِ أحاديثَ هناك فيما يخُصُّ المهديَّ والأحداثَ المتعلقةِ بعلاماتِ ظهورِه.

محمدٌ بنُ المنصورِ العباسي:

وهو ابنُ أبي جعفرِ المنصور، وقد حاول أنصارُه الادِّعاءَ له بأنه المهديّ لغرضِ التصدِّي لحركةِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ المثنّى، التي كانت تشكلَ تهديدًا لسلطانِه، فحاولوا ادِّعاءَ النسبِ العباسيِّ للإمامِ المهديِّ كذبًا، ووضعوا أحاديثَ تُناسبُ ادعاءاتِهم كما تقدم معنا: (الْمَهْدِيُّ مِنْ وِلْدِ الْعَبَّاسِ عَمِّي)، وأشاعوا: (يَا عَبّاسُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ يَا عَمَّ النَّبِيِّ إِنَّ اللهِ ابْتَدَأَ بِيَ الإِسْلاَمَ وَسَيَخْتِمُهُ بِغُلاَمٍ مِنْ وِلدِكَ وَهُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ لِعِيسَى)، ولكن سُرعانَ ما تراجعوا جرّاءَ الاستهجانِ الذي لقُوه وادَّعَوا أنّ ابنَ المنصورِ مُبَشَّرٌ به من قبلِ النبيِّ إلا أنه غيرُ المهدِيِّ الموعودِ، فأشاعوا (يا عبَّاسُ إذا كانَت سنةُ خمسٍ وثلاثينَ ومائةٍ فهيَ لَكَ ولولدِكَ منهمُ السَّفَّاحُ والمنصورُ والمَهديُّ) [132].

محمدٌ النفسُ الزكية:

وهو محمدٌ بنُ عبدِ اللهِ بن الحسنِ المثنى بنِ الحسنِ بنِ علي المذكورُ أعلاه، وعلى الرغمِ من أنه لم يَثْبُتْ أنه ادّعى المهدويةَ لنفسه، ولم يُعرفْ عنه إلا الصلاحُ والزهد، ولكنَّ أنصارَه ادعَوها له، فكان من أبرزِ الأسماءِ عبرَ التاريخ في هذا المضمار، حتى إنَّ من موضوعاتِهم: (إِنَّ الْمَهْدِيَّ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فِي لِسَانِهِ رَتَّة) [133]، وهو ما ينطبقُ على محمدِ النفسِ الزكيةِ تمامًا، فهو محمدٌ بنُ عبدِ اللهِ، ولديه رِتَّةٌ في لسانِه، ثمّ حاولوا الادّعاءَ أنه النفسُ الزكيةُ المذكورةُ في الرواياتِ أيضًا، وهو ما جلب له هذا اللقب.

عُبيدُ اللهِ المهديُّ الفاطمي:

وقد سبق وذكرناه، فهو مؤسسُ الدولةِ الفاطميةِ، وهو من أنجحِ من ادّعى أنه المهدي بُغيةَ تقويةِ حركتِه، وقد نجح في ذلك إلى حدٍّ بعيد، وقد قدِموا على تحويرِ الأحاديثِ المَرويةِ بخصوصِ حروبِ المهديِّ وعلاماتِه بحسبِ ما يُناسبُهم ويُناسبُ أحداثَ دولتِهم كما تقدم.

إضافةً إلى هؤلاء، أحصَى التاريخُ الحديث، حتى نهايةِ القرنِ العشرين، أثني عشرَ آخرين على أقلِّ تقدير، من أهمهم ميرزا غلام أحمد، مؤسس العقيدة الأحمدية. أمّا خلالَ العقدَين الأخيرين، خرج ستةٌ من مُدَّعي المهدويةِ من مصر، وثلاثةٌ من السعودية، وستةٌ آخرون مُتفرِّقُون. منهم من اعتُقل، ومنهم من دخل مستشفى الأمراضِ العقلية، ومنهم من قُتل، ومنهم من بقي مُتخفِّيًا يُديرُ دعوتَه عبرَ الإنترنتَ، مثلَ المعروفِ ناصر محمد اليماني، الذي يُعد أشهرَ المُدَّعين المعاصرين، وهنا نتكلَّمُ فقط عن مدَّعِي المهدويّة. أضفْ إلى ذلك مُدَّعي النبوّةِ والألوهية، وهُم أكثرُ بكثير، ناهيك عن أمثالِهم في بقيةِ العالم، ومن المضحِكِ المُبكي، من بينِ الدجالين المعاصرين سيدةٌ كانت تدَّعي أنها الدابة! والحمدُ للهِ على نعمةِ العقل.

ملاحظة:

هُناك مَن يُنكِرُ فِكرةَ وُجودِ المَهديِّ جُملةً وتفصيلًا. منهم المُعاصرون ومنهم بعضُ المتقدمين، وعلى الرغمِ من قِلَّتِهم وشُذوذِ رأيهم، إلا أنني آليتُ ألَّا أهملَ مناقشةَ رأيِهم لمُجرَّدِ قلةِ أصحابِه، فالعددُ لا يُعدُّ مِقياسَ صحةِ الرأيِ بالنسبةِ لي. أمَّا وفي إطارِ الردِّ على هذا الرأي، علينا أن نُبيِّنَ أنَّ أحاديثَ المهديِّ كثيرةٌ جدًّا رُغمَ تبايُنِ متونِها، ولكنَّ فكرةَ مُخلِّصٍ من آلِ بيتِ النبوةِ يظهرُ في آخرِ الزمان، يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا، تواترَت بعشراتِ الأحاديثِ دونَ أدنى شكٍّ كما يرى الكثيرُ من العلماء، وقد صرَّح بذلك الإمامُ الشَّوكاني، والعلامةُ السفاريني، وأبو الحسنِ الآبري [134]، ومن المعاصرين، صرَّح الألبانيُّ بمَيلِه إلى اعتبارِها من المُتواتِرات [135]، وكذلك اعتبرها غيرُهم من المعاصرين والمتقدمين، وأقولُ هنا، طِبقًا للقواعدِ الاستدلاليةِ المُعتمَدةِ

عندَ علماءِ الدين، طالما انّ الفكرةَ موجودةٌ بادلةٍ مُتواترة، فإنّ ثبوتَ تفاصيلِها لا يقتضي تواتُرَ الرواياتِ المُتعلِّقةِ بتفاصيلِها، وإلّا لما بقيَ من المسائلِ الدينيةِ مسألةٌ ثابتةُ التفاصيل. كما أنَّ القرآنَ الكريمَ يحتوي على آياتٍ تدُلُّ على إظهارِ اللهِ عزَّ وجلَّ لدينِه وإتمامِ نورِ اللهِ تعالى واستخلافِ المُؤمنين على الأرضِ كلِّها، وهذا جوهرُ فكرةِ خليفةِ اللهِ المهديِّ أساسًا: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [136]، (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) [137]، أضفْ إلى هذا الأدلةَ العقليةَ من وُجوبِ إقامةِ حجةِ الله على البشرِ، بتطبيقِ قولِه: (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) [138].

ومن ناحيةٍ أُخرى، يعكِفُ بعضُ المُتصيِّدين في مِياهِ المذهبيةِ العكِرةِ إلى اعتبارِ وجودِ مهديَّين اثنين، وذلك لتصويرِ الاختلافِ حول المهديِّ يُعبِّرُ عن اختلافٍ في الشخصيةِ بحدِّ ذاتِها، حتى إننا نسمعُ مصطلحاتٍ بغايةِ السخفِ، مثلَ "مهديُّ الفئةِ الفلانية" أو "مهديُّ الفرقةِ الفلانية"، ولكنَّ الخلافَ حول تفاصيلِ شخصياتِ آخرِ الزمانِ وأحداثِ آخرِ الزمانِ كثير، إلا أننا لا نجدُ من يقولُ "دجَّال الفئةِ الفلانية" أو "سُفيانيُّ الفرقةِ الفلانية" مثلًا، وهُنا أستذكرُ الباحثَ الإسلاميَّ الشيخَ حسن فرحان المالكي، فرَّج اللهُ كربَه حينَ قال: (أنا شخصيًّا مررتُ بثلاثِ مراحل، مرحلةُ الإيمانِ بالمهديِّ السُّنيِّ محمدٍ بن عبدِ الله، ومرحلةُ إنكارِ المَهديِّ، ومرحلةُ الإيمانِ بالمَهديِّ جُملةً دونَ تحديد)، وأنا لستُ بصددِ أن أطلبَ من جمهورِ الأمةِ بكافَّةِ مشاربِها اقتصارَ إيمانِهم بالمهديِّ جُملةً دونَ تحديدٍ كما يفعلُ العلامةُ المالكي، فأنا أدركُ أنَّ لكلٍّ أفكارَه وأدلَّتَه ومعتقداتِه في المهديِّ، وهذا هو الطبيعيّ، ولكن علينا أن نكونَ مُنفتحين لقبولِ فكرةِ المهديِّ المُجملةِ كأساسٍ نبني عليه تقبُّلَنا لما سيُبديه لنا المُستقبلُ ولو احتَمل أن يُخالِف هوانا، ونبنيَ عليه طاعتَنا لأوامرِ نبيِّ اللهِ الأكرمِ في تلبيةِ النداء، ليس فقط استنادًا على الأصحِّ من الروايات، بل لأننا بكِلتا الحالَين سيُؤلِّفُ اللهُ بينَ قلوبِنا وينصُرَنا على أعدائِنا كما ورد في الحديثِ الشريف: (يُؤلِّفُ اللهُ بَيْنَ قلوبِهِم بعدَ عداوةٍ بيِّنةٍ) [139]، وعلينا كذلك ألا نُقَلِّلَ مِن شأنِ الآراءِ المُختَلِفة، سواءً بمن يُؤمنُ أنَّ المهديَّ هو آخرُ الأئمّةِ الإثني عشر مِن أئمّةِ أهلِ بيتِ النبيّ، وأنه وُلِد في الخفاءِ عن أعيُنِ الدولةِ العباسيةِ لحمايتِه من بطشِها، حالُه كحالِ موسى بنِ عمران، أو أنه زِيد في عُمرِه حتى يظهرَ في آخرِ الزمانِ، حالُه كحالِ عيسى بنِ مريم، ولا برأيِ من يُؤمنُ أنه من نسلِ الإمامِ الحسنِ أو أنَّه اسمُه محمدٌ بنُ عبدِ الله، وأنه يُولدُ في آخرِ الزمانِ من أيِّ عائلةٍ مُسلمةٍ، حالُه كحالِ أيِّ مُسلمٍ عاديّ، وهنا يلفِتُني جدًّا في أحاديثِ المهديِّ وأحداثِه أنَّ رايتَه تبدأُ من خُراسانَ وتنتهي بإيلياء، وهذا وحدُه كفيلٌ بأن يُريَ ذوي العقولِ والبصائرِ أن المهديَّ يلُمُّ شملَ هذه الأمةِ ويُوحِّدُها وينصُرُ اللهُ ببركتِه رايتَها على الأعداءِ، على عكسِ ظنونِ الطائفيين الذين يُريدونه متَّفِقًا مع هواهم الفئويِّ دونَ غيرِهم، أيًّا كانتِ هذه الفئة، وهذا وعدٌ إلهيٌّ لا بُدَّ أن يتحقَّق، حتى ولو طوَّل اللهُ آخرَ يومٍ في الدنيا لتحقيقِه كما ينُصُّ الحديثُ النبويُّ الشريف.

أيضًا لا بُدّ من لفتِ النظرِ إلى مدى تربّصِ الأعداءِ بقضيةِ المهديِّ وذُعرِهمُ الحقيقيِّ منها، فعلى سبيلِ المثالِ، أدلى رئيسُ وزراءِ دولةِ الاحتلالِ في عامِ 2012 بتصريحٍ حذَّر فيه من ترقُّبِ الأمةِ الإسلاميةِ لما وصفه بـ: (رجلٍ مُجدِّدٍ للدينِ، وستقومُ باسمِه الحروبُ المُقدَّسة، والوقتُ يتسارعُ وليسَ في صالحِنا)، وكذلك أحدُ الزعاماتِ العربيةِ دونَ ذكرِ أسماء، صرّح بأنه وجّه تحذيراتٍ لمجلسِ الأمنِ وأمريكا مِن قضيةِ المهديِّ، وهذا لا يدُلُّ فقط على تيقُّنِهم من المهديِّ كقضيةٍ حقيقيةٍ وخطرٍ جَدِّيٍّ عليهم، بل على تيقُّنِهم من اقترابِ موعدِ ظهورِه الذي بات على الأبوابِ، وذُعرِهم مِن قدرتِه بعونِ اللهِ على قلبِ جميعِ موازينِ القوةِ الموجودةِ في أيديهمُ اليوم.

[93] مسند أحمد، رقم: 3571 و3572 و3573 و4098 و4099 و4279 والمعجم الكبير للطبراني حديث: 10214 و10215 و10216 و10217 و10220 و10221 و10222 و10224 و10225 و10226 و10227 و10228 و10229 و10230، وغيرهما.

[94] مسند أحمد، رقم: 3572، وسنن أبي داوود، رقم: 4282، جامع الأصول لابن الأثير، رقم 7833، والمعجم الكبير للطبراني، رقم: 10223.

[95] مسند أحمد، حديث رقم: 3571، وجامع السيوطي، حديث رقم: 16856، إطراف المسند لابن حجر، حديث رقم: 5474، وصحيح ابن حبان، حديث رقم: 6824، وسنن الترمذي، حديث رقم: 2230، وغيرهم.

[96] علل ابن الجوزي، حديث رقم: 1431، والفردوس للديلمي، حديث رقم: 6666، وذكره الذهبي في شرح العلل.

[97] ميزان الاعتدال للذهبي، ج4، ص56، علل ابن الجوزي، حديث رقم: 1439.

[98] المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، حديث رقم: 4940، وسنن ابن ماجة، حديث رقم: 4087، وجامع السيوطي، حديث رقم: 24722.

[99] التاريخ الكبير للبخاري، ج3، ص346، والاحتجاج للتويجري، ص251، وتاريخ الإسلام للذهبي، ج17، ص193.

[100] الجامع الصغير للسيوطي، حديث رقم: 11680.

[101] سنن أبي داوود، حديث رقم: 10346، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، ج13، ص1096.

[102] دلائل البيهقي، ج6، ص97، والنهاية لابن كثير، ج1، ص390، والمنتظم لابن الجوزي، ج5، ص25، وميزان الاعتدال للذهبي، ج2، ص382، ولسان الميزان لابن الحجر، ج4، ص403، وغيرهم.

[103] سنن ابن ماجة، حديث رقم: 4084، مسند أحمد، حديث رقم: 22387.

[104] سنن ابن ماجة، حديث رقم: 4082، مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: 308، والفتن لابن حماد، حديث رقم: 895، ومعجم الطبراني، وغيرهم.

[105] بحار الأنوار، ج52، حديث رقم: 100.

[106] كمال الدين، للصدوق، ج1، ص677، وبحار الأنوار للمجلسي، ج52، ص203.

[107] صحيح مسلم، حديث رقم: 2882، وصحيح ابن حبان، حديث رقم: 6756.

[108] مجمع الزوائد للهيثمي، ج7، ص319.

[109] السنن الواردة لأبي عمرو الداني، حديث رقم: 346.

[110] مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: 37653، والحاوي للسيوطي، ج2، ص78.

[111] الملاحم والفتن، لابن طاووس، ج1، حديث رقم: 157، والفتن لابن حماد، حديث رقم: 999، والحاوي للسيوطي، ج2، ص85.

[112] سنن أبي داوود، حديث رقم: 2483، وجامع الأصول لابن الأثير، حديث رقم: 6989.

[113] سنن أبي داوود، حديث رقم: 4286، وجامع الحديث للسيوطي، حديث رقم: 27041.

[114] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج3، ص120، عقد الدرر، ليوسف بن يحيى السلمي الشافعي، ج1، ص82.

[115] غيبة النعماني، ج1، ص312.

[116] تذكرة القرطبي، ص1206.

[117] غيبة النعماني، ب14، حديث رقم 55.

[118] تفسير العياشي، ج1، حديث رقم: 301.

[119] الحاوي للسيوطي، ج2، ص99، وفتاوى ابن حجر، ص28.

[120] صحيح مسلم، حديث رقم: 247.

[121] صحيح البخاري، حديث رقم: 3449، وجامع السيوطي، حديث رقم: 8720.

[122] الصواعق لابن حجر الهيثمي نقلًا عن الطبراني، ج2، ص475.

[123] المعجم الأوسط للطبراني، ج1، ص56، ومجمع الزوائد للهيثمي، ج7، ص320.

[124] الفتن لابن حماد، حديث رقم: 965، والحاوي للسيوطي، ج2، ص82.

[125] مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: 8673.

[126] سنن ابن ماجة، حديث رقم: 4083.

[127] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: 11326.

[128] صحيح ابن حبان، حديث رقم: 6682.

[129] بحار الأنوار للمجلسي، ج24، ب48، حديث رقم: 9.

[130] بحار الأنوار للمجلسي، ج51، ب58، حديث رقم: 50.

[131] سنن الإمام أحمد، حديث رقم: 22441، وسنن ابن ماجة، حديث رقم: 4084، والفتن لابن حماد، حديث رقم: 896.

[132] جامع السيوطي، ج23، ص290، وعلل ابن الجوزي، حديث رقم: 471.

[133] مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، ص214.

[134] التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح للشوكاني، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني، ومناقب الشافعي للآبري.

[135] صحيح الجامع للألباني.

[136] سورة الصف، الآية: 9.

[137] سورة النور، الآية: 55.

[138] سورة الجن، الآية: 16.

[139] المعجم الأوسط للطبراني، ج1، ص56، ومجمع الزوائد للهيثمي، ج7، ص320.

دابَّةُ الأرض؟

ورد في كتابِ اللهِ العزيز: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ) [140]. جمهورُ العلماءِ والمفسرين ذهب إلى تفسيرِ هذه الآيةِ على أنها علامةٌ من علاماتِ الساعة، وهي دابّةٌ تُكلِّمُ الناسَ في آخرِ الزمان. يربطُ غالبيةُ المفسرين بينَ الدابةِ المذكورةِ في هذه الآيةِ وبينَ الجسَّاسةِ المذكورةِ في حديثِ الجساسةِ الذي مرَّ معنا سابقًا في فقرةِ الدّجال، بينما ذهب البعضُ إلى اعتبارِها فصيلًا من ناقةِ صالح، وفسرها غيرُهم أنها ثعبان، يُزعمُ أنه ظهرَ على جدارِ الكعبةِ قديمًا، فيما ذهب البعضُ مثلَ الإمامُ القرطبيُّ إلى أنه إنسانٌ يُناظرُ أهلَ الكُفرِ والبِدعِ ويُجادلُهم في آخرِ الزمانِ، وذلكِ استنادًا إلى حديثٍ يُنسبُ إلى الإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ يقولُ: (إِنَّهَا دَابَّةٌ لَهَا رِيشٌ وَزَغَبٌ وَحَافِرٌ، وَمَا لَهَا ذَنَبٌ، وَلَهَا لِحْيَة) [141]، وقد علّق القرطبيُّ بقولِه: (وفي هذا القولِ إشارةٌ منه إلى أنّها من الإنسِ وإنْ لم يصرِّحْ به) [142]، والرأيُّ الأخيرُ في هذه المسألةِ هو ما ورد على لسانِ الزُّبَيرِ بنِ العوَّام في قولِه: (رَأْسُهَا رَأْسُ ثَوْرٍ، وَعَيْنُهَا عَينُ خِنْزِيرٍ، وَأُذُنُهَا أُذُنُ فِيلٍ، وَقَرْنُهَا قَرْنُ أَيَّلٍ، وَعُنُقُهَا عُنُقُ نَعَامَةٍ، وَصَدْرُهَا صَدْرُ أَسَدٍ، وَلَوْنُهَا لَوْنُ نَمِرٍ، وَخَاصِرَتُهَا خَاصِرَةُ هِرٍّ، وَذَنَبُهَا ذَنَبُ كَبْشٍ، وَقَوَائِمُهَا قَوَائِمُ بَعِيرٍ، بَيْنَ كُلِّ مَفْصَلَيْنِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا، تَخْرُجُ مَعَهَا عَصَا مُوسَى وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا نَكَتَتْ فِي وَجْهِهِ نُكْتَةً بَيْضَاءَ فَتَفْشُو فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَبْيَضَّ وَجْهُهُ، وَلَا كَافِرٌ إِلَّا نَكَتَتْ فِي وَجْهِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ بِخَاتَمِ سُلَيْمَانَ فَتَفْشُو تِلْكَ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ حَتَّى يَسْوَدَّ لَهَا وَجْهُهُ، حَتَّى إِنَّ النَّاسَ لَيَتَبَايَعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، بِكَمْ ذَا يَا مُؤْمِنُ؟ بِكَمْ ذَا يَا كَافِرُ؟ وَحَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ يَجْلِسُونَ عَلَى مَائِدَتِهِمْ فَيَعْرِفُونَ مُؤْمِنَهُمْ مِنْ كَافِرِهِمْ، ثُمَّ تَقُولُ لَهُ الدَّابَّةُ: يَا فُلَانُ أَبْشِرْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَا فُلَانُ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ)) [143].

أ - تفنيدُ الآراءِ السّابقة:

بدايةً، أذكرُ أننا تكلَّمنا عن حديثِ الجسّاسة في فقرةِ الدّجال، وقد بيّنتُ بما لا يدعُ مجالًا للشّكِّ أنه حديثٌ باطلٌ لا يُمكنُ الأخذُ به، خصوصًا لإهمالِ جُمهورِ الصحابةِ للتفاصيلِ المذكورةِ فيهِ خلالَ نقاشِهم حولَ مسألةِ الدَّجالِ وابنِ صائد، ولستُ أولَ مَن تبنّى الرّأيَ ببُطلانِ هذا الحديث، إذ فصّل في تَفنيدِه العديدُ من الباحثين سواءً مِن ناحيةِ السندِ أو المتن، أضِفْ إلى ذلك أنَّ العديدَ من العلماءِ الذين لا يَرَون بُطلانَ هذا الحديثِ، لا يربِطون بينَ الجسّاسةِ وبينَ الدّابّةِ أصلًا، ولا يُوجد بينَ طبقةِ الصحابةِ أو التابعين من فسَّر الدَّابّةَ بالجسّاسة، ممَّا يُؤكِّدُ أيضًا عدمَ سماعِ أحدٍ منهم بهذا الحديث، على الرَّغمِ مِن ادّعاءِ متنِ الحديثِ أنّه قيلَ في خُطبةٍ أمامَ جُمهورِ الصّحابة! أمّا بالنِّسبةِ للرّأيِ الذي يعتبرُ الدّابّةَ فصيلًا من ناقةِ صالح، فلا يُوجدُ حديثٌ أو أيُّ دليلٍ على مثلِ هذا التفسير، فمِن أين جيء به؟ كذلك الحالُ بالنِّسبةِ للأفعى، فهو تفسيرٌ لا دليلَ عليه، ولا حتى روايةٌ واهيةٌ تذكرُه، ناهيك عنِ الافتقارِ إلى الدليلِ على وجودِ هذه الأفعى من أصلِه! أما ما يُنسبُ عنَ

لسانِ الزّبَيرِ بنِ العَوّام، فقد رواه ابنُ جُرَيج عن ابنِ العوّامِ بسندٍ مُنقطِع، ولِمتنِ الحديثِ دلالةٌ مُلفِتةٌ سوف نعودُ إليها بعدما نستذكرُ الآياتِ بسِياقِها الكامل، ونفهمُ حقيقةَ المعنى في هذا النّصِّ القرآنيِّ الكريمِ بشكلٍ صحيح.

ب - نبيُّ اللهِ سليمان عليه السلام:

يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه الكريم: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿76﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿77﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿78﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿79﴾ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿80﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴿81﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴿82﴾) [144].

يَفهمُ المُتدبِّرُ من هذه الآيات، مُواساةَ اللهِ عزَّ وجلَّ للنَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بعدَ تكذيبِ بعضِ المكذِّبين له، ويُفهمُ أكثرَ مِن الآية: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أنَّ هؤلاءِ المُكذِّبين هُم غالِبًا من اليهود، خصوصًا أنَّ السورةَ وهي سورةُ النملِ، تذكُرُ قصّةَ نبيِّ اللهِ سُليمانَ، وهو مِن أهمِّ الشَّخصيّاتِ التّاريخيَّةِ في التُّراثِ اليهوديّ. لكنّ نبيَّ اللهِ سليمانَ بحسبِ التراثِ اليهودي، كان ملِكًا على الإنسِ والجنِّ والحيوانات، حيثُ كانت الحيواناتُ خدمًا وجنودًا عندَه، ويذكُرُ كتابُ المِدْراشِ اليهوديُّ أنَّ سليمانَ كان يتكلَّمُ مع الحيواناتِ ويعرِفُ لُغتَهم، وتقولُ الأساطيرُ اليهودِيَّةُ المُتوارَثةُ أنه اكتسب هذه القدرةَ مِن خاتَمِه السِّحريّ [145]. أمّا بالنسبةِ للمسلمين، قد يتطابقُ هذا مع ما تُجمِعُ الأمَّةُ عليه اليومَ منَ الاعتقادِ بأنَّ سليمانَ كان يُكلِّمُ الحيواناتِ ويعرِفُ لغتَهم، إلا أنَّني لا أوافِقُ على هذا الرأي، بل أعتبرُه منَ التُراثِ الدِّينيِّ الّذي هو ليس من أصلِ الدين، ولا أرى أنَّ القرآنَ الكريمَ يذكُرُ هذا إطلاقًا، فإذا تدبَّرنا الآياتِ بشكلٍ صحيح، نجدُ أنَّ القرآنَ الكريمَ يُصرِّحُ بأنَّ نبيَّ اللهِ سليمانَ كان يُتقِنُ لغةَ الطُّيورِ فقط، (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴿16﴾)، وكان جنودُه من الإنسِ والجنِّ والطَّيرِ فقط، (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴿17﴾) [146]، ومن هنا كان حِوارُ سليمانَ والهدهدِ، وتفقُّدُه للطَّيرِ. أمّا النّملةُ، فلَم تتكلَّمْ معَ سليمان، إنّما كانت تتكلّمُ مع النّملِ الآخرين، ولم تكن تُوجِّهُ كلامَها إلى نبيِّ اللهِ سليمان بتاتًا، (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴿18﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [147]، كانتِ النّملةُ تُخاطبُ النّمل، بينما كانَ سليمانُ يخاطبُ ربَّه، ولم يذكرِ القرآنُ الكريمُ أيَّ حديثٍ دار بينهما، ولقائلٍ أن يقولَ، إنّ سليمانَ شكر ربَّه حينَ علِم بما قالته النملة، وهذا دليلٌ على أنه يشكرُ ربَّه على ما علّمه من لغةِ الحيوانات، ولكنَّ سليمان قال (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ)، ووالداه لم يكلما الحيوانات، بل كان يشكرُ ربَّه على

نعمةِ مُلكِه العظيم، الذي تعرفَه وتتكلمُ عنه وتتهيّبُه جميعُ المخلوقات، حتى النملَ، والمُلكُ هو ما ورِثَه عن والديه، (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) [148]، وإلَّا لو أنه كان يكلمُ الحيوانات، لكان لكلّمها وطمْأنها كما هو معهودٌ عن رحمةِ أنبياءِ اللهِ بخلقِه، ولو كان نبيُّ اللهِ سليمانُ يعرفُ لُغةَ بقيَّةِ الحيوانات، فما منعه من أن يتّخذَ منهم جنودًا كما فعل مع الطّير، ولو كان تعلّم لغةَ الحيواناتِ جميعًا، لما أغفل القرآنُ الكريمُ ذلك وقد صرّح أنه عُلِّم لغةَ الطَّير (عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ).

ج - حقيقةُ دابّةِ الأرض:

يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) [149]، تكذيبُ اليهودِ للوحيِ المُنزلِ في سورةِ النّملِ قد يبدو غريبًا للوهلةِ الأولى، إذ إنَّ السورةَ تتكلّمُ عن أحدِ أهمِّ مُلوكِهم وتتكلّمُ عن مُلكِه العظيمِ وقدراتِه العظيمة، وحِكمتِه وشأنِه بينَ الأمم، فلماذا يُكذِّبُ بها اليهود؟ ما الذي يُمكنُ أن يُثيرَ حفيظتَهم في مثلِ هذا النَّصّ؟ يتناقضُ الفكرُ اليهوديُّ مع الفكرِ الإسلاميِّ في شخصيّةِ سُليمانَ من خلالِ مسائلَ عدَّة، أهمُّها أنّهم يعتبرونه ملِكًا لا نبيًّا، ويعتبرون أنّه يكلّمُ الحيواناتِ ككُلّ، ويعتبرون أنّ هذه القدرةَ جاءت من خاتمِه وليست آيةً منَ اللهِ له، ولعلَّ ما أثار الجدلَ هو تصريحُ الآيةِ بأنَّ اللهَ عزّ وجلّ وهبه لغةَ الطّيرِ كمُعجزةٍ مِن عندِه، وليس الأمرُ عائدًا إلى السحرِ والخاتم، وهنا كان إصرارُ اليهودِ على أنَّ خاتمَ سُليمانَ هو الذي وهبه هذه القدرة، وأنه كان يكلّمُ الدّوابَّ جميعًا، وبالتالي كان تكذيبُهم للنّصِّ القرآنيّ، وإصرارُهم على إمكانيَّةِ تكليمِ الحيواناتِ من خلالِ خاتمِ سليمانَ كقُدرةٍ مُستقِلّة، ويفسِّرُ ذلك طموحُهم بالوصولِ إلى هذه القوى السحريةِ، وهوسُهم بالحصولِ على القدراتِ السحريةِ التي تملّكها سليمانُ الملك، لا النَّبيَ، وهنا كان الرّدُّ القرآنيُّ على تكذيبِهم وإصرارِهم: (وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿81﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ)، فالآيةُ هنا تقولُ، إذا أراد اللهُ أن يهلِكهم في تلك الساعةِ لشدّةِ تكذيبِهم وإصرارِهم، فباستطاعةِ اللهِ عزّ وجلّ أن يُخرِجَ لهم دابَّةً منَ الأرضِ تُكلّمُهم كما يطمحون، طالما أنّهم لا يُؤمنون بآياتِه ومُعجزاتِه. من هُنا أيضًا نَستَنتِجُ أنّ مَن اخترعَ قِصّةَ الدّابّةِ التي تخرُجُ في آخرِ الزّمان، لم يُسئ فهمَ الآيةِ فقط، بل كان مُتأثّرًا بالتّراثِ اليهوديِّ بوضوح، ولذلك اعتبر أنّ الدّابّةَ تخرُجُ ومعها خاتمُ سُليمانَ وعصا موسى، فإنّ خاتمَ سليمانَ السّحريَّ ما يزال يسكُنُ هواجِسَهم وأحلامَهم، وما زالوا يطمحون في الوصول إلى تلك الخُرافةِ السِّحريَّةِ وأعاجيبِها.

ملاحظة:

قد يستشكِلَ البعضُ إنكاري للدّابّةِ كعلامةٍ من علاماتِ اخرِ الزّمانِ برَغمِ ذِكرِها في الحديثِ السابق الذي أوردناه في بدايةِ فَصلِ العَلاماتِ الكُبرَى: (... وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ)، ولكن لوجودِ انقطاعِ في سندِ هذا الحديث في طبقةِ التابعين - ولو أنّ رجَاله ثِقات ولا يمكنُ إهمالُ عمومِ معناه - تبقى تفاصيلُه غيرُ مُلزِمة، خصوصًا إذا تعلّقَ الأمرُ بمسائلَ وقعَتَ فيها أحاديثُ من الإسرائيلياتِ الموضوعةِ مثلَ مسألةِ الدابة، فلا يُستبعَدُ التصحيفُ في هذه الحالة.

[140] سورة النمل، الآية: 82.

[141] تفسير ابن كثير، سورة النمل.

[142] تفسير القرطبي، سورة النمل.

[143] تفسير ابن كثير، شورة النمل، والدر المنثور للسيوطي، ج6، ص383.

[144] سورة النمل، الآيات: 76-82.

[145] الموسوعة اليهودية لإيزيدور سينجر.

[146] سورة النمل، الآيات: 16-17.

[147] سورة النمل، الآيات: 18-19.

[148] سورة النمل، الآية: 16.

[149] سورة سبأ، الآية: 14.

العلامات الكونية

أ - الرّيحُ الطّيبةُ والدُّخَان:

وهي ريحٌ تخرجُ بعدَ انقضاءِ العلاماتِ المذكورةِ سابقًا، تُؤدّي إلى أن يقبِضَ اللهُ نُفوسَ المؤمنين والصّالحين من النّاس، وذلك حتّى يبقى شِرارُ النّاسِ فقط في الدّنيا، فيتهارجون فيها إلى أن تحين نهايةُ الحياةِ الدُّنيا.

جاء في عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ، أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ) [150]، وفي حديثٍ طويلٍ، (... بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ) [151]. أما لفظةُ الدُّخانِ فقد وردت في كتابِ اللهِ جلَّ وعلا: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿10﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) [152].

تربطُ بعضُ الآراءِ بينَ الرّيحِ هذه وبينَ الدُّخانِ المذكُورِ الآيةِ السابقةِ، وهذا الرأيُ ذهب إليه ابنُ عباس، ومُجاهد، وغيرُهم من الصحابةِ والتّابعين، وعلّق الإمامُ النوويُّ على رأيِهما بقولِه: (هَذَا يُؤَيِّدُ قَوْلَ مَنْ قَالَ إِنَّ الدُّخَانَ يأخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَام) [153].

بينما خالف ابنُ مسعودٍ هذا الرأيَ بشِدّةٍ حيثُ يروى مسروقُ بنُ الْأجدَعِ: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا يَقُصُّ وَيَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ فَجَلَسَ عَبْدُ اللهِ وَهُوَ غَضْبَانُ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ، مِنْ عَلِمَ مِنْكُمِ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ "اللهُ أَعْلَمُ" فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ "اللهُ أَعْلَمُ" فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ"، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا قَالَ لَهُمْ "اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ"، قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ) [154]، إلا أنّه لَم يروِ أحدٌ منَ الصّحابةِ مثلَ هذا القولِ، على الرّغمِ من أنّ هذا حدثٌ كَونيٌّ لا يُمكنُ تغافُلُ النّاسِ عن ذِكرِه والتّحديثِ عنه! هذا ما يجعلُني أميلُ إلى قولِ ابنِ عبّاسٍ والنّوويِّ وغيرِهما ممَّن ربط بينَ الدُّخانِ وبينَ الرّيح، ولكن لا يمكنُ لأحدٍ التّيقنُ في مثلِ هذه التفصيلاتِ لقلةِ دلَالاتِها، واللهُ أعلم.

ب - طُلوعُ الشّمس من مَغربِها:

ورد عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا)) [155]، وورد أيضًا: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَبسُطُ يَدَه باللَّيلِ لِيَتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبسُطُ يدَه بالنَّهارِ لِيَتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ، حتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ مِن مَغرِبِها) [156][1].

قد يَستشكِلُ المرءُ حصولَ حدثٍ فلكيٍّ جللٍ بهذا الشّكلِ حيثُ يتغيّرُ مجرى إشراقِ الشّمسِ بشكلٍ عكسيٍّ، أو بمعنى آخر، ينعكِسُ فيه دورانُ الأرضِ حولَ نفسِها، خصوصًا ما يُمكنُ أن يُسبِّبَ ذلك من كوارثَ طبيعيّةٍ جمّةٍ لا يُمكنُ تقديرُ حجمِها. لكن من المُهمِّ أن نعلمَ أنّ انعكاسَ مسارَ دورانِ الأرضِ حولَ نفسِها مُمكِنٌ، وهذا ينطبقُ على أيِّ جُرمٍ سماويٍّ آخر، وقد حصلَ هذا فعلًا على كوكبِ المرِّيخ عام 2003، وعرِفَ بظاهرةِ التراجُعِ العالميِّ، أو التراجُعِ الأرضيِّ، Secular Retardation، وغالبًا ما يحدُثُ بسببِ خللٍ في المجالِ الكهرُومغناطيسيِّ للكوكب، ما يُؤدّي إلى ظاهرةِ أو ما يعرفُ بالانعكاسِ المغناطيسيِّ الأرضيِّ، Geomagnetic Reversal، ما يعني انعكاسَ قُطبَي الكوكبِ الشّماليِّ والجنوبيّ، وهي ظاهرةٌ حصلتِ على كوكبِنا مِرارًا خلالَ تاريخِ عمرِه الطويلِ، وقد تكرَّر خمسَ مرّاتٍ خلالَ آخِرِ مِليُونِ عامٍ فقط مِن عُمرِ كوكبِ الأرضِ [157]، وعمرُ كوكبِ الأرضِ يُقدّرُ بأربعةِ مِلياراتِ ونِصفِ مِليارِ سنةٍ.

ما يترتّبُ على حدثٍ مهولٍ كهذا، سواءً مِن انعكاسٍ لحركةِ الرّياحِ والأمواجِ، أو حالِ الخللِ في المجالِ الكهرومغناطيسيِّ للكوكب، ستكونُ له آثارٌ كارثيةٌ مُدمِّرةٌ على مُستوى الكوكبِ ككلّ، وهذا ما سيُرعِبُ النّاسَ الباقين على الأرضِ الذين هُم شِرارُ الخَلقِ، فيُبادِرون بالإيمانِ خوفًا مِن الهلاكِ الذي يُحدِّقُ في أعيُنِهم، فلا يبقى كافرٌ إلّا آمن (فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنَ النَّاسُ أَجْمَعُون) ولكن يُؤمنون بعدَ فواتِ الأوانِ، فذلك يومٌ لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل.

ج - النّارُ الحاشرة:

هي النارُ التي تخرجُ من اليمن، أو من المشرق، فتحشُرُ النّاسَ باتجاهِ الشّامِ، أو باتّجاهِ المغربِ بحسبِ لفظةِ الروايات، (وقد سبق وذكرنا تسميةَ الشّامِ بالمغربِ في الرِّواياتِ كونَها مَغرِبَ الجزيرةِ العربية)، ويؤكدُ على ذلك ابنُ حجرِ العسقلاني: (الشَّامَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ) [158]، إضافةً إلى الحديثِ المرفوعِ إلى نبيِّ الله: (إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ) [159]، تستمِرُّ هذه النّارُ ليلَ نهارَ حتّى يسيروا مُكرَهين ابتعادًا عنها كما يسيرُ الجملُ الكسيرُ على حدِّ التَعبيرِ الواردِ في النصِّ.

يقولُ نبيُّ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (تُبْعَثُ نَارٌ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَتَحْشُرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتُقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا يَكُونُ لَهَا مَا سَقَطَ مِنْهُمْ وَتَخَلَّفَ، وَتَسُوقُهُمْ سَوْقَ الْجَمَلِ الْكَسِير) [160]، وفي

رواية: (تَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَبِيتُ مَعَهُمْ وَتُقِيلُ، وَتُصْبِحُ وَتُمْسِي) [161]، دلالةً على استمرارِها أيامًا.

يفهمُ الكثيرُ من المفسرين والعلماءُ أنّ النارَ هذه تشملُ الأرضَ كلها، ولكن الأحاديثَ تحددُ رقعتَها بوضوحٍ، إذ تبدأ من اليمنِ وتنتهي في الشام، ولم يرد في هذه العلامةِ أيّةُ تفاصيلَ تذكُرُ أسبابَها أو دلالاتِها أو نهايةَ هذا الحدثِ، إن كان له نهايةٌ غيرُ النّفخِ في الصُّورِ إيذانًا بانتهاءِ الدنيا. هذا الإبهامُ في هذه المسألةِ يفتحُ البابَ على كافّةِ احتمالاتِ أسبابِه المُمكنة، سواءً كان حربًا، أو كوارثَ طبيعيّة، أو حدثًا فلكيًّا، واللهُ تعالى وحدَه أعلم، غيرَ أنّنا لا يُمكنُ أن نُهمِلَ بُركانَ عدن، ولكن كونَه مِنَ المُستحيلِ لهذا البركانِ أن يكفيَ طبيعيًّا لأن يُحدِثَ نارًا تصلُ إلى تخومِ الشّام، يبقى الأمرُ مبهمًا إلى حدٍّ بعيد، ولعلّ الغايةَ من هذا الإبهامِ هو عدمُ قِيمةِ الدّنيا في ذلك الزمن، إذ إنّها تكونُ شارفت على الانتهاء، وخلَت مِن الأخيارِ والصالحين، ولم يعدْ فيها منَ الخيرِ ما يُؤمل.

ملاحظة:

أودُّ أنْ أُنوِّهَ وقد وصلْنا إلى نهايةِ الأحداثِ الواردةِ في النُّبوءاتِ الإسلاميةِ على أنني إذا أهملتُ ذِكرَ روايةٍ أو لفظةٍ في أيٍّ من المواضيعِ السالفِ ذكرُها، فقد أهملتُ ذكرَها عمدًا، وذلك إمّا لإشكاليّةٍ في سندِها، أو لإشكاليَّةٍ في متنِها، باستثناءِ المواضيعِ التي نوّهتُ في فقراتِها على أنَّ لها رواياتٍ كثيرةً قليلةَ الأهميةِ، وفضّلتُ أن أقتصِرَ فيها على الرواياتِ المُهمّةِ والمُفيدة.

[150] صحيح مسلم، حديث رقم: 117.

[151] صحيح مسلم، حديث رقم: 2937.

[152] سورة الدخان، الآيتان: 10-11.

[153] شرح النووي على مسلم، ج18، ص27.

[154] صحيح مسلم، حديث رقم: 2798.

[155] صحيح البخاري، حديث رقم: 6506.

[1][156] صحيح مسلم، حديث رقم: 2759.

[157] هيئة المسح الجيولوجي البريطاني.

[158] فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج11، ص378.

[159] نفس المصدر السابق.

[160] مستدرك الحاكم، حديث رقم: 8647، ومعجم الطبراني، حديث رقم: 14513.

[161] معجم الطبراني، ج5، ص210.

النُّبوءاتُ المسيحيّة

على عكسِ مناقشتي للنبوءاتِ الإسلاميةِ والآراءِ المتعددةِ فيها، ففي النبوءاتِ المسيحيةِ سأقومُ بطرحِ الآراءِ المُتعدِّدةِ حول هذه النبوءاتِ من وجهاتِ نظرٍ مسيحيَّةٍ فقط دون أن أُناقشَ أيًّا منها، ودونَ أن أُرجِّحَ رأيًا يُقنعُني أو أن أُفنِّدَ رأيًا لا يُقنعُني، وإذا شئتُ أن أبديَ رأيًا ما، فسأوردُه في الملاحظاتِ المعقِّبةِ للفقرات، على أن أقولَه من منظورٍ مسيحيٍّ بحت.

النبوءاتُ المسيحيةُ التي تتحدثُ عن أحداثِ ومُجرياتِ آخرِ الزمان، كونَ كثيرٍ منها آتيةً من رُؤى منامية، فإنها تحوي على الكثيرِ من الرّمزيّة، وبالطّبعِ فإنّ فكَّ هذه الرُّموزِ ومعرفةَ تفسيرِها، يتطلّبُ بعضَ المعرفةِ عنِ معاني هذه الرمزيةِ التي قد ترتبطُ إما بمصطلحاتٍ إنجيلية، أو ثقافاتِ المُرتبطة بفترةِ الرُّؤى، أو قد ترتبطُ هذه الرمزيةُ بأمورٍ معاصرة، وذلك بحسبِ التأويلاتِ والشروحِ المختلفةِ لتلك النبوءات.

في هذا الجزءِ من الكتاب، سأقسّمُ النبوءاتِ إلى ثلاثةِ فصول، الفصلُ الأولُ يتعلقُ بالنبوءاتِ الواردةِ في العهدِ القديم، والفصلُ الثاني يتعلّقُ بالنبوءاتِ الواردةِ في العهدِ الجديد، والفصلُ الأخيرُ يتعلقُ بالنبوءاتِ الآتيةِ من خارجِ الكتابِ المقدس، وهذا الفصلُ الثالثُ آتٍ من خلالِ رؤى مناميةٍ شاهدَها قدِّيسُونَ مُتأخِّرون، أو في مشاهداتٍ ملكوتيةٍ في اليقَظة. هنا وجبَ أن أوضِّحَ أنَّ الفصلَ الثالثَ غيرُ مُلزِمٍ إيمانيًّا لجميعِ الإخوةِ المسيحيين. بمعنى آخر، ليس كلُّ الإخوةِ المسيحيينَ يُؤمنون بهذه النبوءاتِ على خلافِ النبوءاتِ الواردةِ في الكتابِ المقدَّسِ طبعًا.

بقيَ أن أُنوِّهَ أيضًا أنني بصددِ أن أقتصِرَ على التحدُّثِ عن أهمِّ النبوءاتِ المتعلّقةِ بآخرِ الزّمانِ فقط أو أهمِّ النبوءاتِ المتعلقةِ بالمستقبلِ عامّةً عُبورًا إلى أحداثِ آخرِ الزمان، وليس عن جميعِ النبوءاتِ الواردةِ في الكتابِ المقدَّسِ أو غيرِه، ويأتي هذا استِكمالًا لذاتِ المبدأ الذي التزمتُ به في الجزءِ الإسلاميِّ من هذا البحث.

الفصلُ الخامس
نبوءاتُ العهدِ القديم

رُؤى الممالك

كما أسلفنا، فإنّ أهمَّ النبوءاتِ التي جاءت في الكتابِ المقدّسِ أتت في إطارِ رُؤى مناميّة، وأهمُّ ما جاء في هذا الإطارِ في العهدِ القديم، ما وردَ في كتابِ دانيال. هنا نستعرِضُ رؤيا نبوخذ نصّرَ ملكِ بابلَ التي أوَّلها له النبيُّ دانيالُ إبَّانَ السبيِ البابليّ. كذلك ما رآهُ النبيُّ دانيالُ نفسُه، وهو مشابهٌ في التأويلِ والأحداثِ لرؤيا نبوخذ نصّر، مع بعضِ التفاصيلِ الإضافيةِ هنا وهناك.

أ - رؤيا تمثالِ بابل:

وردَ في سفرِ دانيال: ({31} أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ نَظَرْتَ، وَإِذَا بِصَنَمٍ عَظِيمٍ، هذا الصَّنَمُ الضَّخْمُ شَدِيدُ الْبَرِيقِ وَقَفَ قُبَالَتَكَ، وَكَانَ مَنْظَرُهُ مَهُولاً {32} رَأْسُ هَذَا الصَّنَمِ مِن ذَهَبٍ خَالِصٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَفَخِذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ {33} سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ، بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهَا مِنْ صَلْصَالٍ {34} بَيْنَمَا كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، وإِذَا بِحَجَرٍ اقْتُطِعَ مِن دُونِ يَدٍ آدَمِيَّةٍ، فَضَرَبَ الصَّنَمَ عَلَى قَدَمَيهِ اللَّتَيْنِ مِن حَدِيدٍ وَصَلْصَالٍ فَسَحَقَهُمَا إِلَى إِرَبٍ {35} حِينَئِذٍ، الْحَدِيدُ وَالصَّلْصَالُ وَالنُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ كُلُّهَا انْسَحَقَتْ مَعًا إِلَى إِرَبٍ، وَأَصْبَحَتْ كَعُصَافَةِ بَيْدَرٍ صَيْفِيَّةٍ، فَذَرَتْهَا الرِّيحُ بَعِيدًا إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ يُعْثَرُ عَلَيْهِ. لَكِنَّ الْحَجَرَ الَّذِي ضَرَبَ الصَّنَمَ صَارَ جَبَلاً عَظِيمًا وَمَلأَ الأَرْضَ كُلَّهَا {36} هَذَا هُوَ الْحُلُمُ. الآنَ نُنَبِّئُ الْمَلِكَ بِتَأْوِيلِهِ {37} أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، مَلِكُ الْمُلُوكِ، الَّذِي آتَاهُ رَبُّ السَّمَاءِ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالسُّلْطَانَ وَالْمَجْدَ {38} وَالَّذِي جُبِيَ إِلَى يَدَيْهِ كُلُّ مَكَانٍ سَكَنَهُ بَنُو الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطُيُورُ السَّمَاءِ، فَمَلَّكَكَ عَلَيْهَا جَمِيعَهَا. أَنْتَ رَأْسُ الذَّهَبِ {39} وَبَعْدَكَ تَقُومُ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَقَلُّ مِنْكَ شَأْنًا، وَمِنْ ثُمَّ مَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ مِنْ نُحَاسٍ، سَتَمْلُكُ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ {40} وَسَوْفَ تَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ، قَوِيَّةٌ كَالْحَدِيدِ، إِذْ أَنَّ الْحَدِيدَ يُحَطِمُ كُلَّ شَيْءٍ إِرَبًا وَيَسْحَقُهُ. وَكَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ يَسْحَقُ، فَسَوْفَ تُحَطِّمُ وَتَسْحَقُ جَمِيعَ هَؤُلاءِ {41} وَكَمَا رَأَيْتَ الْقَدَمَين وَالأَصَابِعَ، بَعْضُهَا مِنْ صَلْصَالٍ وَبَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ، سَتَكُونُ مَمْلَكَةً مُنْقَسِمَةً، وَلَكِنْ سَيَكُونُ فِيهَا بَعْضُ تَمَاسُكِ الْحَدِيدِ، تَمَامًا كَمَا رَأَيْتَ حَدِيدًا مَمْزُوجًا بِالطِّين اللاَّزِبِ {42} وَكَمَا أَنَّ أَصَابِعَ الْقَدَمَينْ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهَا مِنْ صَلْصَالٍ، كَذَلِكَ سَتَكُونُ الْمَمْلَكَةُ قَوِيَّةً جُزْئِيًّا وَهَشَّةً جُزْئِيًّا {43} كَمَا رَأَيْتَ أَنَّ الْحَدِيدَ مَمْزُوجٌ بِالطِّينِ اللاَّزِبِ، كَذَلِكَ سَيَخْتَلِطُونَ بِبَعْضِهِمْ بِالزَّوَاجِ، وَلَكِنَّهُمْ لاَ يَتَمَاسَكُونَ مَعَ بَعْضٍ، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لاَ يَخْتَلِطُ بِالصَّلْصَالِ {44} وَفِي أَيَّامِ هَؤُلاَءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تُدَمَّرَ أَبَدًا، وَلاَ يَرِثُ مُلْكَهَا شَعْبٌ آخَرُ، وَسَوْفَ تُحَطِمُ

جَمِيعَ تِلكَ المَمَالِكِ إِرَبًا وَتَضَعُ لهُمْ حَدّا، وَسَتَبْقَى قَائِمَةً إلى الآبَدِ {45} تَمَامًا كَمَا أَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّ حَجَرًا اقْتُطِعَ مِنْ جَبَلٍ مِن دُونِ يَدٍ آدَمِيَّةٍ، فَحَطَّمَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالصَّلْصَالَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ إِلَى إِرَبٍ، فَإِنَّ الرَّبَّ الْعَظِيمَ يُنَبِّئُ مَا سَوْفَ يَكُونُ مُسْتَقْبَلًا. الرُّؤْيَا حَقٌّ، وَتَأْوِيلُهَا أَكِيد) [162].

تختلفُ بعضُ الآراءِ المُتقدِّمةِ إلى حدٍّ ما في تحديدِ تلك الممالك. أمّا حديثًا، فتكادُ تُجمِعُ الشُّروحُ المُعاصِرةُ على أنَّ الممالكَ الثلاثَ الأولى المقصودةَ في هذا الإصحاح، إضافةً إلى مملكةِ بابلَ، هي مملكةُ فارس، والمملكةُ المَقدونية. بينما تشُذُّ آراءُ البعضِ عن هذا التأويل. على سبيل المثال، يرى البروفيسور جون كولينز، أنّ الممالكَ الأربعةَ هي بابلُ وآشوريا ومقدونيا وفارس، أما المملكةُ الرُّومية فيعتبرُها المملكةَ الإلهيةَ الخامسة، على أنّ هكذا آراءً ليست ذاتَ وزنٍ يُذكرُ في الوسطِ المسيحيِّ المُعاصِر، وذلك لأنَّ الرأيَ المسيحيَّ في العُمومِ حول المملكةِ الرابعةِ إما يعتبرُ أنّها مملكةٌ تظهرُ في آخرِ الزّمان، أي في زَمانِ المجيءِ الثاني للمسيح، أو يعتبرُ أنَّ المملكةَ الرابعةَ هي المملكةُ الرومية، وهو أعمُّ الآراء، إذ أنَّ التطابقَ الواقعيَّ لها مع النبوءةِ بات أكثرَ تجليًّا، وبالأخصِّ مع ما سنذكُرُه في النبوءةِ التالية. إضافةً إلى ذلك، تُوجدُ عدةُ آراءٍ يهوديةٍ في تفسيرِ هذا النصِّ، غيرَ أنني لن أتطرَّقَ إليها، إذ سأكتفي بالاقتصارِ على الفكرِ المسيحي هنا.

المملكةُ الروميةُ، أو ما يُعرفُ بالمملكةِ الرومانية، وأعتبرُ أنَّ مِن سُوءِ التَّرجمةِ أن تُسمَّى رُومانِيَّةً وهي رُوميَّةٌ نسبةً إلى روما لا إلى رُومانيا كما هو معلوم. على كلِّ حال، هي تأويلُ القدمَين الحديديتَين اللَّتَين تنتهيان إلى عشرِ أصابعِ أقدامٍ حديديّةٍ وصلصاليّةٍ مُختلطة، ما يتطابقُ مع انتهاءِ المطافِ بالمملكةِ الروميةِ مُقسَّمةً إلى عشرِ ممالكَ، كان بعضُها قويًّا كالحديد، وبعضُها لم يكن بتلك القوةِ والتّماسك، وهي:

المملكةُ الأنكلوسَكسُونيّة (إنكلترا).

مملكةُ الفِرَنجة (فرنسا).

مملكةُ ألمانيا.

مملكةُ هِيرُولي (معظمُ إيطاليا).

مملكةُ القُوطِ الشرقيّين (كرواتيا وسلوفانيا وأجزاءٌ من إيطاليا).

مملكةُ الحَضْنةِ البربريّة (شمالُ أفريقيا).

مملكةُ لُومبارِديا (النمسا وأجزاءٌ أخرى من إيطاليا).

مملكةُ القوطِ الغربيِّين (أجزاءٌ من فرنسا وإسبانيا).

المملكةُ السُّوَيبِيّة (البرتغال).

المملكةُ البورغَندِيّة (سويسرا).



[ج]

وأهميةُ هذه النبوءةِ والنبوءةِ التالية، تتجلى أكثرَ حينَ نصلُ إلى نبوءاتِ العهدِ الجديد.

ب - رؤيا الوحوشِ الأربعة:

ورد في سفرِ دانيال: ({2} قَالَ دَانْيَالُ: رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ لَيْلًا، إِذْ بِرِيَاحِ السَّمَاءِ الأَرْبَعِ تُثِيرُ الْبَحْرَ الْعَظِيمَ {3} وَصَعِدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ وُحُوشٍ عَظِيمَةٍ مُخْتَلِفٌ بَعْضُهَا عَنِ الْبَعْض {4} الأَوَّلُ كَانَ مِثْلَ أَسَدٍ لَهُ أَجْنِحَةُ نُسُورٍ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ جَنَاحَيْهِ اقْتُلِعَا، وَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ فَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ مِثْلَ إِنْسَانٍ وَقَدْ أُعْطِيَ ذِهْنَ إِنْسَانٍ {5} وَإِذَا بِوَحْشٍ آخَرَ غَيْرِهِ مِثْلِ دُبٍّ، مُرْتَفِعٍ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَدَاخِلَ فَمِهِ ثَلاثَةُ أَضْلُعٍ بَيْنَ أَسْنَانِهِ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: قُمْ فَكُلْ لَحْمًا كَثِيرًا {6} ثُمَّ نَظَرْتُ، وَإِذَا بِآخَرَ مِثْلِ فَهْدٍ، وَلَهُ أَجْنِحَةُ طَائِرٍ أَرْبَعَةٌ عَلَى ظَهْرِهِ، وَلِلْحَيَوَانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ، وَقَدْ أُعْطِيَتْ لَهُ السِّيَادَةُ {7} بَعْدَ ذَلِكَ، رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ اللَّيْلِيَّةِ، إِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ فَظِيعٍ وَمُخِيفٍ وَأَقْوَى بِكَثِيرٍ، وَلَهُ أَسْنَانٌ حَدِيدِيَّةٌ عَظِيمَةٌ. أَكَلَ وَحَطَّمَ الْبَاقِينَ إِرَبًا وَطَحَنَهُمْ بِأَقْدَامِهِ. كَانَ مُخْتَلِفًا عِنْ جَمِيعِ الْوُحُوشِ الَّتِي سَبَقَتْهُ، وَكَانَ لَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ {8} تَأَمَّلْتُ بِالْقُرُونِ، وَإِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ يَظْهَرُ مِنْ بَيْنِهِمْ، قَرْنٌ صَغِيرٌ، اقْتَلَعَ أَمَامَهُ ثَلاثَةً مِنَ الْقُرُونِ مِنْ جُذُورِهَا، وَإِذَا لِهَذَا الْقَرْنِ عُيُونٌ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ وَفَمٌ يَقُولُ الْعَظَائِمَ {9} وَفِيمَا أَنَا أَنْظُرُ، نُصِبَتِ الْعُرُوشُ، وَالَّذِي كَانَ قَدِيمَ الأَيَّامِ جَلَسَ فِي مَكَانِهِ. كَانَتْ مَلابِسُهُ بَيْضَاءَ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ. كَانَ عَرْشُهُ لَهِيبًا نَارِيًّا، عَجَلاتُهُ كَانَتْ نَارًا مُشْتَعِلَةً {10} تَمَّ إِطْلاقُ تَيَّارٍ مِنَ النَّارِ وَخَرَجَتْ مِنْ أَمَامِهِ. يَخْدِمُهُ أَلْفُ أَلْفٍ، وَوَقَفَ قُدَّامَهُ عَشَرَةُ آلافِ عَشَرَةِ آلافٍ. جَلَسَتِ الْمَحْكَمَةُ لِلْحُكْمِ، وَفُتِحَتِ الْكُتُبُ {11} الْتَفَتُّ حِينَئِذٍ إِلَى صَوْتِ الْعَظَائِمِ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا الْقَرْنُ، وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَنْظُرُ، ذُبِحَ الْوَحْشُ وَتَدَمَّرَ جِسْمُهُ وَسُلِّمَ

لِيُحْرَقَ بِالنّارِ {12} امَّا بِالنِّسْبَةِ لِبَقِيّةِ الوُحُوشِ، فَقَدْ نُزِعَ عَنْهُمْ سُلطانُهُم، وَلَكِنِ اسْتَمَرَّتْ حَيَاتُهُم لِمَوْسِمٍ وَزَمَانٍ {13} رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ اللَّيْلِيَّةِ، إِذَا بِآدَمِيٍّ آتٍ مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ، وَأَتَى إِلَى قَدِيمِ الأَيَّامِ وَأُحْضِرَ أَمَامَهُ {14} وَجُبِيَ إِلَيْهِ سُلْطَانٌ وَمَجْدٌ وَمُلْكٌ، تَخْدِمُهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَاللُّغَاتِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ دَائِمٌ، لاَ يَزُولُ، وَمَمْلَكَتُهُ وَاحِدَةٌ لاَ تُهْدَمُ {15} بِالنِّسْبَةِ لِي أَنَا، دَانْيَالَ، كَانَتْ رُوحِي قَلِقَةً وَأَفْزَعَتْنِي رُؤَى رَأسِي {16} اقْتَرَبْتُ مِنْ أَحَدِ الْوَاقِفِينَ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَقِيقَةِ كُلِّ هَذا، فَقَالَ لِي وَأَنْبَأَنِي تَفْسِيرَ الأُمُورِ {17} "هَذِهِ الوُحُوشُ الأَرْبَعَةُ العَظِيمَةُ هِيَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ سَيَقُومُونَ مِنَ الأَرْضِ {18} لَكِنَّ قِدِّيسِي الأَعْلَى سَيَنَالُونَ الْمُلْكَ وَيَمْتَلِكُونَ الْمُلْكَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" {19} ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ حَقِيقَةَ الوَحْشِ الرَّابِعِ، الَّذِي كَانَ مُخْتَلِفًا عَنِ البَقِيَّةِ، أَفْظَعَ بِكَثِيرٍ، بِأَسْنَانِهِ الحَدِيدِيَّةِ وَمَخَالِبِهِ النُّحَاسِيَّةِ، وَالَّذِي التَهَمَ وَحَطَّمَ، البَقِيَّةَ وَطَحَنَهُمْ بِأَقْدَامِهِ {20} وَبِشَأنِ القُرُونِ العَشَرَةِ الَّتِي عَلَى رَأسِهِ، وَالقَرْنِ الآخَرِ الَّذِي خَرَجَ وَسَقَطَ أَمَامَهُ ثَلاَثَةٌ مِنْهُم، القَرْنِ الَّذِي لَهُ عُيُونٌ وَفَمٌ يَقُولُ العَظَائِمَ، وَبَدَى أَعْظَمَ مِنْ أَقْرَانِهِ {21} كَمَا رَأَيْتُ، هَذَا القَرْنُ حَارَبَ القِدِّيسِينَ، وَتَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ {22} حَتَّى جَاءَ قَدِيمُ الأَيَّامِ، وَصَدَرَ القَضَاءُ لِقِدِّيسِي الأَعْلَى، وَحَانَ الزَّمَانُ الَّذِي يَسْتَلِمُ فِيهِ القِدِّيسُونَ المُلْكَ {23} فَقَالَ: "أَمَّا الوَحْشُ الرَّابِعُ، سَوْفَ تَكُونُ عَلَى الأَرْضِ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ، سَتَكُونُ مُخْتَلِفَةً عَنْ جَمِيعِ المَمَالِكِ، فَتَأْكُلُ الأَرْضَ كُلَّهَا، وَتَطْرَحُهَا أَرْضًا وَتُحَطِّمُهَا إِرَبًا {24} أَمَّا عَنِ القُرُونِ العَشَرَةِ، فَمِنْ هَذِهِ المَمْلَكَةِ سَيَقُومُ عَشَرَةُ مُلُوكٍ، وَسَيَقُومُ آخَرُ بَعْدَهُمْ، سَوْفَ يَكُونُ مُخْتَلِفًا عَنْ سَابِقِيهِ، وَسَوْفَ يَطْرَحُ ثَلاَثَةَ مُلُوكٍ {25} يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتٍ ضِدَّ الأَعْلَى، وَسَيُبْلِي قِدِّيسِي الأَعْلَى، وَيُفَكِّرُ فِي تَغْيِيرِ الأَزْمِنَةِ وَالقَانُونِ، وَسَيُجْبَى إِلَى يَدِهِ زَمَانٌ وَزَمَانَانِ وَنِصْفُ زَمَانٍ {26} لَكِنَّ المَحْكَمَةَ سَتَجْلِسُ لِلْحُكْمِ، وَسَيُنْزَعُ عَنْهُ سُلْطَانُهُ لِيَتِمَّ اسْتِهْلاَكُهُ وَتَدْمِيرُهُ عَنْ آخِرِهِ {27} وَالمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظِيمُ المَمَالِكِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ سَيُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الأَعْلَى سَيَكُونُ مُلْكُهُمْ مُلْكًا أَبَدِيًّا وَجَمِيعُ السِّيَادَاتِ تَخْدِمُهُمْ وَتُطِيعُهُمْ") [163].

التشابهُ بين هاتَين الرؤياوَين وتأويلِهما يُوجبُ اليقين أنَّ الممالكَ المقصودةَ في كِلا الرؤياوين هُم نفسُ الممالك، فالوحوشُ الأربعةُ رمزٌ آخرُ للأجزاءِ الأربعةِ من التمثال، والقرونُ العشَرةُ رمزٌ آخرُ للأصابعِ العشْر، وتدميرُ الممالكِ كلّها بإقامةِ العدالةِ الإلهيّةِ أيضًا هوَ هو، وهذا المعنى تكرّر أيضًا في رؤى مختلفةٍ ذاتِ رموزٍ متعدِّدةٍ مع النبيِّ دانيال، وتبقى هذه الرؤيا هي الأهمّ، وذلك لوجودِ إضافةٍ مُهِمّةٍ جدًا في هذه الرؤيا بالذّات، وهي القرنُ الذي وُصفَ بأنّه يخرُجُ من بين القرونِ العشر، ويَقتلعُ بخروجِه ثلاثةً منها من جُذورِها، ويتكلّمُ بعظائمَ ضِدَّ الرّبّ، ويُحارِبُ القدّيسين ويَتغلّبُ عليهم، ويُغيّرُ الأزمنةَ والقوانين، ويبقى زمانًا وزمانَين ونصفَ زمان.

بالنسبةِ للقرنِ الصغير، فعلى الرُّغمِ من تعددِ الآراءِ حولَه بعضَ الشيء، فقدِ اتّفقت جمهرةُ الآراءِ على اعتبارِه الشخصيةَ التي تُشكّلُ قِمّةَ العداوةِ للمسيحِ في آخرِ الزمان، أي ما يعرفُه الكثيرون باسمِ "نقيض المسيح"، وسوف نناقشُ هذه الشخصيةَ أكثر في فصل العهدِ الجديد.

تأويلُ هذا الوحش، وتأويلُ قرنِه الصغير، جاءت عليه آراءٌ متنوعة، ولكنّ كثيرًا من الآراءِ المسيحيةِ تشيرُ إلى كونِه الفاتيكان، يأتي هذا الرأيُ

استنادًا على كونِ البابا غريغوري قام بتغييرِ التاريخِ الميلاديِّ من التقويمِ الجوليانيِّ إلى ما بات يُعرفُ بالتقويمِ الغريغوري، ما يرونه تأويلًا لعبارةٍ: (وَيُفَكِّرُ فِي تَغْيِيرِ الْأَزْمِنَةِ وَالْقَانُونِ) في النبوءة، واستنادًا إلى إبادةِ كلٍّ من القوطِ الشرقيين، والقوطِ الغربيين، والفاندال

على خلفيةِ خلافاتٍ عقائدية، وعلى فرضِ التشريعاتِ الجستنيانية، ما يعتبرُه الشراحُ تأويلًا لانتزاعِ القرنِ الصغيرِ لثلاثةِ قرون، ومحاربةِ للقديسين، واستنادًا إلى كونِ دولةِ الفاتيكانِ الأولى امتدَّتْ 1260 سنةً ميلادية، وهذا يُساوي عددَ الأيامِ خلالَ ثلاثةِ أعوامٍ ونصفٍ، أي أنه يُساوي عددَ الأيامِ خلالَ سنةٍ وسنتَين ونصفَ السّنة، ما يرونَه تأويلًا لزمنٍ وزمانَين ونصفَ زمانٍ كما ورد في نصِّ النبوءة.

من ناحيةٍ أخرى، ترى آراءٌ عديدةٌ الوحشَ والقرنَ وباقيَ تفاصيلِ الرؤيا على أنها معانٍ رمزيةٌ تتحدثُ عن الصراعِ الإيمانيِّ قبلَ عودةِ المسيح، وهي تأويلاتٌ سنشرحُ رمزيتَها ومعانيَها أكثرَ في الفصلِ التالي. بينما ترى آراءٌ أخرى أنَّها دولةٌ لم تظهرْ حتى الآن، وهناك آراءٌ تعتبرُ أن المملكةَ الحاديةَ عشرةَ هي أمريكا، استنادًا على أنها خرجت من الناحيةِ السُّكانيةِ من رحِمِ أوروبا وبقايا الرُّوم.

ملاحظة:

هنا لا بُدّ أن أؤكِّدَ مرّةً أُخرى أنني لستُ بصددِ أن أتبنّى أيًّا من هذه الآراء، ولا أن أُرجِّحَ أحدَها على البقيّة، وللقارئِ الرّاغبِ في التعمُّقِ أكثرَ في هذا الجدلِ وأدلّتِه أن يقومَ بالبحثِ في هذه النّقاشاتِ والبُحوث المُخصّصةِ لهذا الموضوعِ على وجهِ التحديد، علمًا أنّ البحوثَ والمؤلفاتِ في هذا الموضوعِ كثيرة.

[162][162][162][162] سفر دانيال، الإصحاح 2، الآيات: 31-45.

[163] سفر دانيال، الإصحاح 7، الآيات: 2-27.

حربُ الأرضِ المقدّسة

أ - الاجتِياحُ الشرّير:

في النصِّ التالي من العهدِ القديم، تَرِدُ هذه النبوءةُ من خلال وحيٍ إلهي، يُنبئُ بالمستقبلِ وأحداثِه الدائرةِ على الأرضِ المقدسة، حيثُ يُبيِّنُ كيف سوف يأتي أبناءُ الخزرِ والتركمانِ والفِرنجُ وشمالِ أفريقيا والحبشةِ لاقتحامِ الأرضِ المقدسة، وللاستيلاءِ على خيراتِها، نُلاحظُ أنَّ النصَّ يتحدثُ عن القادِمين بأعراقِهم وأنسابِهم، لا بُبلدانِهم، ثم يُخبرُهم أنّ عليهم أن يَستعِدُّوا للدِّفاعِ عنِ الأرضِ التي نُهبَت وهُجِّر شعبُها وخرِبَت دورُها فيُهزَمونَ باقتصاصٍ إلهي، على الرَّغمِ من قوةِ جُيوشِهم ودُروعِهم.

ورد في سفرِ حِزقِيال من العهدِ القديم: ({1} أَتَانِي كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلًا: {2} يَا ابْنَ آدَمَ، وَجِّهْ وَجْهَكَ نَحْوَ جُوجٍ، مِنْ أَرْضِ مَاجُوجَ زَعِيمِ مَاشِحِ وَطُوبَالَ، وَتَنَبَّأْ لَهُ {3} وَقُلْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا ضِدَّكَ يَا جُوجُ زَعِيمَ يَافِثَ وَطُوبَالَ {4} وَسَوْفَ أُرْجِعُكَ، وَأَضَعُ شَكَائِمَ فِي فَكَّيْك، وَسَوْفَ أُخْرِجُكَ أَنْتَ وَكُلَّ جَيْشِكَ وخَيْولِكَ وَفُرْسَانِكَ المُدَرَّعِينَ، - بِجُمُوعِهِمُ الْعَظِيمَةِ - بِالأَتْرَاسِ وَالمِجَانِّ والسُّيُوفِ القَاطِعَةِ {5} فَارِسَ وَكُوشَ وَفُوطَ كُلُّهُمْ مَعَك، بِمِجَانِّهم وَخُوَذِهم {6} وَجُومَرَ وَكُلَّ جُيُوشِهِم، وَتُوجَرْمَةَ مِنْ أَقَاصِي الشَّمَالِ بكلِّ جيوشِهِم، وشُعُوبًا كَثِيرِينَ مَعَكُمْ {7} اِسْتَعِدَّ وَابْقَ مُسْتَعِدًّا، أَنْتَ وَكُلُّ جَمَاعَاتِكَ الْمُجْتَمِعَةِ إِلَيْك، وَكُنْ مُدافِعًا عَنْهُمْ {8} بَعْدَ أَيَّام كَثِيرَةٍ سَوْفَ يَتِمُّ حَشْدُكَ، فِي السَّنَوَاتِ الأَخِيرَةِ سَوْفَ تَمْضُونَ ضِدَّ الأَرْضِ المُرَمَّمةِ بالْحَرْبِ، الأَرْضِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ إِلَيْهَا الشُّعُوبُ مِنْ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي طَالَمَا كَانَتْ مُتَبَّرَةً، شَعْبُهَا خَرَجَ مِنَ بَيْنِ الأُمَمِ وَقَطَنَ فِيهَا بِأَمَانٍ {9} وَسَوْفَ تَتَقَدَّمُ آتِيًا مِثْلَ زَوْبَعَةٍ، وَسَوْفَ تَغْشَى الأَرْضَ مِثْلَ سَحَابَةٍ، أَنْتَ وَكُلُّ جُيُوشِكَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ {10} وَهَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، سَوْفَ تَخْطُرُ فِي بَالِكَ أَفْكَارٌ، وَسَتَرْسِمُ مُخَطَّطًا شِرِّيرًا {11} وَتَقُولُ إِنِّي أُعَادِي الأَرْضَ الَّتِي قُرَاهَا غَيرُ مُسَوَّرَةٍ. وَسَوْفَ أَقَعُ عَلَى عَاتِقِ الْهَادِئِينَ السَّاكِنِينَ بأمانٍ، كُلُّهُمْ سَاكِنُونَ بِغَيْرِ سُورٍ وَلَيْسَ لَهُمْ عَارِضَةٌ وَلاَ مَصَارِيعُ {12} لِسَلْبِ الأَسْلاَبِ وَلاغْتِنَام الْغَنَائِم، لِلسَّطْوِ عَلَى الأَمَاكِنِ الخَرِبَةِ الَّتِي بَاتَتْ غَيْرَ مَأْهُولَةٍ وَالشَّعْبِ المُجْتَمِعُونَ مِنَ الأُمَمِ، المُمْتَلِكُونَ لِلْمَاشِيَةَ وَالْخَيْرَاتِ، الْقَاطِنُونَ فِي مَرْكَزِ الأَرْضِ) [164].

ب - الانتقامُ الإلهي:

ورد في سفر زكريا: ({1} هَا هُوَ يَوْمُ الرَّبِّ آتٍ فَيُقَسِّمُ الْغَنِيمَةَ الَّتِي سُلِبَتْ مِنْكَ فِي وَسَطِكِ {2} لأَنِّي سَأَجْمَعُ كُلَّ الأُمَمِ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِلْمُحَارَبَةِ، فَتُؤْخَذُ الْمَدِينَةُ، وَتُنْهَبُ الْبُيُوتُ، وَتُفْضَحُ النِّسَاءُ، وَتُهَجَّرُ نِصْفُ الْمَدِينَةِ، وَلكِنَّ بَقِيَّةُ الشَّعْبِ لَنْ يَنْقَطِعَ عَنِ الْمَدِينَةِ {3} ثُمَّ يَتَقَدَّمُ الرَّبُّ وَيُقَاتِلُ تِلْكَ الأُمَمَ كَمَا يُقَاتِلُ فِي يَوْمِ حَرْبٍ) [165].

يأتي نصُّ هذه النبوءةِ في سِياقِ الانتقامِ الإلهيِّ بعدما تُسلبُ الأرضُ المقدسةُ، ومُوضحًا كيف أنَّ الغَلَبةَ تكونُ بتدخُّلٍ إلهيٍّ لا بقُوةٍ عسكرية،

وتاتي شُروحُ هذه النبوءةِ في الوسطِ المسيحيِّ من خلالِ عِدّةِ اراء، الرايُ الأولُ الذي تتبناه الكنيسةُ الإنجيليةُ الأمريكيةُ ويَعتبرُ أنَّ الشعبَ الساكنَ في الأرضِ المقدسةِ في النبوءةِ هُمُ "الإسرائيليون" ولا يَخفى على أحدٍ الدوافعُ السياسيةُ لهذا الرأيِ، ولكن سنكتشفُ لاحقًا أنَّ للأمرِ بُعدًا أعمقَ من الدوافعِ السياسية. الرأيُ الثاني يَعتبرُ أنَّ هذه النبوءةَ ليست مُتعلِّقةً بآخرِ الزَّمانِ كما يُعتقدُ، بل إنّها تحققَت بالسَّبيِ البابلي، أو في فتَراتٍ أخرى خلالَ عُمرِ تاريخِ المملكةِ الإسرائيلية. الرأيُ الثالثُ يُرجِّحُ أنَّ هذه النبوءةَ لم تتحقق بعدُ، وأنَّ تحقُّقَها يأتي في سياقِ ما بعدَ الألفيةِ الأخيرة، ما سنأتي عليه لاحقا. الرأيُ الرابعُ، يَعتبرُ أنَّ الأرضَ المُقدَّسةَ في الكتابِ هي تعبيرٌ مجازيٌّ عن شعبِ الكنيسة (المُؤمنين)، وأنَّ الحربَ هي أيضًا تعبيرٌ مجازيٌّ لصِّراعِ الإيمانِ مع الكفر بينَ جُندِ الله وجُندِ الشيطان. كذلك الحالُ، فإنَّ مُشاركةَ الربِّ في الحربِ يأتي تعبيرًا عنِ التدخُّلِ الإلهيِّ المُباشَرِ في حسمِ مَصيرِ المعركةِ لصالحِ جُنودِه وأنصارِه المؤمنين، وتدميرِه لقُوى الشرِّ.

ملاحظة:

أحببتُ أن أُبديَ رأيي في فهمِ هذا السياقِ بالمقارنةِ مع الواقعِ المعاصِرِ، وبالمقارنةِ مع إطارِ الطبيعةِ الدِّيمُغرافيَّة للمُستَوطِنين المُحتلِّين للأرضِ المُقدَّسةِ الفلسطينيّةِ اليوم، فإنَّ الأعراقَ الأساسيةَ هي أبناءُ يافثَ كما يقولُ نصُّ النبوءة: (مَاشِخ (وهو ابنُ يافثَ بنِ نوح) وَطُوبَالَ (وهو ابنُ يافثَ أيضًا))، إضافةً إلى أعدادٍ كبيرةٍ من الأعراقِ الأخرى كالتُّركُمانِ والفِرَنجِ وشمالِ أفريقيا والحبشةِ كما في النَّصّ: (فَارِسَ (قبائلُ الخزَر) وَكُوشَ (قبائلُ الحبَشة) وَفُوطَ (قبائلُ شمالِ أفريقيا وَجُومَرَ (قبائلُ الفرنج) وَتُوجَرْمَةَ (قبائلُ التُّركُمان)). أضِف إلى ذلكَ أنَّ أفعالَهم في الواقعِ تتشابهُ مع وصفِ النصِّ لأفعالِ الأعراقِ المُقتحِمةِ للأرضِ المُقدَّسة، بل وتسميةُ النصِّ لهم بأعراقِهم، وما لهذا من دلالةٍ قويّة، كما أنَّ الحركةَ الصُّهيُونيَّةَ تَنطبقُ على الأفكارِ والمُخطَّطِ الشِّريرِ الذي رسموه للاستيلاءِ على الأرضِ بعدَ إفراغِ قراها ومُدُنِها من أهلِها السّاكنين بأمانٍ، التي كانت غيرَ مسوّرةٍ، والتي باتت غيرَ مَأهولةٍ بمخططٍ رسموه بحُجَّةِ العودةِ إلى بلادٍ لم تكن لهم، ولا كانت يومًا لأجدادِهم الحقيقيِّين، كما سبق ووضحنا في فقرةِ يأجوج ومأجوج.

لقائلٍ أن يقول، إنَّ العهدَ القديمَ كثيرًا ما يمدحُ شعبَ إسرائيل، ويصِفُهم أنهم شعبُ الله، ولكنَّ هذه النّصوصَ تُخاطبُ الشعبَ المؤمن، لا شعبَ الله المُختار نسبًا وعِرقًا. بمعنى آخر، حين كان بنو يعقوب هُمُ المؤمنون الوحيدون على الأرض، كان الخطابُ التوراتيُّ يمدحُهم على أنَّ هذا المديحَ موجَّهٌ للشعبِ المؤمن، لا لشعبٍ ذي نسَبٍ وحسب، وهذا ما يقوله الكتاب المقدَّس صراحةً: ({6} لَيْسَ كُلُّ مَنْ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ يَنْتَمِي إِلَى إِسْرَائِيلَ {7} وَلَا الجَمِيعُ هُمْ أَبْنَاءُ إِبْرَاهِيمَ لأَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، بَلْ إِلَى إِسْحَقَ تُنْسَبُ ذُرِّيَّتُكَ {8} أَيْ إِنَّهُ لَيْسَ أَوْلَادُ الجَسَدِ هُمْ أَوْلَادُ الله) [166]. على خلافِ الشرحِ اليهوديِّ، فإنَّ الشُّرَّاحَ المسيحيِّين للعهدِ القديم، فسّروا "إسرائيل" بالكنيسة، وفسّروا "شعبَ الله" بالمُؤمنين، لا

بذراري الِ يعقوب، وليستِ المسالةُ مسالةَ عُنصريّةٍ عِرقيّةٍ كما يدّعي اليهود اليوم، والإنجيليون في أمريكا. أما بخصوصِ وصفِ الشعبِ القاطنِ في الأرضِ المُقدَّسةِ، كانوا آمنين في بَلداتِهم، وكان بَلداتُهم غيرَ مُسوَّرةَ، وكانوا همُ الممتلِكون للماشيةِ والخيراتِ في بلادِهم. إضافةً إلى ذلك، ينسجِمُ هذا التفسيرِ مع عدمِ التوافقِ في القوةِ العسكريةِ بين جيشِ الخزرِ وأتباعِهم وبينَ أهلِ الأرضِ المقدسة، وذلك لصالحِ كفةِ جيشِ الغُزاة، وأنَّ الانتصارَ على الغزاةِ بحسَبِ ميزانِ القوى لم يكنِ إلا نتيجةَ نصرٍ إلهيٍّ بحت.

[164] سفر حزقيال، الإصحاح 38، الآيات: 1-12.

[165] سفر زكريا، الإصحاح 14، الآيات: 1-3.

[166] سفر الرومان، الإصحاح 9، الآيات: 6-8.

الفصلُ السادس
نبوءاتُ العهدِ الجديد

تتلخصُ أهمُّ نبوءاتِ العهدِ الجديدِ في رؤيا يوحنا اللاهوتي، وهي رؤيا منامِيةٌ مطوّلةٌ تشملُ نبوءاتٍ مستقبليةً عديدة، خصوصًا ما يتعلقُ بأحداثِ آخرِ الزمان، والفترةِ التي تسبقُ عودةَ السيدِ المسيح. إضافةً إلى ذلك، هناكَ بعضُ النبوءاتِ المذكورةُ في أسفارٍ أخرى من العهدِ الجديد. سنذكرُ أهمَّ ما وردَ عن أحداثِ آخرِ الزمانِ في هذه الأسفار.

الأختامُ السبعة

في إطارِ رؤيا يوحنا اللاهوتي، يرى يوحنا أختامًا سبعةً يفتحُها الخروف، إشارةً للمسيح، كلما فتح واحدًا منها خرجت منه نبوءةٌ في شكلٍ رمزي.

أ - الفرسانُ الأربعة:

ورد في سفرِ الرؤيا: ({1} وَنَظَرْتُ لِمَّا فَتَحَ الْخَرُوفُ وَاحِدًا مِنَ الْخُتُومِ السَّبْعَةِ وَسَمِعْتُ وَاحِدًا مِنَ الأَرْبَعَةِ الْحَيَوانَاتِ قَائِلًا كَصَوْتِ رَعْدٍ هَلُمَّ وَانْظُرْ {2} فَنَظَرْتُ وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيهِ مَعَهُ قَوْسٌ وَقَدْ أُعْطِيَ إِكْلِيلًا وَخَرَجَ غَالِبًا وَلِكَي يَغْلِبَ {3} وَلَمَّا فَتَحَ الْخِتْمَ الثَّانِيَ سَمِعْتُ الْحَيَوَانَ الثَّانِي قَائِلًا هَلُمَّ وَانْظُرْ {4} فَخَرَجَ فَرَسٌ آخَرُ أَحْمَرُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ أُعْطِيَ أَنْ يَنْزِعَ السَّلَامَ مِنَ الأَرْضِ وَأَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأُعْطِيَ سَيْفًا عَظِيمًا {5} وَلَمَّا فُتِحَ الْخِتْمُ الثَّالِثُ سَمِعْتُ الْحَيَوَانَ الثَّالِثَ قَائِلاً هَلُمَّ وَانْظُرْ فَنَظَرْتُ وَإِذَا فَرَسٌ أَسْوَدُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ مَعَهُ مِيزَانٌ فِي يَدِهِ {6} وَسَمِعْتُ مَا بَدَا أَنَّهُ صَوْتٌ مِنْ وَسَطِ الأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ قَائِلًا رُبْعٌ قَمْحًا بِدِينَارٍ وَثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ شَعِيرًا بِدِينَارٍ وَلَكِنْ لَا تَضُرَّ الزَّيْتَ وَالْخَمْرَ {7} وَلَمَّا فُتِحَ الْخِتْمُ الرَّابِعُ سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَيَوَانِ الرَّابِعِ قَائِلًا هَلُمَّ وَانْظُرْ {8} فَنَظَرْتُ وَإِذَا فَرَسٌ بَاهِتٌ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ اسْمُهُ الْمَوْتُ وَالْهَاوِيَةُ تَتْبَعُهُ وَأُعْطِيَا سُلْطَانًا عَلَى رُبْعِ الأَرْضِ أَنْ يَقْتُلَا بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْمَوْتِ وَبِوُحُوشِ الأَرْضِ {9} وَلَمَّا فُتِحَ الْخِتْمُ الْخَامِسُ رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَذْبَحِ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ) [167].

كما قرأنا، فإنّ الأختامَ الأربعةَ الأولى تتحدثُ عن فرسانٍ أربعةٍ نذكرُ شرحَ ما يُقصدُ بهم باختصار. الأولُ الأبيضُ معه قوسٌ وإكليلٌ وهو الغالب، وأكثرُ الشراحِ أولوه بالإيمانِ الذي ينتصرُ في نهايةِ المطاف. الثاني الأحمرُ

يحملَ السيفَ وينزعُ السلام، وهي الحروبُ وابتلاءاتُها. الثالثُ الأسودُ ويحملَ الميزانَ وعلاقتُه بالقمحِ والشعيرِ وأسعارِها كنايةٌ عن بلاءِ الغلاءِ والفاقةِ والظلم، والفرسُ الباهتُ، أو بحسبِ بعضِ التراجم، الأخضرُ، فإنه الموتُ كما صرح النص. وهؤلاء الفرسانُ كنايةٌ عنِ الابتلاءَاتِ التي ستواجهُ شعبَ الكنيسةِ أو المؤمنين في المستقبلِ والإيمانِ الذي سينتصرُ في النهاية.

العبرةُ من هؤلاءِ الفرسانِ تُفهمُ من الختمِ الخامسِ الذي يكشفُ نفوسَ الشهداءِ أو الذين قضَوا نتيجةَ هذه الابتلاءاتِ المستمرةِ حتى مجيءِ يوم الخلاصِ والعدالةِ الإلهية. أما أهميةُ نبوءةِ الأختامِ السبعةِ، يتبينُ من الختمين الأخيرين.

قبلَ أن أبدأَ بالختمِ السادس، أريدُ أن أوضحَ أن الختمَ السابعَ يتحدثُ عن أبواقٍ تقومُ الملائكةُ بتبويقِها، أو النفخِ فيها إيذانًا بمجيءِ اليومِ الإلهي، إشارة إلى فترةِ المحنةِ التي سيأتي ذِكرُها، ولكن لكثرةِ الرمزيةِ فيه وقلةِ دلالاتِها التطبيقية، فلن أستفيضَ فيها رغبةً في التركيزِ على ما يفيدُ مجالَ بحثِنا أكثر.

ب - القمرُ الدمويُّ ودلالتُه:

استكمالًا لنبوءةِ الأختامِ السبعة: ({12} وَنَظَرْتُ لَمَّا فُتِحَ الخِتْمُ السَّادِسُ وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ مِثْلَ الْخِيشِ وَالْقَمَرُ صَارَ مِثْلَ الدَّمِ {13} وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ ثَمَرَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ {14} وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَدَرَجٍ مُلْتَفٍّ وَكُلُّ جَبَلٍ وَجَزِيرَةٍ تَزَحْزَحَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا {15} وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَارَاتِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ {16} وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ {17} لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ يَسْتَطِيعُ التَّحَمُّل) [168].

بدايةً، نذكرُ أنّ نبوءةَ الأبواقِ السبعةِ تتحدثُ عن أمورٍ رمزية، وإذا تحقق شيءٌ من أحداثِها تحققًا حرفيًّا، فبحسبِ معظم العلماءِ والمفسرين تتحققُ في إطارِ إشارةٍ ربانيّةٍ أنَّ المعنى من هذه الإشارةِ قيدَ التحققِ أو على وشكِ التحقق، ولا يعني أنها التأويلُ الفعليُّ للآيات. بمعنى آخر، إذا حصلت زلزلةٌ على سبيلِ المثال، بوصفٍ معينٍ مشابهٍ لوصفِ زلزلةٍ رمزيةٍ مذكورةٍ في النبوءة، فلا يعني أنها تأويلٌ لها، وبحدوثِها تكونُ قد تحققتِ النبوءة، بل ربما تكونُ إشارةً ربانيةً لتحققِ المعنى المرادِ من رمزيةِ هذه الزلزلة، كأنْ تكونَ فتنةً مثلًا، أو حربًا، أو ما شابه، وليس بالضرورةِ أن تحدثَ آيةٌ ربانيةٌ مشابهةٌ للوصفِ الرمزيِّ أصلا، حيثُ إنَّ الآيةَ ليست هي التأويلُ الحقيقي.

قبلَ أن نتكلمَ عن الأقمارِ الدمويةِ كإشارةٍ سماوية، من المهمِّ أن نعرفَ ما هو القمرُ الدمويَّ، وما هو القمرُ الدمويُّ الرباعيّ، من ناحيةٍ علميةٍ أولًا.

الأَقمارُ الدموية، او الأَقمارُ الحمراءُ تحدثُ نتيجةَ حدوثِ خسوفٍ كليٍّ مركزيٍّ للقمرِ، حيثُ يتمركزُ القمرُ بأكملِه في وسطِ المنطقةِ المظلمةِ خلفَ ظلِّ الأرض، فتتداخلُ الأشعةُ المنكسرةُ للشمسِ مع بعضِها ليزدادَ لونُها احمرارًا. تبدو حينها الأرضُ من على سطحِ القمرِ مثلَ حلقةٍ حمراءَ مشتعلة.

ومن الأحداثِ الفلكيةِ المميَّزةِ المُرتبطةِ بالخسوفِ القمري، أن يحدثَ خسوفٌ قمريٌّ دمويٌّ رباعيّ، أي أن يحدثَ خسوفٌ كليٌّ مركزيٌّ للقمرِ أربعَ مراتٍ متتاليات، يفصلُ بيَن كلٍّ منهم مدةٌ مقدارُها ستةُ أشهر، ويُعرفُ بظاهرةِ القمرِ الدمويِّ الرباعي. تُعتبرُ هذه الظاهرةُ الفلكيةُ غيرَ مُنتظمةِ الحدوثِ والتكرار، حيثُ إنها، خلافًا للخسوف القمريِّ العاديِّ الذي يحدثُ بمُعدَّلِ مرتين سنويًّا، فإنَّ ظاهرةَ القمرِ الدمويِّ الرباعيِّ تكررَت ثلاثَ مراتٍ خلالَ الأعوامِ المئةِ المُنصرمة، بينما لم تحدثْ هذه الظاهرةُ قبل ذلك مطلقًا مدةَ 450 سنة.

اللافتُ أكثرَ في الموضوع، أنَّ سنواتِ حدوثِ هذه الظاهرةِ كانت خلالَ عامَي 1949/1950م، وخلالَ عامَي 1966/1967م، وهما نفسُ السنتَين اللتَين ذكرناهما في فقرةِ قيامِ "دولةِ إسرائيل" من الفصلِ الثاني من بحثِنا! وإذا أردنا أن نتعمقَ، فسنجدُ ما هو أعجب، وهو أنَّ المرةَ الأخيرةَ التي حصلَت فيها هذه الظاهرةُ كانت خلالَ عامي 1493/1494م، وهي السنةُ التاليةُ لنفيِ اليهودِ من إسبانيا، وهو حدثٌ مِفصليٌّ في التاريخِ اليهودي أيضًا. وإذا تعمقنا أكثر، نجدُ الأعجبَ والأعجب، وهو أنَّ أيامَ حدوثِ القمرِ الدمويِّ الأربعةَ خلالَ هذه الظواهرِ الثلاث، كانت جميعًا مناسباتٍ دينيةً يهودية! أؤكدُ دقةَ تحري جميعِ هذه المعلوماتِ تمامًا. مع كلِّ ظاهرةٍ من هذه الظواهر، تَزامنَ وقوعُ حدثٍ مفصليٍّ في التاريخ اليهوديّ. أمّا المرةُ الأخيرةُ التي حدثَت فيها ظاهرةُ القمرِ الدمويِّ الرباعَيّ، فقد كانت خلالَ عامَي 2014/2015م، وكانت أيضًا أيامُ القمرِ الدمويِّ الأربعةِ مناسباتٍ دينية يهودية، وآخرُها كان القمرُ الدمويُّ العملاقُ في الثامنِ والعشرين من شهرِ أيلول 2015م، مُوافقًا ليومِ المِظالّ اليهوديِّ بدايةَ العامِ العبريِّ 5776، وكان جليَّ الوضوحِ من الأراضي المحتلةِ تحديدًا كما هو موضَّحٌ في الصورةِ الجميلةِ أدناه:

[د]

[167] سفر الرؤيا، الإصحاح 6، الآيات: 1-9.

[168] سفر الرؤيا، الإصحاح 6، الآيات: 12-17.

ولادةُ المرأةِ السماوية

ورد في سفرِ الرؤيا: ({1} وَظَهَرَتْ آيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ امْرَأَةٌ مُتَسَرْبِلَةٌ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ تَحْتَ رِجْلَيْهَا وَعَلَى رَأْسِهَا إِكْلِيلٌ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ كَوْكَبًا {2} وَهِيَ حُبْلَى تَصْرُخُ مُتَمَخِّضَةً وَمُتَوَجِّعَةً لِتَلِدَ {3} وَظَهَرَتْ آيَةٌ أُخْرَى فِي السَّمَاءِ وَهُوَ تِنِّينٌ عَظِيمٌ أَحْمَرُ لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ وَعَلَى رُؤُوسِهِ سَبْعَةُ تِيجَانٍ {4} وَذَيْلُهُ يجُرُّ ثُلْثَ نُجُومِ السَّمَاءِ فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ وَوَقَفَ التِّنِّينُ أَمَامَ الْمَرْأَةِ وَشِيكَةِ الْوِلَادَةِ حَتَّى يَبْتَلِعَ حِينَ تَلِدُ {5} فَوَلَدَتِ ابْنًا ذَكَرًا يُوشِكُ أَنْ يَرْعَى جَمِيعَ الأُمَمِ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ وَاخْتُطِفَ وَلَدُهَا إِلَى اللهِ وَإِلَى عَرْشِهِ {6} وَالْمَرْأَةُ هَرَبَتْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَهَا مَوْضِعٌ مُعَدٌّ مِنَ اللهِ لِكَيْ يَعُولَهَا هُنَاكَ أَلْفًا وَمِئَتَيْنِ وَسِتِّينَ يَوْمًا {7} وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ، مِيخَائِيلُ وَمَلَائِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلَائِكَتُهُ {8} وَلَمْ يَقْوُوا فَلَمْ يَعُدْ لَهُمْ مَكَانٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ {9} فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، ذَلِكَ الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوَّةُ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ طُرِحَ إِلَى الْأَرْضِ وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلَائِكَتُهُ {10} وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا فِي السَّمَاءِ قَائِلًا آنَ خَلَاصُ إِلَهِنَا وَأَوَانُ قُدْرَتِهِ وَمَمْلَكَتِهِ وَسُلْطَانِ مَسِيحِهِ لِأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُتَّهِمُ لِإِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يُقَدِّمُ الاِتِّهَامَاتِ عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَارًا وَلَيْلًا {11} وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ وَلَمْ يَحْبُوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ {12} مِنْ أَجْلِ هَذَا افْرَحِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَالسَّاكِنُونَ فِيهَا، وَيْلٌ لِسَاكِنِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ لِأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ عَالِمًا أَنَّ لَهُ زَمَانًا قَلِيلًا {13} وَلَمَّا رَأَى التِّنِّينُ أَنَّهُ طُرِحَ إِلَى الْأَرْضِ اضْطَهَدَ الْمَرْأَةَ الَّتِي وَلَدَتِ الاِبْنَ الذَّكَرَ {14} فَأُعْطِيَتِ الْمَرْأَةُ جَنَاحَيِ النَّسْرِ الْعَظِيمِ لِكَيْ تَطِيرَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ إِلَى مَوْضِعِهَا حَيْثُ تُعَالُ زَمَانًا وَزَمَانَيْنِ وَنِصْفَ زَمَانٍ مِنْ وَجْهِ الْحَيَّةِ {15} فَأَلْقَتِ الْحَيَّةُ مِنْ فَمِهَا وَرَاءَ الْمَرْأَةِ مَاءً كَنَهْرٍ لِيَجْرِفَهَا بِالسَّيْلِ {16} فَأَعَانَتِ الْأَرْضُ الْمَرْأَةَ وَفَتَحَتِ الْأَرْضُ فَمَهَا وَابْتَلَعَتِ النَّهْرَ الَّذِي أَلْقَاهُ التِّنِّينُ مِنْ فَمِهِ {17} فَغَضِبَ التِّنِّينُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَذَهَبَ لِيَصْنَعَ حَرْبًا مَعَ بَاقِي نَسْلِهَا الَّذِينَ يَحْفَظُونَ وَصَايَا اللهِ وَعِنْدَهُمْ شَهَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ) [169].

أ - المعنى التأويليُّ للرؤيا:

لا تتكلمُ الآياتِ فقط عن الصراعِ الإيمانيِّ هنا، بل تعبِّرُ أيضًا عن المخاضِ الصعبِ الذي تتمخّضُ عنه ولادةُ يومِ الخلاصِ الإلهيِّ الموعود، ويؤكدُ بعضُ المفسرين الارتباطَ بينَ هذا المخاضِ العسرِ والتسلّطِ والظلمَ الذي تلعبُ فيه الدورَ الأساسيَّ قُوى الشرِّ العالميةِ المُتمثِّلةِ بالوحش، أو مملكةِ الشر، وذلك لارتباطِ الوحشِ بالتنين كما سيتبينُ في الفقرةِ التالية. الرؤيا تعبرُ عن تربُّصِ قوى الشرِّ بالهيمنةِ العالميةِ في مقابلِ الخلاصِ الموعودِ، ومُحاولةِ منعِ أسبابِه، والرعايةِ الربانيةِ للإيمانِ والمؤمنين منذُ غيابِ المخلِّصِ حتى اقترابِ ساعةِ الخلاصِ، ويعبِّرُ عن علاقةِ الحيةِ بالتنين، أي إبليسَ والمملكةِ الشريرة، ومحاولةِ انتقامِه عندَ إدراكِ اقترابِ موعدِ اليومِ الموعود، خلالَ ما تبقى له من فرصةٍ في الفترةِ القصيرةِ (ألفٍ ومئتين وستين يومًا)، وهي مدةُ تكررِ ذكرُها في الكتابِ المقدس، حيثُ إنَّ البعضَ يعتبرُها مدةً واحدةً تحدُثُ خلالَها أحداثٌ عدة، بينما يعتبرُها البعضُ مقياسًا

زمنيّا يتكررُ مع مُختلفِ الآحداثِ التي تتعلقُ بالوحشِ او بيومِ الخلاصِ. مقدارُ هذه المدةِ، بحسبِ بعضِ التفسيرات، 1260 يومًا، أي ثلاثُ سنواتٍ ونصف، وبحسبِ تفسيراتٍ أخرى، 1260 عامًا.

ب - الإشارةُ السماوية:

هناك إشارتان سماويّتان يرى الكثيرون أنهما تتعلقان بهذه النبوءةِ وأوصافِها. الإشارةُ الأولى كانت في شهرِ أيلول من 2017م. حيثُ تزامن اصطفافُ برجِ العذراءِ مع الشمسِ إلى جانبِه الأعلى والقمرِ إلى جانبِه الأسفل، واثنَي عشرَ نجمًا فوقَ العذراءِ مباشرةً وهم عطاردُ والزهرةُ والمريخ، إضافةً إلى برجِ الأسدِ المعروفِ بنجومِه التسعةِ الكبرى، إضافةً إلى وجودِ كوكبِ المُشترِي في وسطِ برجِ العذراءِ متحرِّكًا نحوَ أسفلِه. لم يسبقْ حصولُ هكذا اصطفافٍ طوالَ التاريخَ الفلكيِّ المعلومِ، ما يراه كثيرون إشارةً سماويةً لنبوءة المرأةِ السماوية، أي إشارةً سماويةً إلى أوانِ تحققِ المعنى التأويليِّ لهذا الحدثِ. أما الإشارةُ الثانية، فموعدُها أواخرَ شهرِ كانون الأولِ 2020م، أي بعد قرابةِ ثلاثِ سنواتٍ ونيِّف من الظاهرة الأولى، وهي ظاهرةُ الاقترانِ العظيم، وهي التقاءُ كوكبِ المشتري وأقمارِه بكوكبِ زحلِ وأقمارِه، ما يراه كثيرون استكمالًا للإشارةِ السابقة، في إطارِ تطبيقِ آية: (وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ، مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلائِكَتُهُ)، تشبيهًا لهذه الظاهرةِ بالمواجهةِ بين مجموعتين سماويتين، تزامنًا مع مدةِ الأعوامِ الثلاثةِ والنصفِ من الظاهرةِ السابقة.

[169] سفر الرؤيا، الإصحاح 12، الآيات: 1-17.

المحنة

وردِ في سفرِ متّى: ({21} لِأَنَّهُ تَكُونُ حِينَئِذٍ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِثْلُهَا مُنْذُ بِدَايَةِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ {22} وَلَوْ لَمْ تَقْصُرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمَا نَجَى إِنْسَانٌ لَكِنْ مِنْ أَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تَقْصُرُ تِلْكَ الأَيَّامُ {23} حِينَئِذٍ إِذَا قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَلَا تُصَدِّقُوا {24} لِأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ مُزَيَّفِينَ وَأَنْبِيَاءُ مُزَيَّفِينَ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةٌ وَعَجَائِبُ حَتَّى لَوْ أَمْكَنَ لَأَضَلُّوا الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا)[170].

في الفترةِ الأخيرةِ قُبيلَ العودةِ المباركةِ للمسيح، تكونُ فترةٌ قاسيةٌ على البشرية، وبشكلٍ خاصٍّ على المؤمنين، تُعرفُ بفترةِ المحنةِ، نسبةً للآيةِ السابقة. خلالَ هذهِ الفترةِ، تحصلُ عدةُ أحداثٍ عظيمة، تنتهي بدمارِ المملكةِ الشريرةِ التي يُعبَّرُ عنها بالوحش، أو ببابلَ الثانية، كما سيتقدمُ، ومن ثمَّ بالمجيءِ الثاني للسيدِ المسيح. من بين هذه الأحداثِ شهادةُ الشاهدَين، وحدثٌ يوصفُ برجسةِ الخراب، ويَعتبرُ كثيرون أن فترةَ المحنةِ هي فترةُ حربٍ عالمية، نظرًا للمتغيراتِ الكُبرى فيها وانتهائِها بدمارِ دولةِ الوحشِ الشريرة، بينما يرى آخرون أنَّ محنةَ الحربِ ستكونُ على الأرضِ المقدسةِ على وجهِ التحديد، إضافةً إلى الآراءِ التي ترى أنَّ هذه الحربَ هي الجزءُ الأخيرُ من محنةٍ مقدارُها مدَّتِها 1260 سنة، بينما يعتبرُ البعضُ أن المحنةَ مُقسّمةٌ إلى جزئين، كلُّ جزءٍ 1260 يومًا. ذلك أنّ الوحشَ يقومُ بما يُعرفُ برجسةِ الخراب، أو تدنيسةِ الخرابِ، في مُنتصفِ فترةِ أسبوعٍ، (سبعِ سنوات) كما في العهدِ القديم: (وَيَصْنَعُ عَهْدًا قَوِيًّا مَعَ كَثِيرِينَ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ وَفِي وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبْطِلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدُمَةَ وَعَلَى جَنَاحِ التَّدْنِيسِ يَكُونُ الْخَرَابُ حَتَّى يَسْكُبَ النِّهَايَةَ الْحَاسِمَةَ عَلَى الْخَرَابِ)[171].

أ - الشاهدان:

جاء في سفرِ الرؤيا: ({1} ثُمَّ أُعْطِيتُ عَصَا لِلْقِيَاسِ مِثْلَ الْمِقْيَاسِ، وَقِيلَ لِي: قُمْ وَقِسْ هَيْكَلَ اللهِ وَالْمَذْبَحَ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ فِيهِ {2} وَلَكِنْ لَا تَقِسِ الْحَيَّ خَارِجَ الْهَيْكَلِ اتْرُكْهُ فَإِنَّهُ سُلِّمَ لِلأُمَمِ فَسَوْفَ يَدُوسُونَ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا {3} وَسَأَمْنَحُ شَاهِدَيَّ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّنَبُّؤِ لِمُدَّةِ أَلْفٍ وَمِئَتَيْنِ وَسِتِّينَ يَوْمًا، لَابِسَينِ خِيشًا {4} هَذَانِ هُمَا الزَّيْتُونَتَانِ وَالْمَنَارَتَانِ الْقَائِمَتَانِ أَمَامَ رَبِّ الأَرْضِ {5} وَإِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يُؤْذِيَهُمَا، تَخْرُجُ نَارٌ مَنْ فَمَيْهِمَا فَتَأْكُلُ أَعْدَاءَهُمَا، إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يُؤْذِيَهُمَا، إِذَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ الْمَوْتُ {6} لَهُمَا الْقُدْرَةُ عَلَى إِغْلَاقِ السَّمَاءِ حَتَّى لَا تُمْطِرَ أَيَّامُ نُبُوءَتَهُمَا وَلَهُمَا الْقُدْرَةُ عَلَى تَحْوِيلِ الْمِيَاهِ دَمًا، وَأَنْ يَضْرِبَا الأَرْضَ بِكُلِّ بَلَاءٍ كَمَا يَشَاءَانِ {7} وَمَتَى أَتَمَّا شَهَادَتَهُمَا فَالْوَحْشُ الصَّاعِدُ مِنَ الْهَاوِيَةِ سَيَصْنَعُ مَعَهُمَا حَرْبًا وَيَغْلِبَهُمَا وَيَقْتُلَهُمَا {8} وَتَكُونُ جُثَّتَاهُمَا عَلَى شَارِعِ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُدْعَى رُوحِيًّا سُدُومَ وَمِصْرَ حَيْثُ صُلِبَ مَوْلَاهُمَا {9} وَيَرَى النَّاسُ مِنَ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ وَالأَلْسِنَةِ وَالأُمَمِ جُثَّتَيْهِمَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَنِصْفًا وَيَرْفُضُونَ أَنْ يُوضَعَا فِي قَبْرٍ {10} يَشْمَتُ بِهِمَا السَّاكِنُونَ عَلَى الأَرْضِ وَيَتَهَلَّلُونَ يُرْسِلُونَ هَدَايَا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّبِيَّيْنِ كَانَا قَدْ عَذَّبَا السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ

{11} ثَمَّ بَعْدَ الاَيّامِ الثّلاثَةِ وَالنِّصْفِ يَدْخُلَ فِيهِمَا رُوحُ الحَيَاةِ مِنَ اللهِ فَيَقِفَانِ عَلَى أَرْجُلِهِمَا وَيَقَعُ خَوْفٌ عَظِيمٌ عِنْدَ الَّذِينَ كَانُوا يَنْظُرُونَهُمَا {12} وَيَسْمَعَانِ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ لَهُمَا اصْعَدَا إِلَى هَهُنَا فَيَصْعَدَانِ إِلَى السَّمَاءِ فِي السَّحَابَةِ وَيَرَاهُمَا أَعْدَاؤُهُمَا {13} سَاعَتَهَا تَحْدُثُ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ فَتَسْقُطُ عُشْرُ الْمَدِينَةِ وَيُقْتَلُ بِالزَّلْزَلَةِ سَبْعَةُ آلافٍ وَيُصَابُ الْبَاقُونَ بِالرُّعْبِ وَيُمَجِّدُونَ رَبَّ السَّمَاء) [172].

لم يوضحْ يوحنّا اللاهوتيُّ متى ظهر الشاهدان في مشهدِ آخرِ الزمان، أو كيف ظهرا، في الرؤيا، ولكن بحسبِ وصفِ الملاكِ الذي خاطبه في الرؤيا، فإنهما زيتونتانِ ومنارتان، ووصفهما بأنهما نبيان، وأنهما يُؤدّيانِ الشهادةَ ويتنبآنِ لمدةِ 1260 يومًا، ونلاحظُ هنا كيف يتكررُ نفسُ مقدارِ المدةِ في عديدٍ من الأحداث. مرةً أخرى، هي 1260 يومًا أو 1260 سنةً باختلافِ التفسير. لكن، كيف يمكنُ أن تكونَ 1260 سنةً إذا كان الشاهدانِ لم يظهرا بعد؟ هذا يعتمدُ على فهمِ الشراحِ للشاهدَين وهويتِهما.

يرى بعضُ الشراحِ أنّ الشاهدين المذكورين جبريلُ وميكائيل، كونَهما الملكَين الوحيدَين اللذَين ذكرهما الكتابُ المقدس بالاسم، ولو أنه رأيٌ ضعيفٌ نسبيًّا في الوسطِ المسيحي. كذلك الحال بالنسبةِ للرأي الذي يعتبرُ أنهما شخصيتانِ غيرُ معروفتَين إلا لعصرِهما، استنادًا على كونِ الرؤيا نفسِها لم تذكرِ اسمَهما وهويتَهما بأكثرَ من بعضِ الصفاتِ المُبهمة، وأنّ أهميتَهما تكمنُ في دورِهما في آخرِ الزمانِ فقط لا في هويتِهما.

يرى شراحٌ آخرون أن الشاهدين هما العهدان القديمُ والجديد، وأن شهادتَهما هي تعبيرٌ مجازيٌّ عن التعاليمِ السماويةِ فيهما، وأنَّ النارَ التي تخرجُ من فمَيهما، هي تعبيرٌ عن قوةِ الكلماتِ الربانية فيهما، كذلك الحالُ بالنسبةِ للتنبُّؤِ الذي يتنبآنِه، فهو وصفٌ عن النبوءاتِ فيهما بشكلٍ عامٍّ والمتعلقةِ منها بيومِ الخلاصِ على وجهِ الخصوص.

أقوى الآراءِ في شأنِهما يعتبرُ أنهما نبيانِ فعليًا من الأنبياءِ السابقين يعودان إلى الدنيا أو إلى زمانِنا هذا ليقوما بهذا الدورِ العظيمِ في آخرِ الزمان، ويُعرِّفُ أصحابُ هذا الرأيِ هذين النبيَّين على أنَّهما إما إليا (إيليّا، إلياهو، إلياس) وأخنوخ (إدريس)، أو إليا وموسى، ولكلٍّ أسبابه. الرأيُ القائلُ بأنهما إليّا وأخنوخ، فيدعمُ رأيَه بكونِهما، لم يُتَوفّيا، بل رُفعا إلى السماءِ أحياء. أما الرأيُ الآخرُ الذي يعتبرُ أنهما إليا وموسى، يحتجُّ بقولِ السيدِ المسيحِ بأن إليا يأتي قبل أن يعودِ المسيح ويسترد كلَّ شيء: ({10} وَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: لِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ: إِنَّ إِيلِيَّا يَجِبُ أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟ {11} فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَسْتَرِدُّ كُلَّ شَيْءٍ) [173]، ما يؤكدُ عودةَ ظهورِ إليا في آخرِ الزمانِ وقيامُه بدورٍ مهمٍّ قبلَ عودةِ المسيح، كما أنَّ إليا تكرر حضورُه في أزمنةٍ مُختلفة، ما يطرحُ تساؤلاتٍ لدى البعضِ حولَ إمكانيةِ طولِ حياتِه، أو مرورِه عبرَ أزمنةٍ مختلفة، فلا يُستثنى منها آخرُ الزمان. بالتالي، قد يكونُ إليا هو أحدُ الشاهدين. أضافةً إلى ذلك، فإنَّ إليا ذَكر عنه العهدُ القديمُ أنه أنزل نارًا من السماءِ أكلَت أعداءَه [174]، ما يشابهُ وصفَ الرؤيا: (تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ فَمَيْهِمَا فَتَأْكُلُ أَعْدَاءَهُمَا)، وبالمقابلِ، فإنَّ

موسى ذكر في العهدِ القديم أنه يحوّلُ الماءَ دمًا [175]، كما تصفُ الرؤيا: ((وَلَهُمَا الْقُدْرَةُ عَلَى تَحْوِيلِ الْمِيَاهِ دَمًا)).

بجميعِ الأحوال، فإنَّ الشاهدين يبقيان يتنبآن، ويحتجّان على قوى الشرّ، ولا تستطيعُ دولةُ الشرِّ أن تنالَ منهما طِوالَ مدةِ المحنة.

ب - رجسةُ الخراب:

ورد في سفرِ متى: ({15} فَمَتَى رَأَيْتُمْ رَجْسَةَ الْخَرَابِ الّتِي قَالَ عَنْهَا دَانْيَالُ النَّبِيُّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ وَلْيَفْهَمِ الْقَارِئُ {16} فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي يَهُوذَا إِلَى الْجِبَالِ {17} وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا {18} وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ {19} وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ {20} وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هُرُوبُكُمْ فِي الشِتَاءِ {21} لِأَنَّهُ تَكُونُ حِينَئِذٍ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِثْلُهَا مُنْذُ بِدَايَةِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ) [176]، يهوذا: تلالُ الخليل، وسرجُ القدس، وتلالُ بيت، وصحراءِ القدسِ الشرقية.

الرأيُ الشائعُ في رجسةِ الخراب هي قيامُ قائدِ دولةِ الشرِّ أو عدوُّ المسيح بالجلوسِ في الهيكلِ زاعمًا أنه الله، ومُطالبًا الناسَ بعبادتِه، بينما تصفُ بعضُ الآراءِ المتقدمةِ من التاريخ المسيحيِّ الهيكلَ على أنه ليس هيكلًا يبنيه عدوُّ المسيح، وإلا كان هيكله هو وما وصف بأنه هيكلُ الله، بل هو كنيسةٌ مُهمةٌ يُنصِّبُ نفسَه قائدًا لها. أيضًا، تعتبرُ الكثيرُ من الآراءِ أن رجسةَ الخرابِ هي إقامةُ أصنامٍ في الهيكلِ وأداءُ الناسِ العبادةَ لها، ما سنكشفُ لاحقًا عن أمرٍ مماثلٍ له حصل فعلًا في زمانِنا الحديث. من جهةٍ أخرى، يحتجُّ آخرون على هذينِ الرأيَين بكونِ دانيالَ لم يتطرَّقْ في سفرِه الذي تُشيرُ إليه الآيةُ، إلى شريرٍ يدّعي الربوبيةَ. كما أنّ دانيالَ، إن كان قد ذَكرَ قيامَ اليهودِ بإقامةِ أصنامٍ في الهيكل، فإنه لم يربطْ ذلك برجسةِ الخرابِ: ({9} وَمِن وَاحِدٍ مِنْهَا خَرَجَ قَرْنٌ صَغِيرٌ وَنَمَى كَثِيرًا نَحْوَ الْجَنُوبِ وَنَحْوَ الشَّرْقِ وَنَحْوَ فَخْرِ الأَرَاضِي {10} وَنَمَى حَتَّى إِلَى جُنْدِ السَّمَاءِ وَطَرَحَ بَعْضًا مِنَ الْجُنْدِ وَالنُّجُومِ إِلَى الأَرْضِ وَدَاسَهُمْ {11} وَنَمَى حَتَّى عَلَى رَئِيسِ الْجُنْدِ وَأَخَذَ الْمَحْرَقَةُ الدَّائِمَةُ مِنْهُ وَهَدَمَ أَمَاكِنَ تَقْدِيسِهِ {12} وَدَفَعَ إِلَيْهَا جُنْدًا مَعَ الْمَحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ خِلاَلَ الْخَطِيئَةِ وَطَرَحَ الْحَقَّ عَلَى الأَرْضِ وَنَجَحَ بِفِعْلِ ذَلِكَ {13} فَسَمِعْتُ قِدِّيسًا يَتَكَلَّمُ فَقَالَ قِدِّيسٌ آخَرُ لِلْمُتَكَلِّمِ إِلَى مَتَى الرُّؤْيَا مِنْ جِهَةِ الْمَحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَخَطِيئَةِ الْخَرَابِ وَتَسْلِيمِ الْمَكَانُ الْمُقَدَّسُ وَالْجُنْدَ الْمَدُوسِينَ {14} فَقَالَ لِي إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلاَثَمِئَةِ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ثُمَّ يَرْجِعُ الْمَكَانُ الْمُقَدَّسُ إِلَى وَضْعِهِ الشَّرْعِيّ) [177].

[170] سفر متى، الإصحاح 24، الآيات: 21-24.

[171] سفر دانيال، الإصحاح 9، الآية: 27.

[172] سفر الرؤيا، الإصحاح 11، الآيات: 1-13.

[173] سفر متى، الإصحاح 17، الآيات: 10-11.

[174] سفر الملوك الثاني، الإصحاح 1، الآية: 12.

[175] سفر الخروج، الإصحاح 7، الآية: 17.

[176] سفر متى، الإصحاح 24، الآيات: 15-21.

[177] سفر دانيال، الإصحاح 8، الآيات: 9-14.

وحشُ الرؤيا

على غِرارِ ما ورد في سفرِ دانيالَ من العهدِ القديمِ ضمنَ الرُّؤيا التي رأى فيها الوحشَ الذي يَتمخَّضُ عنه القرنُ الصغير، يردُ في رُؤيا يوحنّا ذِكرُ هذا الوحش، وذكرُ وحشٍ آخرَ مُرافقٍ له. هُنا تكثرُ المصطلحاتُ والمفاهيمُ بعضَ الشيء، حيثُ هناكَ مفاهيمُ أخرى مثلَ صورةِ الوحشِ، ورمزِ الوحش، كما يوجدُ مفهومُ النبي المزيف، ومفهومُ زانيةِ بابل، أو بابلَ الزانية. نجدُ في شروحِ هذه المفاهيمِ تبايُنًا هنا، وتقاطعًا هناك.

جاء في سفرِ الرؤيا: ({1} وَرَأَيْتُ وَحْشًا يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ لَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ وَسَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ تِيجَانٍ عَلَى قُرُونِهِ، وَاسْمُ تَجْدِيفٍ عَلَى رُؤُوسِهِ {2} وَالْوَحْشُ الَّذِي رَأَيْتُهُ كَانَ مِثْلَ النَّمِرِ، ورِجْلَاهُ مِثلُ الدُّبِّ، وَفَمُهُ مِثْلُ فَمِ الْأَسَدِ، وَقَدْ مَنَحَهُ التِّنِّينُ قُوَّتَهُ وَعَرْشَهُ وَسُلْطَانَهُ الْعَظِيمَ {3} وَبَدَا أَنَّ أَحَدَ رُؤُوسِهِ كَانَ مُصَابًا بِجُرْحٍ قَاتِلٍ، لَكِنَّ جُرْحَهُ قَدْ شُفِيَ، فَالْتَفَتَتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا نَحْوَ الْوَحْشِ بِانْبِهَارٍ {4} وَعَبَدَ النَّاسُ التِّنِّينَ، الَّذِي أَعْطَى السُّلْطَانَ لِلْوَحْشِ، وَعَبَدُوا الْوَحْشَ قَائِلِينَ: مَنْ مِثْلُ الْوَحْشِ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَارِبَهُ؟ {5} وَأُعْطِيَ الْوَحْشُ فَمًا يَتَلَفَّظُ بَأَقْوَالٍ مُتَغَطْرِسَةٍ وَكَافِرَةٍ، وَسُمِحَ لَهُ بِمُمَارَسَةِ السُّلْطَانِ لِمُدَّةِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا {6} فَتَحَ فَمَهُ لِيُطْلِقَ التَّجْدِيفَ عَلَى اللهِ، وَجَدَّفَ عَلَى اسْمِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ، أَيْ أُولَئِكَ السَّاكِنِينَ فِي السَّمَاءِ {7} كَمَا سُمِحَ لَهُ بِشَنِّ حَرْبٍ عَلَى الْقِدِّيسِينَ وَقَهْرِهِمْ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ وَشَعْبٍ وَلِسَانٍ وَأُمَّةٍ {8} وَعَبَدَهُ كُلُّ سَاكِنٍ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الَّذِينَ لَمْ تُكْتَبْ أَسْمَاؤُهُمْ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ الْخَاصِّ بِالْخَرُوفِ الْمَذْبُوحِ {9} مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ {10} إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَيُؤْخَذُ لِلْأَسْرِ، فَلْيَذْهَبْ لِلْأَسْرِ، وَإِذَا كَانَ أَحَدٌ سَيُقْتَلُ بِالسَّيْفِ، فَلْيُقْتَلْ بِالسَّيْفِ. هَذِهِ دَعْوَةُ صُمُودٍ وَإِيمَانٍ لِلْقِدِّيسِينَ {11} ثُمَّ رَأَيْتُ وَحْشًا آخَرَ قَامَ مِنَ الْأَرْضِ. لَهُ قَرْنَانِ كَخَرُوفٍ، وَيَتَكَلَّمُ كَتِنِّينٍ {12} مَارَسَ جَمِيعَ سُلْطَةِ الْوَحْشِ الْأَوَّلِ فِي حُضُورِهِ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ وَسُكَّانَهَا يَعْبُدُونَ الْوَحْشَ الْأَوَّلَ الَّذِي شُفِيَ جُرْحُهُ الْمُمِيتُ {13} وَصَنَعَ آيَاتٍ عَظِيمَةً، حَتَّى إِنَّهُ يَجْعَلُ نَارًا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ النَّاسِ {14} وَيُضِلُّ السَّاكِنِينَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْآيَاتِ الَّتِي أُعْطِيَ لَهُ الْعَمَلُ بِهَا فِي حُضُورِ الْوَحْشِ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَصْنَعُوا صَنَمًا لِلْوَحْشِ الَّذِي كَانَ بِهِ جُرْحُ السَّيْفِ وَعَاشَ {15} وَسُمِحَ لَهُ بِإِعْطَاءِ رُوحٍ لِصَنَمِ الْوَحْشِ حَتَّى يَتَكَلَّمَ وَيُسَبِّبَ الْقَتْلَ لِجَمِيعِ مَنْ لَا يَعْبُدُونَ صَنَمَ الْوَحْشِ {16} وَيَجْعَلَ الْجَمِيعَ، الصِّغَارَ وَالْكِبَارَ، وَالأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، وَالأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، يُخْتَمُ لَهُمْ وَسْمٌ عَلَى أَيْمَانِهِم أَوْ عَلَى جِبَاهِهِمْ {17} حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَشْتَرِيَ أَوْ يَبِيعَ مَا لَمْ يَكُنْ لَدِيهِ الْوَسْمُ، وَهُوَ اسْمُ الْوَحْشِ أَوْ رَقَمُ اسْمِهِ {18} هَذَا يَتَطَلَّبُ حِكْمَةً، مَنْ لَدِيهِ الْفَهْمُ، فَلْيَحْسِبْ رَقَمَ الْوَحْشِ، فَهُوَ رَقَمُ إِنْسَانٍ، وَرَقَمُهُ سِتُّمِئَةٍ وَسِتَّةٌ وَسِتُّون) [178].

تتحدثُ رؤيا يوحنا اللاهوتيِّ عن وحشَين اثنَين، ونلاحظُ التشابهَ الكبيرَ بينَ الوحشِ الأول في هذه الرؤيا، وبينَ وحشِ دانيالَ الرابع، ذي القُرونِ العشر، وكلامِه الذي فيه تجديفٌ وتجرؤٌ على الله. بينَما نجدُ أنَّ الوحشَ الآخرَ لا يطلبُ العبادةَ لنفسِه، برغمِ من أنه يأمرُ العالمَ وينهاه، ويمارسُ على العالمِ السلطةَ التي كان يُمارسُها الوحشُ الأول، ويُنزلُ النارَ من السماء،

ويمنعُ الناسَ البيعَ والشراءَ بدونِ وَسمِ الوحش، كما انه يظهرُ بعدَ الوحشِ الأول. نجدُ أيضًا بعضَ المعلوماتِ الجديدةِ عنِ الوحشِ الأول، وهي أنه أصيبَ قرنُهُ بجُرحٍ مُميتٍ، لكنَّه شفيَ منه، واسمُه تُساوي قِيمتُه العدديةُ 666، كما أننا نُلاحظُ أنَّ الوحشَ الجديدَ يأمرُ الناسَ أَنْ يَصْنَعُوا صَنَمًا لِلْوَحْشِ ويعبدوه، وأنه يُعطيهِ رُوحًا ليتكلّم، وَيُسَبِّبَ الْقَتْلَ لِجَمِيعِ مَنْ لاَ يَعْبُدُونَ صَنَمَه!

ورد كذلك في سفرِ الرؤيا عن شخصيةِ المسيحِ المُزيَّفِ أو النبيِّ المُزيف، الذي يُروِّجُ للوحشِ في آخرِ الزَّمان، ويذكرُ بابلَ الزانيةِ، ما يُعتبرُ صورةً أخرى لوحشِ الرؤيا، أو أسلوبًا آخرَ لوصفِه.

سنقومُ باستعراضِ كافّةِ التفسيراتِ بخُصوصِ جميعِ هذه النّقاطِ بالتفصيل، ثمَّ سنُعيدُ عرضَها مُلخَّصةً بأهمِّ الآراءِ التي تُفسّرُ الصورةَ الكاملةَ لوحشِ الرُّؤيا، بحيثُ يتسنى للقارئِ أن يقرأَ هذه التفسيراتِ وهو على درايةٍ بكافّةِ المعاني المذكورةِ في الشُّروحِ، وعلى تنوُّعِ الآراءِ المفسرةِ لها.

أ - الوحشان واختلافُ الدَّورَين:

سبق وأن استعرضنا الآراءَ بخصوصِ الوحشِ الأول (وحش رُؤيا دانيال)، وقُلنا، إنَّ الغالبيةَ العُظمى مِن الآراءِ تُشيرُ إلى المملكةِ الرومية، بينَما يراهُ البعضُ صراعًا إيمانيًّا معنويًّا. أمّا الوحشُ الجديد، فقَبلَ أن نذكُرَ الآراءَ التّأويليَّةَ التَّطبيقيَّةَ بخصوصِه، سنبدأُ ببعضِ الآراءِ التي ذهبَت إلى التفسيراتِ المعنويّةِ والمجازيّة. حيثُ اعتبرَت بعضُ الآراءِ أنه كنايةٌ عنِ الدّجلِ الذي يدعو الإنسانَ إلى عبادةِ النفسِ والشيطانِ والدنيا بصورةٍ غيرِ مباشرة، وبعضُ الآراءِ الدينيةِ المتشددةِ اعتبرَته العِلمانيّة، بمبادئِها ومفاهيمِها الاجتماعيةِ والوطنيةِ والتحررية، حيثُ يَعتبرُ أصحابُ هذا الرأيِ أنها بطريقةٍ غيرِ مباشِرةٍ تُحاربُ القِيمَ الدينيّةَ تحتَ ذرائعِ قِيَمٍ أخرى، كما تَعتبرُ هذه الآراءُ أنّ العلمانيةَ تنصِّبُ الإنسانَ بديلًا عنِ الله، بحَسبِ فهمِهم.

من ناحيةٍ أخرى، اعتمدتِ الآراءُ التي كان لها تأويلٌ فعليٌّ وتطبيقيٌّ للوحشِ على أهمِّ ما ذُكر في صفاتِه في النصِّ المقدَّسِ بطريقةٍ مُختلِفةٍ تماما. على سبيلِ المِثال، كونُه يُمارسُ السُّلطةَ التي كانتَ للوحشِ السابق، فسَّروها بدولةٍ ذاتِ قوّةٍ وهيمنةٍ عالميةٍ على غِرارِ المملكةِ الرومية، سواءً مَن كان منهم يعني بذلكَ الولاياتِ المتحدة، أو النظامَ العالَميَّ الجديدَ وما يُعرفُ بحكومةِ الظلّ، أو قيامَ حكومةٍ عالميةٍ مُتحدةٍ مُستقبَليّة، أو توسُّعَ "لدولةِ إسرائيلَ" تكونُ لها فيه هيمنةٌ عالمية. كما تُأوِّلُ هذه الآراءُ وصفَ الرؤيا للوحشِ بالتّشبُّهِ بالخروفِ والتكلُّمِ كالتِّنين، إشارةً إلى نفاقِ هذه القوةِ العالميةِ، سواءً من يرى تأويلَ هذا في حروبُ أمريكا باسمِ نشرِ الديمقراطية، أو من كان يعني توحيدَ العالمِ تحتَ حكومةٍ عالميةٍ بذريعةِ وحدةِ شعوبِ العالم، أو درءِ خطرٍ عالميٍّ مُشتَرَك، أو مَن يُأوِّلُ ذلكَ بادّعاءِ دولةِ الاحتلالِ أنّها المملكةُ الإلهيةُ الموعودة. إضافةً إلى هذه التأويلات، يعتبرُ البعضُ أنَّ الآياتِ والعجائبَ التي يمتلكُها الوحشُ تعبيرٌ عنِ التطورِ العلميِّ والتِقنيِّ والعسكريِّ الذي تمتلكه دولةُ الوحش، والمِثالُ المذكورُ عن إسقاطِ النارِ من السماء، ما هو إلا إشارةٌ إلى الصواريخِ والقنابلِ التي تمتلكُها

عمومًا، وتُخصِّصُها بعضُ الآراءِ باعتبارِها وصفًا للقنبلةِ النووية، ودَورِها في فرضِ الهيمنةِ والتفوُّقِ العسكريِّ لدولةِ الوحشِ على العالم.

ونلاحظُ اختلافَ الأدوارِ بينَ الوحشِ الأولِ والثاني، حيثُ إنَّ الوحشَ الأولَ تُصنعُ له صورةٌ أو تمثال، ويُسجدُ له، أو يُعبَد، بينَما يقومُ الوحشُ الثاني بفرضِ عبادةِ الوحشِ الأولِ على العالم، وصُنعِ العجائبِ له، وممارسةِ السلطةِ على العالم. هذا ما يراه المفسِّرُون تقسيمًا لدَورَينِ مُختلِفَين، أحدُهما دينيّ، والآخرُ سياسيٌّ عسكريّ.

ب - المسيحُ المزيَّف:

المصطلحُ الأكثرُ شُيوعًا أثناءَ التحدُّثِ عنِ الشخصيةِ الشرّيرةِ الرّئيسيّةِ في آخرِ الزّمانِ هو عدوُّ المسيح أو نقيضُ المسيح، في إشارةٍ إلى شخصيةٍ حقيقية، أكثرَ من استخدامِه في وصفِ نظامٍ أو دولةٍ، سواءً كان شخصًا محدَّدًا بعينِه، أو مركزًا قياديًّا ما، وقد يكونُ مُفاجِئًا للبعضِ أن يعرفَ أنّ لفظةَ عدوِّ المسيحِ لم يرِد في أيٍّ منَ الأناجيل، أو في العهدِ القديمِ من الكتابِ المقدَّس، بل ورد في رسائلِ يوحنا فقط، وكان الوصفُ مُقتضَبًا جدًّا فيها: (لِأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِي الْجَسَدِ. هذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ)[179]، (وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ، وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ)[180]، ({18} أَيُّهَا الأَوْلاَدُ هِيَ السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ {19} مِنَّا خَرَجُوا، لكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لكِنْ لِيُظْهَرُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مِنَّا {20} وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ {21} لَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكُمْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ، بَلْ لأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَهُ، وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ {22} مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ)[181].

بحسبِ شروحِ الرسائلِ، فإنَّ ما عناه يوحنّا بكلامِه هو أنّ عدوَّ المسيح، هو كلُّ شخصٍ أو أيِّ شخصٍ لم يُصدِّقْ يسوع، أو لم يُؤمنْ أنه هو المسيحُ الموعودُ في العهدِ القديم، أو يرفضُ فكرةَ أن يكونَ يسوعُ هو المسيح، أو يرفضُ فكرةَ مجيءِ المسيحِ مجيئًا جسديًّا حيًّا، وذلك لأنهُ في حقيقةِ أمرِه عدوٌّ للمسيحِ أصلًا.

كما قُلنا، لم يأتِ في الأناجيلِ لفظُ عدوِّ المسيح، أو خصمِ المسيح، أو نقيضِ المسيحِ على اختلافِ التراجم، ولكن جاء في إنجيلَي مَتّى ومُرقُسَ وكِلاهُما بنفسِ السِّياق، ما يُفيدُ ظهورَ مُسَحاءَ مُزَيَّفِين وأنبياءَ مزيَّفين. يَعتبرُ جون نايتِن (رئيسُ أبرشية أسترالية)، أنّ الترجمةَ الحرفيةَ للكلمةِ الأصليةِ باللّغةِ اليونانية، اللغةِ الأصليةِ للعهدِ الجديد، هي "بديلُ المسيح"، عانيًا بذلك أنه يُنَصِّبُ نفسَه مسيحًا بديلًا عنِ المسيح، لا مُدَّعيًا أنه هو ادّعاءً بمعنى الكلمة. لم يكن هذا المصطلح، على اختلافِ لفَظاتِ ترجمتِه، مُرتبِطًا بوحشِ الرؤيا، حتى القرن العاشر الميلادي، وذلك حينَ ألّفَ أدسو الفرنسي، رئيسُ

دَيرَ مُونتيِيه، كتابَه الشهيرَ "زمانُ ظَهورِ عدوِّ المسيح"، حيثُ ربطَ بينَ المفهومَين اعتبارًا أنَّ عدوَّ المسيح شخصٌ يظهرُ في نهايةِ المملكةِ الرومية يدّعي أنه المسيح. باعتبارِ أنَّ هُناك عدةَ أعداءٍ للمسيح بشكلٍ عامٍّ، أو نُقَضاءَ للمسيح عمومًا، إلا أنه في آخرِ الزمنِ يظهرُ العدوُّ الأكبرُ للمسيح، والأجرأُ على اللهِ من بينِهم، أضف إلى ذلك رَبطَه مع ما قاله المسيحُ لتلامذتِه على جبلِ الزيتونِ في ما يخصُّ المُسحاءَ المُزيَّفين: ({19} لِأَنَّهُ تَكُونُ حِينَئِذٍ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِثْلُهَا مُنْذُ بِدَايَةِ الْعَالَمِ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ {20} وَلَوْ لَمْ يُقَصِّرِ تِلْكَ الأَيَّامَ لَمَا نَجَى إِنْسَانٌ لَكِنْ مِنْ أَجْلِ الْمُخْتَارِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ قَصَّرَ تِلْكَ الأَيَّامَ {21} حِينَئِذٍ إِذَا قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ "انْظُرْ هَذَا الْمَسِيح"، أَو " انْظُرْ هُناكَ هُوَ" فَلا تُصَدِّقُوا {22} سَيَقُومُ مُسَحَاءُ مُزَيَّفُونَ وَأَنْبِيَاءُ مُزَيَّفُونَ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةٌ وَعَجَائِبُ حَتَّى لَوْ أَمْكَنَ لأَضَلُّوا حَتَّى الْمُخْتَارِينَ {23} وَلَكِنْ خُذُوا حَذَرَكُمْ فَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ سَلَفًا) [182].

المصطلحُ الأخيرُ لهذه الشخصيةِ، هو رجلُ المعصيةِ وابنُ الهلاك، فقد جاء من نَصِّ رسالةِ بُولسَ إلى التَّسالُونيِّين: ({3} لا يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الأَشْكَالِ، لأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَنْ يَأْتِي إِنْ لَمْ تَكُنِ الرِّدَّةُ أَوَّلًا، وَيَظْهَرْ رَجُلُ الْمَعْصِيَةِ، ابْنُ الْهَلاكِ {4} الْمُعَارِضُ وَالْمُمَجِّدُ لِنَفْسِهِ عَلَى كُلِّ مَا يُسَمَّى إِلهًا أَوْ مَعْبُودًا، حَتَّى إِنَّهُ يُجْلِسُ نَفْسَهُ فِي هَيْكَلِ اللهِ، مُدَّعِيًا أَنَّهُ إِلهٌ) [183]، أمَّا عن كيفيةِ ظهورِه فيقول: ({9} مَجِيءُ هَذَا الْعَاصِي بِتَحْرِيكٍ مِنَ الشَّيْطَانِ سَيَكُونُ بِقُوَّةٍ هَائِلَةٍ وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ مَزْعُومَةٍ {10} وَبِكُلِّ دَجَلٍ شِرِّيرٍ لِلْهَالِكِينَ الَّذِينَ لا يُحِبُّونَ الْحَقَّ وَلَا أَنْ يَتِمَّ تَخْلِيصُهُمْ {11} لِذَلِكَ يُضِلُّهُمُ اللهُ ضَلالًا شَدِيدًا فَيُؤْمِنُوا بِالْبَاطِلِ) [184].

اعتبرتِ التفسيراتُ المجازيةُ أن المسيحَ المزيفَ يرمزُ إلى جميعِ من يدعو إلى تهميشِ الدين، أو تغييبِه أو تغييبِ قيَمِه، وكلِّ مَن يُعادي الإيمانَ المسيحيَّ بشكلٍ عام. مِن ناحيةٍ أخرى، يعتبرُ مُعظمُ الشُّرّاحُ أنَّ المسيحَ المزيَّفَ أو عدوَّ المسيحِ شخصيةٌ فِعلًا تظهرُ في آخرِ الزمان، وحاولَ الكثيرون تأويلَها في عددٍ كبيرٍ جدًّا من الشخصياتِ عبرَ التاريخ كما سنُبيِّنُ في شرحِ رمزِ الوحش. لكنَّ الغريبَ في أمرِ هذا الشخصِ أنه وُصف في سفرِ الرؤيا على أنه نبيٌّ مُزيف يدعو الناسَ لعبادةِ الوحشِ في آخرِ الزمان، وفي رسالةِ بُولس على أنه يجلس في هيكلِ اللهِ مُدّعيًا أنه إله، وفي سفرِ متّى وصف أنه واحدٌ مِن بينِ مُسحاءَ مزيَّفين كُثُر، وفي رسالةِ يُوحنا أنه أحدُ أعداءِ المسيح. ربما لا يجمعُ بينَ تناقُضِ هذه الأوصافِ إلا ما ذهب إليه أدسو، أو إنَّ النصوصَ ليست جميعًا تتحدثُ عن نفسِ الشخص.

ج - زانيةُ الوحش (بابلُ العُظمى):

في إطارِ العودةِ إلى رؤيا يوحنا اللاهوتي، تظهرُ شخصيةٌ شديدةُ الذم، مُرتبطةٌ بالوحشِ الأولِ ذي القرون العشرة، فهي تظهرُ جالسةً على الوحش، تشربُ من دمِ القديسين والشهداء: ({1} وَجَاءَ أَحَدُ الْمَلائِكَةِ السَّبْعَةِ حَامِلِي الأَبْوَاقِ السَّبْعِ وَقَالَ لِي: "تَعَالَ فَأُرِيَكَ عِقَابَ الزَّانِيَةِ الْكُبْرَى الْجَالِسَةِ عَلَى الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ {2} الَّتِي زَنَى مَعَهَا مُلُوكُ الأَرْضِ، وَسَكِرَ أَهْلُ الأَرْضِ مِنْ خَمْرِ زِنَاهَا" {3} وَحَمَلَنِي الْمَلاكُ بِالرُّوحِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَرَأَيْتُ

امْرَأةً رَاكِبَةً عَلى وَحْشٍ قِرْمِزِيٍّ لهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ، وَقَدْ كُتِبَتْ على كُلِّ جِسْمِهِ كَلِمَاتُ تَجْدِيفٍ {4} وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ مَلابِسَ أُرْجُوَانِيَّةً وَقِرْمِزِيَّةً، وَتَتَحَلَّى بِالذَّهَبِ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَاللُّؤْلُؤِ، وَقَدْ أَمْسَكَتْ كَأْسًا مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةً بِالرَّجَاسَاتِ وَنَجَاسَاتِ زِنَاهَا {5} وَعَلَى جَبِينِهَا اسْمٌ غَامِضٌ: بَابِلُ الْعُظْمَى، أُمُّ الزَانِيَاتِ، وَرَجَاسَاتِ الأَرْضِ {6} وَرَأَيْتُ الْمَرْأَةَ سَكْرَى لِكَثْرَةِ مَا شَرِبَتْ مِنْ دَمِ الْقِدِّيسِينَ، وَدَمِ شُهَدَاءِ يَسُوعَ الَّذِينَ قَتَلْتُهُمْ. وَتَمَلَّكَتْنِيَ الدَّهْشَةُ حِينَ رَأَيْتُهَا) [185]. هذه الشخصيةُ تُسمّى بابلَ الزانية، وقد وصفها الملاكُ ليوحنا قائلًا: (الْمَرْأَةُ الَّتِي رَأَيتَ هِيَ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى مُلُوكِ الأَرْضِ) [186]. اعتمادًا على هذه الآية، تعتبرُ تفسيراتٌ عدةٌ أنّ هذه الزانيةَ هي مملكةٌ ذاتُ سلطانٍ على الأرض، ولذلك اسمُها بابل، تَشبُّهًا بعظمةِ مملكةِ بابلَ التاريخية، ولعلّها وصفٌ آخرُ لأحدِ الوحشين، بينما تؤكدُ آراءٌ أخرى أنّ المرأةَ في الإنجيل، كثيرًا ما تكونُ تعبيرًا مجازيًّا عن كنيسة.

تصفُ الآياتُ النهايةَ الوخيمةَ لبابل وأتباعِها: ({8} ثُمَّ تَبِعَهُ مَلاَكٌ آخَرُ قَائِلًا: "سَقَطَتْ! سَقَطَتْ بَابِلُ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ، لأَنَّهَا سَقَتْ جَمِيعَ الأُمَمِ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ زِنَاهَا" {9} ثُمَّ تَبِعَهُمَا مَلاَكٌ ثَالِثٌ قَائِلًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْجُدُ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ، وَيَقْبَلُ سِمَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، {10} فَهُوَ أَيْضًا سَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ اللهِ، الْمَصْبُوبِ صِرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ أَمَامَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ {11} وَيَصْعَدُ دُخَانُ عَذَابِهِمْ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، وَلاَ تَكُونُ رَاحَةٌ نَهَارًا وَلَيْلًا لِلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ يَقْبَلُ وَسْمَ اسْمِهِ") [187]، ({1} ثُمَّ بَعْدَ هذَا رَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ، لَهُ سُلْطَانٌ عَظِيمٌ. وَاسْتَنَارَتِ الأَرْضُ مِنْ بَهَائِهِ {2} وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: "سَقَطَتْ! سَقَطَتْ بَابِلُ الْعَظِيمَةُ! وَصَارَتْ مَسْكَنًا لِشَيَاطِينَ، وَمَحْرَسًا لِكُلِّ رُوحٍ نَجِسٍ، وَمَحْرَسًا لِكُلِّ طَائِرٍ نَجِسٍ وَمَمْقُوتٍ {3} لأَنَّهُ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ زِنَاهَا قَدْ شَرِبَ جَمِيعُ الأُمَمِ، وَزَنَا مُلُوكُ الأَرْضِ مَعَهَا، وَاسْتَغْنَى تُجَّارُ الأَرْضِ مِنْ وَفْرَةِ نَعِيمِهَا" {4} ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتًا آخَرَ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: اخْرُجُوا مِنْهَا يَا شَعْبِي لِئَلاَّ تَشْتَرِكُوا فِي خَطَايَاهَا، وَلِئَلاَّ تَأْخُذُوا مِنْ ضَرَبَاتِهَا {5} لأَنَّ خَطَايَاهَا لَحِقَتِ السَّمَاءَ، وَذَكَرَ اللهُ آثَامَهَا) [188].

من الملفتِ أيضًا فيما ورد عن نهايةِ بابل، حالُ أتباعِها، ووصفُ الآياتِ لتحسّرِهم وبكائهم عليها: ({9} وَسَيَبْكِي وَيَنُوحُ عَلَيْهَا مُلُوكُ الأَرْضِ، الَّذِينَ زَنَوْا وَتَنَعَّمُوا مَعَهَا، حِينَمَا يَنْظُرُونَ دُخَانَ حَرِيقِهَا {10} وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ لأَجْلِ خَوْفِ عَذَابِهَا، قَائِلِينَ: وَيْلًا! وَيْلًا! الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ بَابِلُ! الْمَدِينَةُ الْقَوِيَّةُ! لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ جَاءَتْ دَيْنُونَتُكِ {11} وَيَبْكِي تُجَّارُ الأَرْضِ وَيَنُوحُونَ عَلَيْهَا، لأَنَّ بَضَائِعَهُمْ لاَ يَشْتَرِيهَا أَحَدٌ فِيمَا بَعْدُ {12} بَضَائِعَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَجَرِ الْكَرِيمِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالْبَزِّ وَالأُرْجُوانِ وَالْحَرِيرِ وَالْقِرْمِزِ، وَكُلَّ عُودٍ عَطِرٍ، وَكُلَّ إِنَاءٍ عَاجِيٍّ، وَكُلَّ إِنَاءٍ نَفِيسٍ مِنَ الْخَشَبِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالْمَرْمَرِ {13} وَقِرْفَةٍ وَبَخُورٍ وَطِيبٍ وَلُبَانٍ وَخَمْرٍ وَزَيْتٍ وَدَقِيقٍ وَحِنْطَةٍ وَبَهَائِمَ وَغَنَمٍ وَخَيْلٍ، وَمَرْكَبَاتٍ، وَعَبِيدٍ، وَنُفُوسِ النَّاسِ {14} وَذَهَبَ عَنْكِ جَنَى شَهْوَةِ نَفْسِكِ، وَذَهَبَ عَنْكِ كُلُّ مَا هُوَ مُشْحِمٌ وَبَهِيٌّ، وَلَنْ تَجِدِيهِ فِي مَا بَعْدُ {15} تُجَّارُ هذِهِ الأَشْيَاءِ الَّذِينَ اسْتَغْنَوْا مِنْهَا، سَيَقِفُونَ مِنْ بَعِيدٍ، خَوْفًا عَلَى عَذَابِهَا،

يَبْكُونَ وَيَنُوحُونَ {16} وَيَقُولونَ: وَيْلا! وَيْلا! المَدِينَةُ العَظِيمَةُ المُتَسَرْبِلةُ بِبَزٍّ وَأُرْجُوانٍ وَقِرْمِزٍ، وَالمُتَحَلِّيَةُ بِذَهَبٍ وَحَجَرٍ كَرِيمٍ وَلُؤْلُؤٍ {17} لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ خَرِبَ غِنىً مِثْلُ هذَا. وَكُلُّ رُبَّانٍ، وَكُلُّ الْجَمَاعَةِ فِي السُّفُنِ، وَالْمَلاَّحُونَ وَجَمِيعُ عُمَّالِ الْبَحْرِ، وَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ {18} وَصَرَخُوا إِذْ نَظَرُوا دُخَانَ حَرِيقِهَا، قَائِلِينَ: أَيَّةُ مَدِينَةٍ مِثْلُ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ {19} وَأَلْقَوْا تُرَابًا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَصَرَخُوا بَاكِينَ وَنَائِحِينَ قَائِلِينَ: وَيْلٌ! وَيْلٌ! الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ، الَّتِي فِيهَا اسْتَغْنَى جَمِيعُ الَّذِينَ لَهُمْ سُفُنٌ فِي الْبَحْرِ مِنْ نَفَائِسِهَا! لأَنَّهَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ خَرِبَتْ!) [189].

نُلاحظُ في النصِّ الأخيرِ أمرًا غريبًا، وهو ليس تحسُّرُ الملوكِ على بابلَ الحديثةِ وعظمتِها، فهو أمرٌ طبيعيّ، ولكنَّ العجيبَ فيه، هو تحسُّرُ التجار، بل والمُبالغةُ في وصفِ تحسُّرِهم على بابلَ من الناحيةِ التجارية، ونُواحِهم على بضائعِهمُ التي لن يشتريَها أحدٌ بعدَ أن سقطتِ بابل! هذا أمرٌ غريبٌ لمَن يتأمَّلُ المشهد، إلّا أنّ بعضَ التفاسيرِ التي ستأتي معنا بعدَ قليلٍ، ستكشفُ النقابَ عما يعنيه النصُّ المقدّسُ بهذا مِن منظورٍ مميز.

د - صنمُ الوحش (صورةُ الوحش):

على سياقِ كلِّ ما يتعلّقُ بالوحشِ وخصائصِه، وشخصياتِ آخرِ الزمان عمومًا، فإنّ موضوعَ صنمِ الوحش (أو صورةِ الوحشِ بحسبِ اختلافِ الترجمة)، حظيَ بتنوعٍ في الشروحِ والآراء. بدايةً، معَ آراءِ الفهمِ المجازي، يُعتبرُ المقصودُ من الصنمِ تجسيدًا لتقديسِ حبِّ الذات، أو حبّ الدنيا، أو حب التراث، أو على اعتبارِ الصنمِ استعارةً تعبيريةً فيها رمزيَّةٌ تتعلقُ بعجلِ بني إسرائيل الذّهبيِّ الذي صنعوهُ في غيابِ موسى من ذهبِهم وحُلِيِّهم، حيثُ إنَّ عجلَ بني إسرائيلَ كان كِنايةً عن "بَعْلَ"، الذي عبدَتهُ الكثيرُ من الحضاراتِ وقتئذ. بمعنى آخر، ترى هذه الآراءُ رمزيةً في الآياتِ باعتبارِها ترمزُ إلى عبادةِ التراثِ الدُّنيَويِّ والوثنيِّ علاوةً على الإيمانِ باللهِ والدين، حتى إنّ بعضَ هذه الشروحِ يستفيضُ في فهمِه لهذا المعنى بتخصيصِ بعضِ الأمثلةِ في المُمارساتِ الدينية، مثل تسميةِ عيدِ الفصحِ بالإيستر، وهو اسمُ الآلهةِ عِشتار، ورمزيةِ الأرانبِ الخاصةِ بها، ورمزيةِ الشجرةِ في عيدِ الميلادِ التي تعودُ إلى حضاراتٍ أخرى، إلى آخرِ ذلك من الرمزياتِ والمُسمَّياتِ والعاداتِ التي ألبسَت على الدين وهي ليست منه، كذلك تذهبُ آراءٌ إلى تشبيهه بتمثالِ نبوخذ نصّر، أو تمثالِ الممالكِ الأربعة، في إشارةٍ إلى أنظمةِ الكفرِ، وامتدادِ النهجِ الشريرِ المهيمِنِ على العالمِ في كلِّ الأزمة.

من ناحيةٍ أخرى، نجدُ أنَّ للقسمِ الآخرِ من الشراحِ رأيًا مختلفًا، وأكثرَ تطبيقًا. على سبيلِ المثالِ، ترى آراءٌ أخرى أنّ النصَّ هنا يتحدثُ عن صورةٍ للوحشِ لا صنمَ له، يُأوِّلُها على أنها التلفاز، أو بمعنى آخر، دورُ الإعلامِ في غسلِ عقولِ الناس، أو الإفسادِ الأخلاقيِّ لهم. أما أحدثُ الآراءِ وأكثرُها ارتباطًا بالعصرِ الحديث، هي الآراءُ التي تفسرُ الصورةَ على أنها التصوير، أي بمعنى الخَلق، وفي ذلك إشارةٌ إلى خلقِ الذكاءِ الاصطناعي، وهذا ما يرونه يعكسُ منحَ الرُّوحِ للصورةِ حتى تتكلم، وفي مشهدٍ أكثرَ سوداوية، يتخوفُ أصحابُ هذه الآراءِ من حُكمٍ مُسيطِرٍ على العالمِ من خلالِ الذكاءِ

الاصطناعيِّ والروبوت، وتطوّرِ التِّقنيّات، ربّما إلى درجةِ استعبادِ الناس، والسيطرةِ عليهم وعلى حياتِهم. فيما يذهبُ البعضُ إلى أبعدَ من ذلك، أي بمعنى السيطرةِ على عقولِ الناس بالمعنى الفعلي، وسنشرحُ كيفيةَ ذلك.

ه - وسمُ الوحش:

يُعتبرُ الرقمُ 6 رقمًا مُعبِّرًا عن النقصانِ وعدمِ الكمال، كما يُعتبرُ عددًا يرمزُ للإنسان، وذلك لخلقِ الإنسانِ في اليومِ السادس كما في التوراة، إضافةً إلى لفظة: (فَهُوَ رَقَمُ إِنْسَانٍ) في الرؤيا عن وسمِ الوحش. كذلك فإنّ 666 يُمكنُ أن يُعبِّرَ عن ثُلاثيٍّ غيرِ مُقدّس، في إشارةٍ إلى الثلاثيّ الحاضرِ في المشهدِ الأخيرِ (الوحشِ ونبيِّه المزيَّفِ، والتنين)، ومن المُفيدِ أن نعرفَ أيضًا أنّ هذا العددَ يُعتبرُ من الناحيةِ الرياضية، عددًا مُثلّثًا، أي أنّه يُساوي مجموعَ جميعِ الأعدادِ من 1 إلى 36، الذي بدوره يُعدُّ عددًا مُثلّثًا أيضًا، ما يجعلُ العددَ 666 عددًا مُثلّثًا مُضاعَفًا. أما من الناحيةِ الماورائية، فيُعتَقدُ أنّ العددَ مُقدّسٌ بالنسبةِ لممارسي الكابالا (السحرِ الأسودِ اليهودي)، كما أنه من المفيدِ أيضًا أن نعرفَ أنّ الكلمةَ الوحيدةَ في الإنجيلِ التي تُساوي قيمتُها العدديةُ 666 هي التقاليد، وقد تكررَت 13 مرة، وهو رقمُ الإصحاحِ الذي ورد فيه رمزُ الوحشِ في سفرِ الرؤيا. كما أنّ العددَ 666 ذُكر في قصةِ سليمان، حيثُ يَذكرُ الكتابُ أنّ الربحَ السنويَّ في مملكةِ سليمان كان يُساوي 666 سبيكةً ذهبية. كثرةُ هذه المعاني وتنوّعُها طالما شغل الباحثين على مرِّ الأزمنة، فأُلّفَت حوله الكتب، واستُعملَ في الرواياتِ الخياليةِ والأفلامِ السينمائية، ناهيك عن التنوُّعِ في فهمِ المقصودِ منه في رُؤيا يوحنا. إضافةً إلى ذلك، فقد أوّلَ الكثيرُ من الناس عبرَ التاريخِ شخصياتٍ تاريخيةً معروفةً على أنهم الوحش، أو مسيحُ الوحشِ المزيَّف (عدوُّ المسيح)، وكذلك الحالُ في العصرِ الحديث، فبحسبِ حسابِ أعدادِ الأسماءِ باللغةِ باليونانيةِ والعبرية، (وهو شبيهٌ بأسلوبِ حسابِ الجُمَّلِ العربيّ)، تُساوي القيمةُ العدديةُ لأسماءِ كلٍّ من، الملكِ نَيرون، ونبوخذ نصّر، وقُسطنطين، العددَ 666. هذا من الملوك، أمّا من الرؤساءِ، فأسماءُ كلٍّ من هِتلر، ونابليون، وميخائيل غوربتشوف، وأسماءُ كلٍّ من كينيدي، وريغان، وأوباما من رؤساءِ الولاياتِ المتحدة، تساوي القيمةُ العدديةُ لها أيضًا 666. كذلك من أسقفِ البابويةِ الرومانية، فإنّ اسمَ كلٍّ من البابا يُوحنا بولس الثاني، والبابا لِيو العاشر، إضافةً إلى أنَّ الكلمةَ اللاتينيةَ Vicarius Filii Dei، والتي تعني "النائب عن ابن الله" التي تُعتبرُ لقبًا للقديسِ بُطرسَ وهو البابا الأول، ولقبًا لمقامِ البابويةِ بشكلٍ عامّ، هي بدورِها تُساوي 666 بقيمتِها العددية، ما أدى إلى اتهامِ كلٍّ من هذه الأسماءِ جميعًا أنها الوحشُ أو عدوُّ المسيحِ بنظرِ المهووسين بهذه الفكرةِ عبرَ الأزمنة. إضافةً إلى كلِّ هؤلاء، فقد اتُّهِمَ الكثيرُ من الزعماءِ والشخصياتِ ذاتِ النفوذِ القويِّ عبرَ التاريخِ بكونِهم تأويلًا للوحشِ أو تشخيصًا لنقيضِ المسيح، وبعضُهم لم يكن حتى اسمُه مُساويًا لتلك القيمةِ العدديةِ أصلًا. أخيرًا، تُعتبرُ شخصيةُ "مايتريا" مُرشَّحًا مُهمًّا في هذا المِضمار، حيثُ تعتقدُ الديانةُ الثيوصوفيةُ أنَّها الشخصيةُ المُنتظَرةُ لآخرِ الزمان، وهذه الشخصيةَ، كما الثِّيُوصوفيةُ ككل، تحومُ حولَها شُبُهاتٌ عجيبة،

كما سبق وفصّلنا في فقرةِ الدّجال. العجيب انّ اسمَ مايتريا تساوي قيمتُه العدديةُ 666 بعدةِ لغات.

أما وسمُ الوحشِ بالنسبةِ لأصحابِ الآراءِ المجازيةِ، فيُأوّلونَ مكانَه على اليدِ والجبهةِ على أنه دلالةٌ على العملِ والإيمانِ، وقبولَ الناسِ له أو رفضِهم يدلُّ على قبولِ أو رفضِ الأعمالِ الخاطئةِ والمعتقداتِ الخاطئة، باعتبارِ عددِ الوحشِ يرمزُ إلى ثالوثٍ غيرِ مقدس، أو ثالوثٍ يدل على النقصان، يُعدُّ مُعاديًا للمسيح.

بغضِّ النظرِ عنِ الأشخاصِ وعنِ الأسماء، وسواءً اتّفقنا معَ نظرياتِ المُؤامرةِ أمَ لا، فإنّ التأويلَ التطبيقيَّ لهذا الوسمِ يحملُ رأيًا رئيسيًّا واحدًا، وهو زِراعةُ شرائحَ إلكترونيةٍ تحتَ جلدِ الإنسان. تحملُ البياناتِ الشخصيةَ التعريفيةَ لكلِّ فرد، وبياناتِه الطبيةِ والمالية، كما أنَّ لها القدرةَ على الاستجابةِ لموجاتِ الراديو. هذه الشريحةُ تنتشرُ بالفعلِ في بعضِ الأوساطِ الغربية، ولكنِ بشكلٍ محدود، كما أنها ليست مفروضةً على الناسِ، حتى الآنَ على الأقلّ، إلا أنها مَفروضةٌ للحيواناتِ المنزلية، كما إلى أنّها تحوي جهازَ تعقّب! ويُعتقدُ أنها ستُصبحُ في طَورِ الاتّصالِ بالإنترنت. أما مَن يَذهبُون أعمقَ من هذا في التأويل، فيتخوفون من ربطِ هذه الشريحةِ مع تقنيةِ النانو، أو تقنيةِ واجهاتِ الدماغ، وهي تقنيةٌ تعملُ على تطويرِ اتصالاتٍ مباشرةٍ بينَ الدماغِ البشريّ وبينَ الحواسيب.

و - المشهدُ المتكامل:

كما قُلنا في بدايةِ هذه الفِقرة، سأقومُ بتَلخيصِ المشهدِ المتكاملِ لتفسيرِ وفَهمِ جميعِ هذه العناصرِ المتعلقةِ بالوحشِ بمختلفِ آراءِ الشُّراح، حيثُ سنقومُ بتِعدادِ أهمِّ هذه الآراءِ وأكثرِها تكامُلًا في رؤيةِ المشهدِ ككلّ، ومن الجديرِ بالذكرِ أنه يتفرَّعُ من هذه الآراءِ الرئيسيةِ آراءٌ يُمكنُ أن يأخذَ من بعضِها البعض، إلا أنها جميعًا تدورُ في فلكٍ مشترَكٍ ولو إلى حدٍّ ما.

الرأيُ المجازيّ، وهو الرأيُ الذي يعتبِرُ المشهدَ برُمَّتِه صراعًا إيمانيًّا قائمًا في كلِّ زمانٍ ومكان، غير أنه يزدادُ شدةً مع تطورِ مراحلِه، حيثُ يُنظرُ للوحشِ الأولِ على أنه حبُّ الدنيا، فيما يُعتبرُ الوحشُ الثاني جنودَ الشيطانِ وأعداءَ الإيمانِ والدين، كذلك الحالُ بالنسبةِ للمسيحِ المُزيّف، تطابُقًا مع النصوصِ التي ترى أنَّ كلَّ مَن يُعادي مسيحيَّةَ يسوعَ، هو عدوُّ المسيح، أو نقيضُه. كما يَعتبرُ هذا التفسيرُ صنمَ الوحشِ تجسيدًا معنويًّا لحبِّ الدنيا وتمجيدِ الذات، بينما وَسمَ الوحشِ كِنايةً عنِ العملِ والاعتقاد، من مُنطلقِ مكانِ الوَسم (اليدِ اليُمنى والجبهةِ)، إضافةً إلى رمزيةِ عددِ الوحش، الذي يجعلُ الإنسانَ بديلًا عنِ الله، والدنيا بديلًا عن الدين.

الرأيُ المحافظ، ويعتبرُ أنَّ الوحشَ الأولَ هو المملكةُ الروميةُ من مبدأِ رُؤيا دانيال، ورؤيا الممالكِ، كما أنه يَعتبرُ فكرةَ الوحشِ امتدادًا للممالكِ الوثنية، ويعتبرُ أنَّ الوحشَ الجديدَ (وحشَ الرؤيا) يُعدُّ أيضًا امتدادًا للممالكِ الوثنيةِ كسابقِه، أو المُعاديةِ للدينِ بطريقةٍ أو بأخرى، ما يتمثّلُ إمّا بالولاياتِ المتحدة، اعتبارًا أنها القوةُ ذاتُ الهيمنةِ العالميةِ الظالمة، ما ينطبقُ على

مفهومِ بابلَ الزانية، او ما يتمثلَ بنظامٍ عالميٍّ مُتّحِد، تحتَ سقفِ هيئةٍ أمميّة، ولعلّه ما يُعرفُ بالنظامِ العالميِّ الجديد. كذلك، يَعتبرُ هذا الرأيُ المسيحَ المزيّفَ إشارةً إلى الفاتيكان، أو بابا الفاتيكانِ الذي سيكونُ في زمانِ عودةِ المسيح، الذي يُعدُّ أيضًا قرنَ الوحشِ المتكلِّم، استنادًا إلى ما ورد من أوصافٍ في سفرِ دانيال. أما تفسيرُ هذا الرأيِ لصنمِ الوحش، فبعضُ أصحابِه يَعتبرُ تمجيدَ التماثيلِ اليونانية، ورعايةَ الفاتيكانِ لها تفسيرًا لذلك، ما يعتبرونه تمجيدًا لرموزِ ممالكِ الشرِّ والكفرِ ومُعاداةِ الإيمانِ المُستمِرّةِ منذُ فجرِ التاريخ، وسَيرًا على نفسِ النهج. وأخيرًا، بخصوصِ رقمِ الوحش، فهناك مَن يعتبرونه مُأوَّلًا باسمِ نبوخذ نصّر، ملكِ بابل، وقُسطنطين، ونيرون، أكبرِ أباطرةِ روما، ما يُعبِّرُ بحسَبِ هذا الفهمِ عن امتدادِ نهجٍ واحدٍ من بدايةِ هذه الممالكِ إلى نهايتِها، على اختلافِ الممالكِ وأشكالِها وادعاءاتِها، وهناك من يَعتبرُ رقمَ الوحشِ دلالةً على مُسمى "النائبِ عن ابنِ الله" إشارةً إلى البابويّةِ الفاتيكانيةَ.

الرأيُ السياسي، والذي يَعتبرُ وحشَ الرؤيا دولةَ إسرائيل، أو إسرائيلَ الكُبرى، ويعتمدُ ذلك على تفسيرِهم الفعليِّ لكونِ المسيحِ المزيفِ يجلسُ في هيكلِ الله، اعتبارًا أنه حاكمٌ يهوديٌّ مُرتقَب، ولعلّه المسيحُ الذي يعتبرُ اليهودُ أنه لم يظهرْ بعد، الذي ستُساوي القيمةُ العدديةُ لاسمِه رقمَ الوحش. يَعتبرُ هذا الرأيُ أنَّ صنمَ الوحشِ صنمٌ فعلي، يتكلّمُ من خِلالِ السحرِ اليهوديّ، ولعلّه تمثالٌ لهذا الحاكم، أو تمثالًا للعجلِ اليهوديِّ القديم. كذلكَ يعتبرون وسمَ الوحشِ، إمّا الشريحةُ الإلكترونيةُ المذكورة، أو وَسمًا أشبهَ بالوُشومِ الشيطانية.

الرأيُ التطوري، والذي يَعتبرُ وحشَ الرؤيا أمريكا، أو النظامَ العالميَّ الجديدَ من خِلال حكومةٍ عالميةٍ سياسيةٍ أو اقتصادية، ويَعتبرُ صنمَ الوحشِ مُتمثِّلًا بالتطورِ التقَنيِّ الحديثِ المتمثِّلِ في الرُّوبوتاتِ والذكاءِ الصِّناعيّ، وإخضاعِ الناسِ للاستعبادِ من خلالِه. أمّا وسمُ الوحشِ على الأيدي والجباه، لا ريبَ أنه الشريحةُ الإلكترونية. أمّا المعنى الذي يُفهمُ مِن خلالِه أصحابُ هذا الرأيِ رمزيةَ العددِ 666، فبحاجةٍ إلى التفصيلِ التالي.

هناك عدةُ أسبابٍ تجتمعُ سويًّا لتُفيدَ معنى واحدًا يصلُ إليه أصحابُ التفسيرِ التطوري، ويَستنتجون منه أنَّ معنى العددِ 666 هو رقمنةُ المالِ والنظامِ الاقتصادي. لكي نفهمَ كيف استُنتج هذا الفهم، علينا أن نعرفَ أنَ لفظةَ الخَتم في الآية: (يُخْتَمُ لَهُمْ وَسْمٌ عَلَى أَيْمَانِهِم أَوْ عَلَى جِبَاهِهِمْ)، يُمكنُ أن تترجَمَ لفظةُ الختم، بمعنى طِباعةِ العمُلاتِ المَعدنية. علمًا أنَّ اسمَ نيرون، كان يُختمُ على العُملةِ الرومية، وهو يُساوي رقمَ الوحش، إضافةً إلى رمزيةِ العددِ الذي تكرر ذكرُه في ذهبِ مملكةِ سليمان. أما بالنسبةِ لرمزيةِ العددِ من مطابقتِها مع الواقعِ العصريِّ، فكما نعلمُ، إنَّ عملياتِ الشراءِ والبيعِ التي تتمُّ من خلالِ مسحِ الباركود الرقميِّ على المنتجات، تَقرأُ الباركودَ من خلال تحويلِ الخطوطِ الطوليةِ المُمغنَطةِ إلى أرقام، ولكن ما قد لا يلتفتُ إليه معظمُ الناس، هو أنَّ هذا الباركود دائمًا يحتوي على ثلاثةِ خطوطٍ طوليةٍ مميَّزة، موزَّعةٍ على كلٍّ من البدايةِ والوسطِ والنهاية، ما يُعتقَدُ أنه تساوي العددَ 6:



هذا يعني أنَّ الباركود المُستخدَمَ في عملياتِ البيعِ والشراءِ لكافّةِ المنتجات، دائمًا ما يحتوي على ثلاثِ ستّات. مِن منظورٍ معاصرٍ آخر، فإنَّ الحرفَ w الذي يُستخدمُ في تصفُّحِ مواقعِ الإنترنتِ (www)، يُترجم بالعِبريةِ إلى (ڤاڤ)، وتُساوي قيمتُه العدديةُ 6. أي، بمعنى آخر، إنَّ هذه الرقمنةَ المُستخدَمةَ في تقنياتِ تصفح الإنترنتِ، كما في عملياتِ البيعِ والشراء، والمليئةِ بالرّمزيةِ الرّقميةِ لعددِ الوحش، ستُستخدمُ في رقمنةِ طباعةِ المال، وفرضِ استخدامِ العمُلاتِ الرقميةِ حصرًا، (مثلَ عملةِ البيتكوينِ الشهيرة، على سبيلِ المثالِ)، وعمليةِ البيعِ والشراء، وتوصيلِ كافةِ مناحي الحياةِ بالإنترنتِ المراقَبِ من خلالِ الذكاءِ الصناعي، وربّما، المَحمِيِّ مستقبلًا من خلالِ الأمنِ الآليّ، (ولعلَّ هذا النظامَ الماليَّ التقنيَّ المُترابَطَ يُفسّرُ شدةَ بكاءِ ونُواحِ التُّجارِ عندَ انهيارِ مملكةِ بابلَ الحديثةِ هذه)، فهذه المنظومةُ الماليةُ التقنيةُ بأكمِلها، التي يحكمُها هذا النظامُ العالميُّ، هي وحشُ الرؤيا الذي يَستعبدُ الناسَ في آخرِ الزمان.

ملاحظة:

تربطُ بعضُ النظرياتِ بينَ الإجراءاتِ الاحترازيةِ الناتجةِ عن أزمةِ تفشي وباءِ كورونا المستجدّ كوفيد19، وبينَ الشريحةِ الإلكترونيةِ، أو كما حيثُ شاعت تسميتُها، "شريحةِ الدجال"، وبينَ تقنيةِ الجيلِ الخامس (5G). يعتبرُ البعضُ أنَّ اللقاحَ ضدَّ الفيروسِ يتضمّنُ الشريحةَ الإلكترونيةَ التي سبق وتحدثنا عنها، وعلى الرغمِ من سخافةِ هذه الفكرة، إلا أنَّ هذا لا يتنافى مع وجودِ صورةٍ أكثرَ واقعيةٍ قد توضِّحُ وجودَ ارتباطٍ مختلِفٍ ما بينَ هذه الأمورِ الثلاث! خصوصًا إذا عرَفنا عنِ مجرياتِ المنتدى الاقتصاديِّ العالميِّ، الذي عَقد اجتماعَه الخمسين تحتَ عُنوانِ "إعادةُ التشغيلِ العظمى"، بمشاركةِ 3000 من قادةِ كبرى الشركاتِ العالمية، بصحبةِ زعماءِ وسفراءِ الكثيرِ من دولِ العالم، إضافةً إلى كبارِ المسؤولين في المنظماتِ الدولية، وكبارِ الأكاديميين الاقتصاديين، والتقنيين، والأعجبُ، حضورُ زعماءٍ دينيين من معظمِ الطوائفِ الدينيةِ في العالمِ معهم! علمًا أنَّ الزعيمَ والمؤسسَ لهذا المنتدى كلاوس شواب، صديقٌ حميمٌ وتلميذٌ نجيبٌ للصهيونيِّ الكبيرِ هنري كيسنجر، كما أنه مُحاضِرٌ شرفيٌّ في جامعةِ بنغوريون الإسرائيلية. المريبُ في هذا المنتدى، هو أنَّ جدولَ أعمالِ مؤتمرِ "إعادة التشغيل العظمى" هذا يهدفُ إلى بناءِ نظامٍ ماليٍّ اقتصاديٍّ تقنيٍّ جديد، تكونُ فيه الرسملةُ مِلكًا للشعوب، إلا أنه نظامٌ غيرُ نقديّ، أي إنَّ الشعوبَ التي ستمتلكُ رؤوسَ الأموال، لن تمتلكَ شيئًا من الأموالِ عمليًّا، ولكن ستمتلكُ القدرةَ على شراءِ المنتجاتِ من دونِ نقد! هنا أنا لا أتكلمُ عن تحليلاتٍ، ولا عن نظرياتٍ مؤامرة، ولكن

اتحدثُ عمّا يُعلنُه المنتدى الاقتصاديَّ العالميَّ بنفسِه رسميًّا. النظامُ الجديدُ الذي يُبشروننا به، مَبنيٌّ بشكلٍ كبيرٍ على تطويرِ استخدامِ الذكاءِ الصناعيِّ في كافّةِ الصناعات، والاستفادةِ من تقنيةِ إنترنتِ الأشياء، ما يُوضحُ الحاجةَ المُلحّةَ لتطويرِ تقنيةِ الجيلِ الخامس. وإذا لاحظنا، فإنّ الناسَ لن تتمكنَ من أن تشتريَ أو تبيعَ إن لم تَكنْ جُزءًا من هذا النظامِ العالميِّ الماليِّ الجديد، حيثُ إنّهم يسعَون إلى تحويلِنا إلى مُجتمعاتٍ لا نقدية، أشبهَ بالعبيد، وربما تُقدمُ الشكرَ لهذا النظامَ لإبقائِهم أحياء، وسوف تتمُّ قراءةُ ومُراقبةُ البياناتِ الكبيرةِ (Big Data) لجميعِ الناس، ودراسةُ التحليلِ السلوكيِّ لجميعِ أفرادِها، من خلالِ مُحرِّكاتِ الذكاءِ الصناعيّ. هذه المجتمعاتُ نُصبَت لمُراقبتِها كاميراتُ مراقبةٍ في كافّةِ الأماكنِ العامةِ في العالم، مُزوَّدةً بقُدرةِ التعرُّفِ على الوجه، متّصلةً بقاعدةِ بياناتٍ موحدة، وقد درجَ في الكثيرِ من بلادِ العالمِ استبدالُ كاميراتِ المراقبةِ التقليديةِ بأخرى مزودةٍ بتقنيةِ التعرفِ على الوجه، من بابِ الحاجةِ إلى التعرفِ الإلكترونيِّ على الوجوهِ بسببِ ارتداءِ الكمامات. بهذا المشهد، لن يملكَ أحدٌ أن يتحركَ أو يبيعَ أو يشتريَ في ظلِّ هذا النظامِ الماليِّ الجديدِ إلا بإجراءِ مسحٍ على بطاقاتِهمُ الإلكترونيةِ المزروعة، وهي عادةٌ بدأوا بتعويدِنا عليها عمليًّا من خلالِ عملياتِ المسحِ الحراريِّ على الأيدي والجباه، وإبرازِ التطبيقاتِ التي انتشرَت حولَ العالمِ لإثباتِ الوضعِ الصحيّ، ما سوف يتطورُ إلى إثباتِ أخذِ التطعيم، وربما تطعيماتٍ أخرى قادمة، حتى يتطورَ أخيرًا ليصبحَ بطاقةً إلكترونيّةً شاملة. نتكلمُ هنا عن مرحلةٍ يَسعى إليها زعماءُ اقتصاديون وسياسيون عالميّون، بإشرافٍ وإدارةٍ صهيونيةٍ من أعلى المستويات على أرضِ الواقع، وليس عن خيالاتٍ علميةٍ أو أفلامٍ سينمائية. كما أنَّ الخطيرَ في الأمر، ليس أننا أصبحنا قريبين من هذه المرحلة، بل دخلنا في تطبيقِها فعلًا.



[178] سفر الرؤيا، الإصحاح 13، الآيات: 1-18.

[179] رسالة يوحنا الثانية: الإصحاح 1، آية: 7.

[180] رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح 4، آية: 3.

[181] رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح 2، الآيات: 18-22.

[182] سفر مرقس، الإصحاح 13، الآيات: 19-23.

[183] رسالة بولس الثانية إلى التسالونيين، الإصحاح 2، آية: 3-4.

[184] رسالة بولس الثانية إلى التسالونيين، الإصحاح 2، آية: 9-11.

[185] سفر الرؤيا: الإصحاح 17، الآيات: 1-6.

[186] سفر الرؤيا: الإصحاح 17، الآية: 18.

[187] سفر الرؤيا، الإصحاح 14، الآيات: 8-11.

[188] سفر الرؤيا، الإصحاح 18، الآيات: 1-5.

[189] سفر الرؤيا، الإصحاح 18، الآيات: 9-19.

عودةُ السيدِ المسيح

على الرغمِ من سَوداويّةِ المشهدِ الذي نراهُ من الفقرةِ السابقة، يبقى الأملُ بيومِ الخَلاصِ الرّبانيِّ الموعودِ أكبرَ وأشدَّ إشراقاً من أن تُغيبَه ظلماتُ الباطلِ وخَططِه، وأيامُه القليلةِ. سبق وذكرنا علاماتِ عدّةٍ لعودةِ المسيحِ المباركةِ، ونُعيدُ ذكرَها في نصٍّ مقدّسٍ واحدٍ تكررَ في أكثرَ من إنجيلٍ معَ اختلافاتٍ طفيفة، سبقَ وذكرنا آياتِه متفرّقاتٍ في نقاطٍ عدة.

أ - الأدلةُ على المجيءِ الثاني:

عودةُ السيدِ المسيحِ أمرٌ لا يختلفُ عليه اثنان في العقيدةِ المسيحيةِ على الإطلاق، وهنا أتحدثُ عن العودةِ الفعليةِ للمسيح، لا عن معانٍ مجازيةٍ أو رمزية. مواقعُ ذكرِ العودةِ المباركةِ في العهدِ الجديدِ كثيرةٌ: (هُوَذَا آتٍ مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَرَاهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَجَمِيعَ مَنْ أَدْرَكَهُ، وَسَتَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، نَعَمْ آمِينَ) [190]، ({1} لاَ تَدَعُوا قُلُوبَكُمْ تَضْطَرِبْ، آمِنُوا بِاللهِ، وَآمِنُوا أَيْضًا بِي {2} فِي مَنْزِلِ أَبِي حُجُرَاتٌ كَثِيرَةٌ. وَإِلاَّ، هَلْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ، إِنَّنِي مَاضٍ لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا {3} وَعِنْدَمَا أَمْضِي وَأُعِدُّ لَكُمْ مَكَانًا، سَآتِي مُجَدَّدًا لآخُذَكُمْ بِنَفْسِي، حَتَّى تَكُونُوا حَيْثُ أَكُون) [191]، ({30} حِينَئِذٍ سَتَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ، وَعِنْدَهَا سَتَنْتَحِبُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَسَوْفَ يَرَوْنَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ عَظِيمٍ {31} وَسَوْفَ يُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِصَوْتٍ عَالٍ فِي الْبُوقِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ، مِنْ مُخْتَلَفِ أَقَاصِي السَّمَاءِ) [192]، ({11} ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا بِفَرَسٍ أَبْيَضَ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ {12} وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلاَّ هُوَ {13} وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ كَلِمَةَ اللهِ {14} وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ، لاَبِسِينَ بَزًّا أَبْيَضَ وَنَقِيًّا {15} وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) [193]، ({12} وَلَمَّا الْتَفَتُّ رَأَيْتُ سَبْعَ مَنَايِرَ مِنْ ذَهَبٍ، {13} وَفِي وَسْطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ، مُتَسَرْبِلاً بِثَوْبٍ إِلَى الرِّجْلَيْنِ، وَعِنْدَ صَدْرِهِ بِالذَّهَبِ {14} وَأَمَّا رَأْسُهُ وَشَعْرُهُ فَأَبْيَضَانِ كَالصُّوفِ الأَبْيَضِ كَالثَّلْجِ، وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ {15} وَرِجْلاَهُ شِبْهُ النُّحَاسِ النَّقِيِّ، كَأَنَّهُمَا مَحْمِيَّتَانِ فِي أَتُونٍ. وَصَوْتُهُ كَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ {16} وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ لَهُ حَدَّانِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا) [194].

ب - بِشاراتُ العودة:

({1} وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنَ الْهَيْكَلِ، قَالَ لَهُ أَحَدُ تَلاَمِذَتِهِ: انْظُرْ يَا مُعَلِّمُ، يَا لَهَا مِنْ حِجَارَةٍ وَأَبْنِيَةٍ رَائِعَةٍ! {2} فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: أَتَرَى هذِهِ الأَبْنِيَةَ الْعَظِيمَةَ؟ لاَ يَبْقَى مِنْهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ {3} وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ

الزَّيْتُونِ، قَبَالَةَ الهَيْكَلِ، سَأَلهُ بُطرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنّا وَانْدَرَاوُسُ، كَلٌّ عَلى انْفِرَادٍ {4} قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ حُدُوثِ جَمِيعُ هَذِهِ الأُمُورِ؟ {5} فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَبَدَأَ يَقُولُ: انْظُرُوا، لاَ يُضِلَّنَّكُمْ أَحَدٌ {6} سَيَأْتِي كَثِيرُونَ يَتَكَلَّمُونَ بِإِسْمِي قَائِلِينَ: «أَنَا هُوَ» وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ {7} وَحِينَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَبِأَخْبَارِ حُرُوبٍ فَلاَ تَرْتَاعُوا، لأَنَّهَا لاَبُدَّ أَنْ تَكُونَ، وَلكِنَّهَا لَيْسَتِ النِّهَايَةُ {8} لأَنَّهُ سَتَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ، وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ زَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ عِدَّةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَاضْطِرَابَاتٌ. هَذَا أَوَّلُ الْمَخَاضِ فَقَطْ {9} وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى نُفُوسِكُمْ، لأَنَّهُمْ سَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَتُجْلَدُونَ فِي مَعَابِدَ، وَتُوقَفُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ، مِنْ أَجْلِي، لِتُدْلُوا بشَهَادَتِكُمْ إِلَيْهِمْ {10} وَيَنْبَغِي أَنْ يُبَشَّرَ بِالإِنْجِيلِ أَوَّلاً إِلَى جَمِيعِ الأُمَمِ {11} فَمَتَى سَاقُوكُمْ لِيُسَلِّمُوكُمْ، فَلاَ تَقْلَقُوا قُدَّامَ الَّذِي سَتَتَكَلَّمُونَ، بَلْ تَكَلَّمُوا بِمَا تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلِ الرُّوحُ الْقُدُسُ {12} وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ {13} وَتَكُونُونَ مَكْرُوهِينَ مِنْ قِبَلِ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى النِّهَايَةِ يَتِمُّ تَخْلِيصُهُ {14} فَمَتَى رَأَيْتُمْ رَجْسَةَ الْخَرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانْيَالُ النَّبِيُّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ وَلْيَفْهَمِ الْقَارِئُ فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي يَهُوذَا إِلَى الْجِبَالِ {15} وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا {16} وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ {17} وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ {18} وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هُرُوبُكُمْ فِي الشِتَاءِ {19} لِأَنَّهُ تَكُونُ حِينَئِذٍ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِثْلُهَا مُنْذُ بِدَايَةِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ {20} وَلَوْ لَمْ تَقْصُرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمَا نَجَى إِنْسَانٌ لَكِنْ مِنْ أَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تَقْصُرُ تِلْكَ الأَيَّامُ {21} حِينَئِذٍ إِذَا قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَلَا تُصَدِّقُوا {22} لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ مُزَيَّفِينَ وَأَنْبِيَاءُ مُزَيَّفِينَ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةٌ وَعَجَائِبُ حَتَّى لَوْ أَمْكَنَ لأَضَلُّوا الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا {23} وَلَكِنْ خُذُوا حَذَرَكُمْ فَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ سَلَفًا {24} وَلَكِنْ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، بَعْدَ الْمِحَنِ، سَتُظْلِمُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَنْ يُعْطِيَ نُورَهُ {25} وَالنُّجُومُ سَتَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ وَتَتَزَعْزَعُ قُوَى السَّمَاوَاتِ {26} حِينَئِذٍ سَيَرَوْنَ ابْنَ الإِنْسَانِ فِي السُّحُبِ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَمَجْدٍ {27} وَسَتَرَوْنَ مَلاَئِكَتَهُ يَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنْ الْجِهَاتِ الأَرْبَعِ وأَقَاصِي الأَرْضِ وَالسَّمَاء {28} مِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا لَيِّنًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقًا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ {29} هكَذَا أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ {30} اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَحْدُثَ هَذَا كُلُّهُ {31} اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ {32} وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ {33} خُذُوا حَذَرَكُمْ، تَرَقَّبُوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ {34} كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ، حِينَ يَتْرُكُ بَيْتَهُ وَيُسَلِّمُ الأَمْرَ لِخَدَمِهِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَأَوْصَى الْبَوَّابَ أَنْ يَتَرَقَّبَ {35} اِسْهَرُوا إِذًا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ، أَمَسَاءً، أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَمْ حِينَ صِيَاحَ الدِّيكِ، أَمْ صَبَاحًا {36} لِئَلاَّ يَأْتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَامًا {37} وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: تَرَقَّبُوا) [195].

ج - الحربُ الكبرى:

سبق وذكرنا في فصلِ العهدِ القديمِ عن حربِ هرمجدون، وتذهبُ مجموعةٌ من الآراءِ إلى كونِ المسيحِ لا يقاتِلُ أعداءَه وأنَّ الحربَ الكبرى تحدثُ من طرفٍ واحدٍ ليس إلا، ويتغلبُ المسيحُ على دولةِ الشرِّ بالكلمةِ وقوتِها لا بالمفهومِ القتاليِّ الفعليّ، وهو رأيٌ يتبناه قسمٌ لا بأسَ به من الشّراحِ بناءً على المعنى المقصودِ بالسيفِ الخارجِ من فمِه. من ناحيةٍ أخرى، أكثرُ الآراءِ تعتبرُ أنَّ الحربَ تقعُ بينَ طرفَينِ غيرِ مُتكافئَين، إلا أنّها حربٌ متبادلةٌ تكونُ الدائرةُ فيها على الطرفِ الضعيفِ باديءَ الأمر، ثم ينتصرون في نهايةِ المطافِ، بفضلِ إيمانِهم والتأييدِ الإلهيِّ لهم بالمجيءِ المقدَّس، ويُؤيدُ أصحابُ هذا الشرحِ رأيَهم بما ورد في النصِّ التالي: ({17} وَرَأَيْتُ مَلاَكًا وَاحِدًا وَاقِفًا فِي الشَّمْسِ، فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً لِجَمِيعِ الطُّيُورِ الطَّائِرَةِ فِي وَسَطِ السَّمَاءِ: «هَلُمَّ اجْتَمِعِي إِلَى عَشَاءِ اللهِ الْعَظِيمِ {18} لِكَيْ تَأْكُلِي لُحُومَ مُلُوكٍ، وَلُحُومَ قُوَّادٍ، وَلُحُومَ أَقْوِيَاءَ، وَلُحُومَ خَيْل وَالْجَالِسِينَ عَلَيْهَا، وَلُحُومَ الْكُلِّ: حُرًّا وَعَبْدًا، صَغِيرًا وَكَبِيرًا» {19} وَرَأَيْتُ الْوَحْشَ وَمُلُوكَ الأَرْضِ وَأَجْنَادَهُمْ مُجْتَمِعِينَ لِيَصْنَعُوا حَرْبًا مَعَ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ وَمَعَ جُنْدِهِ {20} فَقُبِضَ عَلَى الْوَحْشِ وَالنَّبِيِّ الْكَذَّابِ مَعَهُ، الصَّانِعِ قُدَّامَهُ الآيَاتِ الَّتِي بِهَا أَضَلَّ الَّذِينَ قَبِلُوا سِمَةَ الْوَحْشِ وَالَّذِينَ سَجَدُوا لِصُورَتِهِ. وَطُرِحَ الاثْنَانِ حَيَّيْنِ إِلَى بُحَيْرَةِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ بِالْكِبْرِيتِ {21} وَالْبَاقُونَ قُتِلُوا بِسَيْفِ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ، وَجَمِيعُ الطُّيُورِ شَبِعَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ) [196].

د - مملكةُ المسيحِ والألفيةُ الأخيرة:

عندَ مجيءِ المسيحِ يعودُ القديسون الذي قُتلوا من أجلِ شهادتِهم في المسيحِ إلى الحياةِ، ويحكمون مع المسيحِ في مملكتِه التي تقومُ بعدَ الحربِ الكبرى، (وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَتِهِمْ فِي يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ، فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ) [197]، ومن المعلومِ أنَّ المسيحَ يحكمُ الأرضَ كلَّها، فيعمَّ السلامُ ربوعَها، وتمتازُ مملكتُه بالعدلِ والسلامِ والخيرِ، ويستمرُّ بقاؤُها ألفَ سنةٍ، ({6} فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا {7} وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ، تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا {8} وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ {9} لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ) [198]، (فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرَةٍ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ) [199].

اختلفتِ الآراءُ حولَ عودةِ القديسين، هل هي معنويةٌ أم فعلية، كما تَعتبرُ بعضُ الآراءِ أنَّ جميعَ موتى المؤمنين أو عددًا منهم يعودون للحياة معهم. كذلك الحالُ بالنسبةِ للمملكةِ والألفيةِ الأخيرة، فهناك آراءٌ تعتبرُ أنها تعبيرٌ عن انتشارِ الإيمانِ المسيحيّ، وأنَّ الألفيةَ ليست بالضرورةِ ألفَ سنةٍ بالفعل. خلافًا لذلك، فإنَّ جُلَّ الآراءِ تعتقدُ بألفيةٍ فعلية، ومملكةٍ فعلية، تسودُ

إيمانًا وسلطانًا. بعدَ الألفيةِ الأخيرةِ، يعودُ الشيطانُ ليجمعَ جُندَه وينشُرَ شرَّهُ في الأرضِ، ويسعى للانتقامِ، ولكن لا ينالُ مرادَه: ({7} وَعِنْدَمَا تَنْتَهِي السَّنَوَاتُ الأَلْفُ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ {8} وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ {9} فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ)[200].

ملاحظة:

أحبُّ أن أؤكدَ ما قلتُه في مقدمةِ البحث، وهو أنني ميّالٌ إلى التفسيراتِ العلميةِ ما أمكن، حين تتعلقُ الأمورُ ببعضِ النصوصِ التي تُفهَمُ منها أحداثٌ إعجازيةٌ وعجائبيةٌ في زمنِنا الحاضر، وهذا ليس إنكارًا مني لإمكانيةِ حصولِ المعجزاتِ الربانية، بل اعتقادًا مني أنها لا تتناسبُ مع واقعِنا العلميِّ والحضاريّ. من هذا المنطلق، فإنني أفهمُ بعضَ النصوصِ في الكتابِ المقدسِ فهمًا مجازيًّا معنويًّا، كأن يعيشَ الذئبُ مع الخروفِ، كمبالغةٍ في وصفِ السلامِ والأمانِ وزوالِ الشرور، وأن يعيشَ قديسو المسيحِ ألفَ سنة، بمعنى أنهم وذراريهم يعيشون في خيرٍ وازدهارٍ مدةَ ألفِ سنة. هذا لا يعني أنني لا أقتصرُ فهمي للأحداثِ في النصوصِ المقدسةِ على المعاني الرمزيةِ والمجازيةِ، ولا أنفي فكرةَ واحتمالَ أن يحدثَ شيءٌ من الطبيعةِ الإعجازيةِ في خضمِّ الأحداثِ المرتقبة.

[190] سفر الرؤيا، الإصحاح 1، الآية: 7.

[191] سفر يوحنا، الإصحاح 14، الآيات: 1-3.

[192] سفر متى، الإصحاح 24، الآيات: 30-31. وسفر مرقس، الإصحاح 13، الآيات: 26-27.

[193][193][193][193] سفر الرؤيا، الإصحاح 19، الآيات: 11-15.

[194][194][194][194] سفر الرؤيا، الإصحاح 1، الآيات: 12-16.

[195][195][195][195] سفر مرقس، الإصحاح 13 كاملًا، ونحوه سفر متى، الإصحاح 24، وسفر لوقا، الإصحاح 21

[196] سفر الرؤيا، الإصحاح 19، الآيات: 17-21.

[197] سفر الرؤيا، الإصحاح 20، الآية: 4.

[198] سفر إشعياء، الإصحاح 11، الآيات: 6-9.

[199] سفر إشعياء، الإصحاح 2، الآية: 4.

[200] سفر الرؤيا، الإصحاح 20، الآيات: 7-9.

الفصلُ السابع
نبوءاتٌ من خارجِ الكتابِ المقدَّس

في هذا الفصل، سأُوردُ اثنين من أهمِّ النبوءاتِ التي طرأَت بعدَ زمنِ تلامذةِ المسيح، أي إنها بالطبعِ بعدَ العهدِ الجديد. هذا النوعُ من النبوءاتِ لا يُعدُّ رسميا، أو مُسلَّمًا به، أو أمرًا دينيًّا مُلزِمًا، ولكنه يُمكنُ أن يُؤخذَ منه بقدرِ ما تُقِرُّه الكنيسة. لهذا السببِ، فضلتُ أن أكتفيَ بهاتين النبوءتين، لكونِهما الأشهرَ في هذا السياق، والأكثرَ تداولًا في الوسطِ المسيحيِّ بعدِ نبوءاتِ الكتابِ المقدس، على الرغمِ مِن وجودِ بعضِ الآراءِ المُشكِّكةِ في كلٍّ منهما، وعليَّ أن أؤكد هنا أنني لا أتبنى أية آراء مسيئة لمقام البابا فرنسيس، ولا أتبنى الافتراض بكونه شخصًا شريرًا طبعًا، طالما لم يفعل شيئا يوحي بذلك تبقى النصوص نصوصًا.

نبوءةُ القديسِ مَلاخي

هي رؤيا مناميةٌ تُنسبُ للقديسِ ملاخي، وهو قدّيسٌ إيرلنديٌّ عاش ما بينَ القرنين الحادي عشرَ والثاني عشرَ الميلاديَّين، عُرِف بالرؤى المناميةِ الدقيقةِ كما جاء في سيرتِه. تُنسبُ إليه مخطوطةٌ وُجدَت مُخبَّأةً في إحدى مكتباتِ الفاتيكانِ في العامِ 1595 م، أي بعدَ وفاتِه بأكثرَ من 400 عام. المخطوطةُ تتحدثُ عن رؤيًا شاهدها أثناءَ زيارةٍ له إلى روما، حيث شاهد عباراتٍ رمزيّةٍ لجميعِ البابواتِ المُستقبَليِّين منذُ زمانِه إلى آخرِ بابا يكونُ للفاتيكان. الرؤيا تضمنَت 112 عبارةً رمزية، 74 منها عن بابواتٍ كانوا قبلَ الكشفِ عن المخطوطة، معاني العباراتِ المذكورةِ عنهم تطابقَت إلى حدٍّ كبيرٍ مع أوصافِهم الواقعية، فيما البقيةُ وتعدادُها 38، تطابقَت معانيها مع الواقعِ بدرجةٍ أقلَّ بعضَ الشي، ولكن يَبقى تطابقًا لا يُستهانُ بهِ. يستهجنُ الكثيرُ من أساقفةِ الفاتيكانِ هذه النبوءةَ ويرفضونها جملةً وتفصيلًا، في ظلِّ غيابِ أيِّ تعليقٍ رسميٍّ من الفاتيكانِ حولَها. سنستعرضُ بعضَ الأمثلةِ عن الأسماءِ الرمزيةِ عن البابواتِ الذين أتَوا بعدَ الإعلانِ عنِ المخطوطة ونشرِها عامَ 1595، قبلَ أن نذكرَ جوهرَ ما نريدُه من هذه النبوءةِ المُتمثِّلَ في آخرِها، حيثُ وصفُ ما يجري في زمنِ البابا الأخير:

ضوءٌ في السماء (102): يُعتبرُ إشارةً إلى شعارِ الشهابِ المضيءِ الموجودِ على درعِ البابا لِيو الثالثَ عشرَ الذي اتخذه لمّا صار راهبًا قبلَ أن يصيرَ البابا بقُرابةِ 35 عامًا.

الكاهنُ البحّار (107): يعتبرُ إشارةً إلى الموطنِ الأصليِّ للبابا يوحنا الثالثِ والعشرين، حيثُ إنه من المدينةِ العائمةِ فينيسيا.

وردةُ الورَود): يَعتَبرُ إشارةً إلى شعارِ الورودِ الثلاثِ الموجودِ على درعِ البابا بولس السادس حين صار راهبًا قبلَ أن يصيرَ البابا بتسعةِ أعوام. (108)

عن نصفِ القمر): يعتبرُ إشارةً لِتولّي البابا يوحنا بولُسَ الأولِ ليلةَ نصفِ بدر. (109)

عن كسوفِ الشمسِ): يعتبرُ إشارةً إلى كونِ البابا يوحنا بولسَ الثاني شهد كسوفًا شمسيًّا يومَ ولادتِه، وكذلك يومَ جنازتِه. (110)

مجدُ الزيتون): يُعتبرُ إشارةً إلى رمزيةِ اسمِ البابا بينيديكت السادسَ عشر، حيثُ يعودُ اسمُ بينيديكتَ إلى النظامِ الدينيِّ البينيدكتيِّ، الذي تُسمّى الرُّتبةُ الرهبانيةُ فيهِ باسمِ الزيتونيةِ منذُ قرون، ذلك لرمزيةِ وِسامِ سيدةِ جبلِ الزيتونِ. (111)

العبارةُ الأخيرة: (بُطْرُسُ الرُّومِيُّ، الَّذِي يَرْعَى قَطِيعَهُ فِي مِحَنٍ عِدَّةٍ، وَعِنْدَمَا تَنْتَهِي هَذِهِ الأُمُورُ، مَدِينَةُ التِّلَالِ السَّبْعَةِ سَيَتِمُّ تَدْمِيرُهَا، وَسَيُدِينُ القَاضِي الرَّهِيبُ شَعْبَهُ، النِّهَايَة.) [201].

تتعدّدُ الآراءُ حولَ المقصودِ بالنهاية، هل هي نهايةُ الرؤيا فقط، أم نهايةُ الفاتيكانِ والبابوية، أم إنها نهايةُ العالمِ بالشكلِ الذي نعرفُه، أي بمعنى عودةِ المسيح، حيثُ يرتبطُ دمارُ روما مدينةِ التلالِ السبعةِ بالمحنةِ السابقةِ لعودةِ المسيح، التي تحدثنا عنها في العهدِ الجديد. لكن، منَ الجديرِ بالذكرِ، أننا في زمنِ البابا رقم 112، وهو البابا فرنسيس، الذي يُفضِّلُ أن يُسمى "كاهنُ روما" على لقبِ "البابا" كما يُصرِّحُ، وهو من أكثرِ البابواتِ رعايةً للفقراء، ما يعتبرُه البعضُ تأويلًا لعبارة: (بُطْرُسُ الرُّومِيُّ الَّذِي يَرْعَى قَطِيعَهُ فِي مِحَنٍ عِدَّةٍ).

[201] كتاب شجرة الحياة للراهب أرنولد ويون 1595 م.

أسرارُ فاطمة

نختمُ بنبوءةٍ من العصرِ الحديث، حيثُ ظهرَت السيدةُ البتولُ عليها السلام في العامِ 1917 م، على ثلاثةِ أطفالٍ في قريةٍ بُرتغاليةٍ تُسمى قريةَ فاطمة. الأطفالُ كانوا أخوَين بعُمرِ التاسعةِ والسابعة، وهما فرانسيسكو وجاسينتا مارتو، وابنةَ خالِهما لوسِيّا دوس سانتوس التي كانت في العاشرةِ من عمرِها.

أ - ظهورُ سيدةِ فاطمة:

في الثالثَ عشرَ من أيار، ظهرَت في السماءِ سيدةٌ في لباسٍ أبيضَ ساطعٍ، على الأطفالِ الثلاثةِ أثناءَ رعيِهم للأغنام، في قريةِ فاطمة. سألوها: من أين أنتِ؟ أجابتهم: من الجَنة. وطلبت منهم أن يَحضُروا إلى نفسِ المكانِ في الثالثَ عشرَ من الأشهرِ الخمسةِ التالية، وطلبت منهم أنَ يُداوِموا يوميًّا على تلاوةِ صلواتِهم الورديّة.

اتفق الأطفالُ على أن يُبقُوا الأمرَ سرًّا فيما بينَهم، إلا أنَّ الصغيرةَ جاسينتا لم تستطعْ كتمانَ الأمرِ عن والدتِها، وسرعانَ ما شاع الخبرُ في القرية، وكانت ردةُ فعلِ أهاليَ القريةِ الاستهجانَ والتكذيب، حتى جيءَ بالأطفالِ إلى أبرشيةِ القرية، وطلب منهمُ الاعترافَ بالكذب، واختراعَ القصة. إلا أنَّ الأطفالَ الثلاثةَ ظلُّوا مُصرِّين على موقفِهم.

في الشهرِ التالي، أتى الأطفالُ إلى موعدِهم مع السيدة، وقام باصطحابِهم بعضٌ من أهالي القرية، لعلَّهم يرَون السيدةَ التي تلكم عنها الأطفال، وظهرتِ السيدةُ بالفعلِ كما وعدت، إلا أنّها لم تظهرْ سوى للأطفالِ الثلاثة. وكذلك فعلت في الشهرِ الذي يليه، وقامت بإطلاعِ الأطفال على ثلاثةِ أسرار. في الشهرِ الرابع، كان قد شاع الخبرُ حتى أحدث بلبلةً في البرتغالِ ككل، فقام أحَدُ رجالِ الدولةِ باحتجازِ الأطفالِ يومَ موعدِهم مع السيدةِ، مانعًا لقاءَهم بها، ومحاولًا ثنيَهم عن أقوالِهم، إلا أنَّ ذلك لم يُغيِّرْ من موقفِهم شيئًا. في الثالثَ عشرَ من أيلول، حضر المكانَ أكثرُ من عشرةِ آلافِ شخصٍ، مُتأمِّلين أن يَحظَوا بلقاءِ السيدةِ التي تظهرُ للأطفال، وعلى الرُّغمِ من أنّها أيضًا لم تظهرْ إلا للأطفالِ الثلاثة، إلا أنّها أخبرَتهم بأنّها ستقومُ بأعجوبةٍ في الشهرِ التالي يتمكنُ الجميعُ من رؤيتِها، كدليلٍ على صدقِ روايتِهم.

ب - أعجوبةُ الشمس:

في الشهرِ الأخير، كان قد تجمهر أكثرُ من سبعين ألفًا ممّن سمعوا بقصةِ الأطفالِ لمشاهدةِ الأعجوبةِ التي وُعدوا بها، وكان بينَهم صِحافيُّون جاءوا لتوثيقِ ما يمكنُ أن يحصُلَ في ذلك اليوم. كان يومًا ممطرًا مطرًا شديدًا، وكانَ من شدةِ المطرِ أنَّ الأرضَ أصبحَت طينيّةً مُوحِلة، وفي قُرابةِ الساعةِ الثانيةِ ظهرًا، توقف المطر، وبدتِ الشمس وراءَ الغيوم، وبدأت تتحركُ يمينًا ويسارًا، وتدورُ وتبثُّ أشعةً بألوان الطّيف، ثم بدتِ الشمسُ

وكانها ستسقط على الأرضِ من شدةِ هبوطِها، ثم عادت وارتقَت إلى مكانِها وسكنَت، وانقشعتِ الغيوم، وجفتِ الأرضُ من فورِها. الظاهرةُ شهدها أهالي القريةِ جميعًا ولم تقتصرْ مشاهدتُها على المتجمهرين في السهل، ووثقها الصحافيّون الموجودون في المكان، وكتبت عنها الصحفُ البرتغالية. كما إنَّ موقفَ الأبرشيةِ من الأطفالِ تبدل تمامًا، واعترفت بقدسيةِ الأعجوبة، وتلا ذلك اعترافٌ من كنيسةِ روما، وأصبح الأطفالُ ينالون مكانةً في المجتمعِ البرتغالي.



O SÉCULO

AS ELEIÇÕES SUPLEMENTARES DE HONTEM

COISAS ESPANTOSAS!

COMO O SOL BAILOU AO MEIO DIA EM FATIMA

CIRCULO 27—LISBOA ORIENTAL

CIRCULO 28 LISBOA OCIDENTAL

ج - تدوينُ الأسرار:

بعد عامٍ ونصفٍ من أعجوبةِ الشمس، تُوفي فرانسيسكو إثرَ إصابتِه بالإنفلونزا الإسبانية، وبعدَه بسنة، لحقَت به أختُه جاسينتا، مُتأثرةً بمرضٍ رئويّ. أما لُوسيّا، فقدِ التحقَت بمدرسةِ الراهباتِ في مدينةِ بروتو في العامِ 1921 م، ثم انتقلَت إلى إسبانيا، حيثُ أصبحَت راهبةً في العام 1934 م.

في العام 1943، أصيبَت الأختُ لوسيّا بمرضٍ شديد، وكانت قد دونَت السرَّين الأولَ والثاني، ولشدةِ تدهورِ حالِها الصحية، طلبَت منها الأبرشيةُ تدوينَ السرِّ الثالث، فدونتِ الأختُ لوسيا السرَّ الثالثَ بالفعل، وأودعته إلى الأبرشيةِ في ظرفٍ مختوم، إلا أنها طلبَت من الأبرشيةِ عدمَ فتحِه أو الكشفِ عنه حتى تُوافيَها المنية، أو حتى العام 1960 م، أيَّهُما حدوثًا أولًا، يكونُ أوانُ فتحِ الظرفِ والكشفِ عن مُحتوى السرِّ الثالثِ المُدوَّنِ فيه.

أما ما سبق ودونَته عن السرّ الأول تقولُ الأختُ لوسيا، إنّ السيدةَ البتولَ أرَتهم بحرًا كبيرًا من النار، بدا وكأنه تحتَ الأرض. سقطت في هذهِ النارُ شياطينُ وأرواحٌ بشكلٍ بشريٍّ مثلَ جمرٍ مُحترقٍ شفّاف، ووسطَ صرخاتِ وآهاتِ الألمِ واليأسِ، يُمكنُ تمييزُ الشياطينِ بتشبُّهها المُرعبِ والمثيرِ للاشمئزازِ بالحيواناتِ المخيفةِ وغيرِ المعروفة. استمرتِ المشاهدة للحظة.[202]

فيما تقولُ الأختُ لوسيا عن السرِّ الثاني، إنَّ السيدةَ البتولَ أخبرتهم بأنَّ اللهَ يُريدُ أن يُنجيَ هؤلاءِ العُصاةَ المساكين من تلك الجحيم التي رأوها، ولكن على العالمِ أن يُخلصَ لقلبِها الطاهر، فإذا حصل ذلكَ، واستجابَت روسيا لذلك، سيحلُّ السلام، وتنجو أرواحٌ كثيرة، وتنتهي الحربِ. لكن إذا لم يتوقفِ الناسُ عن الإساءةِ لله، فسوف تندلعُ حربٌ أسوأ، قبلَ نهايةِ حبريةِ البابا بيوس الحادي عشر[203]. من الجدير بالذكر أنَّ ظهورَ السيدةِ المقدسةِ على الأطفالِ الثلاثة، حصل خلالَ فترةِ الحربِ العالميةِ الأولى، وتتهمُ بعضُ الآراءِ المُكذِّبَةِ لقصةِ الأطفالِ والظهور ككلّ، أنَّ الكنيسةَ البرتغالية، ومن ورائِها الفاتيكانُ ودولُ أوروبا، اختلقت هذه القصةَ للتأثيرِ على روسيا أثناءَ الحربِ العالميةِ الأولى من ناحيةٍ دينية، ولكن في الواقعِ، لم تُنشرْ فحوى السرَّينِ الأولِ والثاني إلا بعدَ انتهاءِ الحربِ العالميةِ الأولى بسنواتٍ كثيرة.

د - مصيرُ الأختِ لوسيا:

في العامِ 1957 م، تسلمتِ الفاتيكانُ من الأبرشيةِ الظرفَ الذي يحتوي السرَّ الثالثَ من أسرارِ فاطمةَ الذي دونَته الأختُ لوسيّا وختمَته. كانتِ الأختُ لوسيا في تلك الفترةِ في حالِ عُزلةٍ شبهِ تامة، حيثُ تطلب دستورُ المجتمعِ الكنسيِّ الحدَّ من التقائِها بالناسِ لقدرٍ كبير، حتى ولو كانوا أقاربَها، إلا للحديثِ عن شؤونٍ دينية. خلالَ تلكَ الفترةِ قام الأبُ كارلوس فوينتيس بإجراءِ مُقابلةٍ مع الأختِ لوسيا، صرح خلالَها أنَّ الأختَ لوسيا قالت له: "إننا نعيشُ في الأيامِ الأخيرة، وإنَّ الشيطانَ يُحضِّرُ لأن يخوضَ حربًا حاسمةً ضدَّ السيدةِ البتولَ، ستكونُ حربًا نهائيةً وقاضيةً للطرفِ الخاسر، ولا يُمكنُ الإفصاحُ أكثرَ من ذلك لأنه يجبُ أن يبقى سرًّا حتى العامِ 1960"[204]. بعد نشرِه للمقابلة، صرح ناطقٌ باسمِ الأختِ لوسيا باتهامِ الأبِ فوينتيس بالكذبِ على لسانِ الأختِ لوسيا في مقابلتِه، مُدعيًا أنهما لم يتطرقا إلى موضوعِ فحوى سرِّ سيدةِ فاطمةَ الثالثِ من قريبٍ أو بعيد!

يعتقدُ كثيرٌ من الشخصياتِ الكنسيةِ، من أهمِّها الأبُ نيكولاس جرونر، أنَّ الأختَ لوسيا تم قتلُها بعدَ اطِّلاعِ الفاتيكانِ على السرِّ الثالث، وتم استبدالُها بامرأةٍ أخرى شبيهةٍ بها، قرابةَ العامِ 1958 م، وذلك لاحتواءِ السرِّ الثالثِ على اتهاماتٍ تُدينُ الفاتيكانَ بالردةِ والسعي إلى معاداةِ المسيحيةِ من الداخل، بإشرافٍ مباشرٍ من البابوية! فيما يُنكرُ الفاتيكانُ هذه الاتهاماتِ تمامًا، يسند أصحابُ هذه الاتهاماتِ كلامَهم بما جرى مع الأب فوينتيس، إضافةً إلى التغير الكبير في وجهِ الأختِ لوسيا مقارنةً مع آخر صورة لها قبلَ عزلتها.




الأخت لوسيا 1967 بعمر 60 الأخت لوسيا 1945 بعمر 38

ه - السرُّ الثالث:

في العام 1960 م، أصدر الفاتيكانُ بيانًا ذكر في أنَّ السرَّ الثالثَ الخاصَّ بفاطمةَ سيبقى مختومًا إلى الأبد. الأمرُ الذي أثار ضجةً كبيرةً في الوسطِ المسيحيِّ بينَ مُتخوِّفٍ من مُحتوى السرِ، وبينَ اتِّهاماتٍ بإخفاءِ معلوماتٍ تتعلقُ بالكنيسةِ والبابوية، وانقلابٍ داخلَ كنيسةِ روما. كذلك انتشرتِ الكثيرُ من التكهناتِ حولَ نبوءاتِ دمارِ العالم، أو هلاكٍ جماعي، أو حروبٍ نووية، إلى آخره. في العام 1981 م، اختطفت طائرةُ ركابٍ إيرلاندية، قام خاطفوها بمطالبةِ الفاتيكانِ بالإعلانِ عنِ السرِّ الثالث.

في العام 2000 م، أعلن الفاتيكانُ عبرَ الكاردينالِ آنخيلو سودانو، أنَّ السرَّ الثالثَ كان رُؤيا لأسقفٍ يلبسُ الأبيضَ يتعرضُ لإطلاقِ النارِ أثناءَ صعودِه جبلًا خلالَ طريقٍ مليئةٍ بالجثثِ، مُوديًا بحياتِه. أضاف الكاردينالُ في تصريحِه قائلًا، إنَّ تأويلَ ذلك تحقق في محاولةِ الاغتيالِ التي تعرض لها البابا يوحنا بولسَ الثاني عام 1981 م.

من ناحيةٍ أخرى، أكد البروفيسورُ بومغارتنر أن الكاردينالَ تشابي، وهو العالِمُ اللاهوتيُّ الخاصُّ بالبابا يوحنا بولسَ الثاني، أسرَّ إليه في حديثٍ خاصٍّ قائلًا: (إنَّ السرَّ الثالث، من بين أمورٍ كثيرة، يذكرُ أنَّ الكفرَ الأكبرَ ستدفعُ إليه الكنيسةُ في روما، وسيبدأُ هذا من أعلى الهرم) [205]، وفي سياقٍ مُشابه، يقولُ الأبُ جومير دِيباو إنه خلالَ زيارتِه للفاتيكان، قرأ نصًّا مُتداولًا بينَ بعضِ الأساقفةِ على أنه السرُّ الثالثُ يقولُ عنه: (النصُّ يكشفُ عن نقضٍ دينيٍّ يكادُ لا يُصدَّقُ سيحدثُ في الكنيسة) [206].

يعلقُ الكاردينالُ سيلفيو أودي: (ماذا حصل في عام 1960 م، يمكنُ أن يكونَ له علاقةٌ بسرِّ سيدةِ فاطمة؟ الشيءُ الأهمُّ بلا شكٍّ هو إطلاقُ المرحلةِ التحضيريةِ للمجمعِ الفاتيكانيِّ الثاني) [207]. تذهبُ بعضُ الآراءِ عبر الإنترنتِ إلى اعتبارِ أنَّ اليدَ الماسونيةَ التي طالما سعَت إلى التغلغلِ إلى داخلِ الفاتيكانِ أصبحَت مُسيِّرةً له حتى قبلَ المجمعِ الفاتيكانيِّ الثاني، وهي التي وضعَتِ الأسسَ لهذا المجمع، وهيأت أفكارَه. تعتبرُ هذه الآراءُ أنَّ الهدفَ من المجمعِ هو إطلاقُ تطويرٍ مرحليٍّ لدِينٍ عالميٍّ جديدٍ يَتساوى فيه الربُّ السماويُّ مع كافةِ الآلهةِ الوثنيةِ في سائرِ الأديان، ما

يمكنُ أن يكونَ تاويلا للوحشِ المذكورِ في سفرِ الرؤيا السابقِ ذكرُه. يؤيدُ هذا الرأيَ بحسبِهم، إجتماعُ أكثرَ من مئةِ شخصيةٍ دينيةٍ من مُختلفِ الدياناتِ العالميةِ في مدينةِ أسيسي الإيطاليةِ، للصلاةِ سويًّا بطلبٍ من الفاتيكان، انعقد في السابعِ والعشرين من شهرِ تشرينَ الأولِ عامَ 1996 م. خلالَ الاجتماع، قام الدالاي لاما بوضعِ تمثالِ بوذا على حرمِ المُصلّى أمام جميعِ رجالِ الدينِ خلالَ صلاتِهم! الأمرَ الذي اعتبرَته الكثيرُ منَ الأصواتِ المسيحيةِ مِثالًا على رجسةِ الخرابِ التي ذكرناها في فقرةِ المحنةِ من الفصلِ السابق. في الرابعِ والعشرين من كانون الثاني عام 2002 م، انعقد اجتماعٌ ثانٍ في نفسِ المدينة، قام خلاله رئيسُ طائفةِ الفودو (طائفةٌ متخصصةٌ بالسحرِ الأسود)، بإعطاءِ الحضورِ ما سماه وصفةً للسلامِ العالميّ. كذلك قال رئيسُ طائفةِ الهندوسِ لجميعِ الحضور، "إنَّنا جميعًا آلهَة"! في الحادي والعشرين من أيارَ عامَ 2004 م، قام مجموعةٌ من رجالِ الدينِ الهندوسِ بأداءِ صلواتِهم الهندوسيةِ في كنيسةِ أبرشيةِ فاطمة! كان ذلك بموافقةٍ من رئيسِ الأبرشية.

و - سرٌّ رابع:

يقولُ المساعدُ الخاصُّ للبابا يوحنا الثالثِ والعشرين الأسقفُ لوريس كابوفيا للصحافيِّ سوليديو بوليني: (هناك رسالةٌ ثانيةٌ في ظرفِ السرِّ الثالثِ الخاصِّ بفاطمة، هذا كلُّ ما يمكنُ أن يخبرَك به أيُّ شخصٍ بخصوصِ السر) [208].

ملاحظة:

تنتشرُ عبرَ الإنترنتِ رسائلُ تزعمُ أنها فحوى السرِّ الثالث، تدَّعي أنّ السيدةَ العذراءَ تُنذرُ من زلزالٍ عالمي، أو حربٍ نووية، أو كوارثَ تُفني البشرية، أو تُفني ثلثَي البشرية، أو ما شابه ذلك. جميعُ هذه الرسائلِ لا أصلَ لها، ولم يتبناها أحد، ولم تنتشرْ إلا من خلالِ الإيميلاتِ في أواخرِ فترةِ التسعيناتِ من القرن الماضي، مع بدايةِ انتشارِ الشائعاتِ الإلكترونيةِ المختلفة.

[202] فاطمة في كلمات لوسيا الخاصة، الإصدار الأول.

[203] نفس المصدر.

[204] مجلة "رسول من قلب مريم" الإيطالية، عدد 8 و9 من عام 1961 م.

[205] كتاب فاتيكان 2، نقطة تحول تاريخية.

[206] وثائقي "السر الثالث لفاطمة"، إعداد رون فينستر.

[207] مجلة "في يوم السبت" الإيطالية، إصدار 17 آذار 1990.

كتاب "السر الرابع لفاطمة" للكاتب أنطونيو سوتشي. [208]

خاتمة

من سننِ الحياةِ الدّنيا التي فطَرها اللهُ تباركَ وتعالى عليها، أنّ دوامَ الحالِ فيها من المُحال، وألّا مُلكَ يدومُ إلا مُلكُ الحيِّ القيُّوم، فكم من مملكةٍ كانت لا تغيبُ عنها الشّمس، وكان لملوكِها سلطانٌ عظيم، فتجبّروا في الأرضِ وعلَوا حتّى ظنّوا أنّهم قادرون عليها، فأتاهم أمرُ اللهِ من حيثُ لا يَحتسبون. كذلك اليومَ، نحن نعيشُ أحداثَ آخرِ الزمانِ، ولا يعني هذا أننا على وشكِ أن نشهدَ نهايةَ العالمِ، بل نحن على وشكِ أن نشهدَ نهايةِ الحقبةِ الزمنيةِ التي سيطرَت فيها على الأرضِ قوى شيطانيّةً تنصرُ الظالمَ وتقمعُ المظلومَ، وتعطي المستغنيَ وتحرمُ المحروم، وتسيطرُ على مناحي الحياةِ وتستأثرُ بجميعِ الخيراتِ، وتستنزفُ كافّةَ مواردِ الحياةِ، وتفرّقُ المجتمعاتِ وتؤلبُ فئاتِه بعضَها على بعضٍ. نحن على وشكِ أن نشهدَ النهايةَ المستحَقةَ والعادلةَ لهذه القوى الظلاميةِ التي أفسدَتِ الأرضَ وسفكتِ الدماء، حتى بات الآباءُ لا يعرفون أيَّ حياةٍ تنتظرُ أبناءَها، والأبناءُ لا يدركون الحقَّ من الباطل، ولا بشائرَ تبدو للخلاصِ إلا من خلالِ الخلاصِ الإلهيِّ، والنصرِ الربّانيِّ الموعود، (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ). نحن على وشكِ أن نشهدَ استردادَ يدِ العدالةِ الإلهيّةِ لزمامِ الأمور، كما وعَدنا العليُّ القديرُ، وبشّرنا الأنبياءُ الكرامُ عبرَ العصور، فهنيئًا لمن نصَر الحقَّ في هذا الزمنِ ولو بكلمةٍ، وتعسًا لمنِ خضع لظُلمٍ آن زوالُه بإذنِ الله.

أسألُ اللهَ جلّ ذكرُه وتقدَّس اسمُه أن يتقبّلَ مني هذا العملَ المتواضعَ، الذي أسردتُ فيه ما نوّر بصيرتي إليه من أحداثِ ومجرياتِ آخرِ الزمانِ، علمًا أنني تركتُ بينَ السطورِ ما إن تعمّق القارئُ في فهمِه، وربطَ بعضَ المواضيعِ ببعضِها، تبيّن له ما هو أكثرُ وأعمقُ من المذكورِ والمشروحِ، ولكنني سأكتفي بهذا القدرِ من التوضيح. كما أنني سأقومُ بنشرِ بعضِ الفيديوهاتِ على منصّاتِ التواصُلِ الاجتماعيِّ المذكورةِ على الرابطِ: www.endtimeevents.net.

أشكرُ اللهَ العليَّ العظيمَ إذ أعانني على إتمامِ هذا البحث، وأرجو أن أكونَ قد وُفّقتُ في شرحِه وإيصالِ معانيه للقارئ، والحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحات.

المصادر

أ - كتب الحديث:

المسند | الإمام أحمد بن حنبل.

الصحيح | الإمام مسلم بن الحجاج.

الفتن | نعيم بن حماد.

المستدرك على الصحيحين | الحاكم النيسابوري.

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة | الإمام القرطبي.

جامع الأحاديث | الإمام السيوطي.

بحار الأنوار | العلامة المجلسي.

الغيبة | العلامة الطوسي.

الغيبة | الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني.

كمال الدين | الإمام الصدوق.

الجامع الصحيح | الإمام البخاري.

المعجم الكبير | الإمام الطبراني.

المصنف | الإمام ابن أبي شيبة.

المسند الصحيح | الحافظ ابن حبان.

الجامع الصحيح | الإمام الترمذي.

السنن | الإمام ابن ماجة.

السنن الكبرى | الإمام النسائي.

السنن | الحافظ أبو داوود السجستاني.

السنن الكبرى | الإمام الدارقطني.

السنن الواردة | الحافظ أبو عمرو الداني.

جامع الحديث | الإمام ابن رشد.

المسند | الإمام الشاشاني.

مجمع الزوائد | الحافظ الهيثمي.

المنتخب من العلل | ابن قدام الخلال.

جامع الأصول | العلامة ابن الأثير.

ب - كتب التاريخ والسير:

تاريخ بغداد | الخطيب البغدادي.

الإرشاد | الشيخ المفيد.

التاريخ الكبير | الإمام البخاري.

تاريخ الإسلام | الإمام الذهبي.

الاحتجاج | العلامة التويجري.

دلائل النبوة | الإمام البيهقي.

النهاية | الإمام ابن كثير.

مقاتل الطالبيين | أبو فرج الأصفهاني.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم | الإمام ابن الجوزي.

عالم الخزر | بيتر غولدن.

تاريخ الخزر اليهود | دوغلاس دانلوب.

القبيلة الثالثة عشر | آرثر كويستلر.

ج - كتب تفسير القرآن وكتب شروح الحديث:

الجامع لأحكام القرآن | الإمام القرطبي.

الميزان في تفسير القرآن | السيد محمد حسين الطباطبائي.

تفسير القرآن العظيم | الإمام ابن كثير.

لآلئ قرآنية | الإمام السيوطي.

الدر المنثور | الإمام السيوطي.

التفسير | الشيخ العياشي.

منهجية دراسة القرآن | الشيخ عمران حسين.

فتح الباري في شرح صحيح البخاري | ابن حجر العسقلاني.

المنهاج في شرح صحيح مسلم | الإمام النووي.

منحة الباري في شرح صحيح البخاري | أبو يحيى زكريا الأنصاري.

عون المعبود على شرح سنن أبي داوود | محمد شمس الحق.

أنيس الساري | ابن منصور البصارة.

د - كتب الجرح والتعديل وكتب المراجعات:

تهذيب التهذيب | ابن حجر العسقلاني.

.لسان الميزان | ابن حجر العسقلاني
.ميزان الاعتدال في نقد الرجال | الإمام الذهبي
.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء | أبو نعيم الأصفهاني
.صحيح الجامع | الشيخ الألباني
.صحيح الزوائد | الشيخ الألباني
.سلسلة الأحاديث الضعيفة | الشيخ الألباني

:ه - كتب شروح الكتاب المقدس وكتب اللاهوت

.مقدمات في أسفار العهد القديم | الأب أنطونيوس فهمي
.الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد | كنيسة مارمرقس المصرية
.أبحاث رسالة الملائكة الثالثة | ديفيد بارون
.إلى القديسين، أبناء سيدتنا الأحباء | الأب ستيفانو غوبي
.بوصلة الإنجيل | د. إدوارد سري
.هرمجدون المالية | جون هايغي

:و - كتب أخرى

.التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح | الإمام الشوكاني
.لوامع الأنوار البهية | العلامة السفاريني
.يوم الخلاص | كامل سليمان
.كيف ومتى يظهر الإمام المهدي | السيد محمود عبد اللطيف الموسوي
.الموسوعة اليهودية | إيزيدور سينجر
.شجرة الحياة | آرنولد ويون
.الفاتيكان 2 نقطة تحول تاريخية بزوغ عصر جديد | ديفيد مارتن
.السر الرابع لفاطمة | أنطونيو سوتشي

:ز - مصادر الصور

[غلاف] صورة شاب المقاومة من موقع christian-dogma.com.
[غلاف] صورة غرافيك العملة المشفرة من موقع teahub.io.
.[غلاف] صورة الشريحة الإلكترونية للجامعة الكولومبية للدراسات العليا في إنكولدا

[غلاف] رسمة بابل الزانية مرخصة من موقع goodsalt.com.

[غلاف] صورة برج الساعة في مكة من موقع teahub.io.

[غلاف] صورة قداسة البابا مرخصة من وكالة Associated Press.

[أ] صورة الجراد في مصر مرخصة من موقع alamy.com.

[ب] صورة حائط مسجد الإمام علي منقولة عن قناة العراقية.

[ج] خريطة الممالك الأوروبية مرخصة من موقع goodsalt.com.

[د] صورة القمر الدموي فوق بيت المقدس مرخصة من موقع alamy.com.

[ه] صورة المسح الحراري مرخصة من موقع shutterstock.com .

فهرس